جامعة مؤتة
عمادة الدراسات العليا

خلافة الواثق بالله
(227-232هـ/841-847م)

إعداد الطالب
فتحي يوسف الشواورة

إشراف
الأستاذ الدكتور حسين الكساسبة

رسالة مقدمة إلى عمادة الدراسات العليا
استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراة
في التاريخ الإسلامي قسم التاريخ

جامعة مؤتة، 2008

الآراء الواردة في الرسالة لا تُعبر بالضرورة عن وجهة نظر جامعة مؤتة

بسم الله الرحمن الرحيم

MUTAH UNIVERSITY

Deanship of Graduate Studies

جامعة مؤتة

عمادة الدراسات العليا

نموذج رقم (14)

قرار إجازة رسالة جامعية

تقرر إجازة الرسالة المقدمة من الطالب فتحي يوسف الشواورة الموسومة بـــ:

خلافة الواثق بالله

استكمالاً لمتطلبات الحصول على **درجة الدكتوراه في التاريخ**.

القسم: التاريخ.

	التوقيع	التاريخ	
أ.د. حسين فلاح الكساسبة		2008/05/20	مشرفاً ورئيسا
أ.د. أحمد عبدالله الحسو		2008/05/20	عضواً
أ.د. زريف مرزوق المعايطة		2008/05/20	عضواً
أ.د. نعمان جبران		2008/05/20	عضواً

عميد الدراسات العليا

أ.د. حسام الدين المبيضين

MUTAH-KARAK-JORDAN
Postal Code: 61710
TEL :03/2372380-99
Ext. 5328-5330
FAX:03/ 2375694
e-mail: dgs@mutah.edu.jo sedgs@mutah.edu.jo
http://www.mutah.edu.jo/gradest/derasat.htm

مؤته – الكرك – الاردن
الرمز البريدي :61710
تلفون :03/2372380-99
فرعي 5328-5330
فاكس 03/2 375694
البريد الالكتروني
الصفحة الالكترونية

الإهــداء

إلى سيدي رسول الله أشرف الخلق محمد بن عبدالله –صلى الله عليـه وسـلم- المبعوث رحمة للعالمين جزاه الله خير ما جزي نبي عن أمته ورسولٌ عن قومه.

قال تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا﴾ الإسراء/23.

إلى روح والدي رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه، وإلى والـدتي أطـال الله فـي عمرها.

إلى .... زوجتي الغالية.

إلى .... أبنائي وفقهم الله.

فتحي الشواورة

الشكر والتقدير

أشكر الله سبحانه وتعالى وأحمده على نعمة الإسلام وكفى بها من نعمة، وأحمده على عونه وتوفيقه في إتمام هذا العمل.

وأتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور حسين الكساسبة المشرف على هذه الرسالة، لما أبداه من ملاحظات قيمة وتوجيهات سديدة ومتابعة مستمرة ولما أولاني إياه من اهتمام وعناية في قراءة فصول هذه الرسالة، ولحرصه على أن يخرج بحثاً علمياً خالصاً، أوصلت هذا البحث إلى ما هو عليه الآن.

كما وأتقدم بالشكر إلى جميع أساتذتي الكرام في قسم التاريخ في جامعة مؤتة وأخص بالذكر الأستاذ الدكتور أحمد الحسو، والأستاذ الدكتور تقي الدين الدوري، والأستاذ الدكتور زريف المعايطة، والأستاذ الدكتور تيسير الزواهرة على جهودهم الطيبة طيلة دراستي في مرحلة الدكتوراة.

وأسجل شكري وتقديري إلى جميع العاملين في مكتبة جامعة مؤتة، وأخص بالشكر الأستاذ محمد الذنيبات من مركز بغداد للخدمات الطلابية، والشكر موصول إلى الأستاذ محمد المعايطة أمين مكتبة مدرسة المنشية الثانوية للبنين، وأشكر كل من ساهم في تدقيق هذه الأطروحة لغوياً.

جزى الله الجميع خير الجزاء، والحمد لله رب العالمين.

فتحي الشواورة

فهرس المحتويات

قائمة الجداول

قائمـة الملاحـــق

قائمة الرموز والمختصرات

دلالات الرموز:

ج:	جزء.
ص:	صفحة.
ع:	عدد.
م:	ميلادي.
هـ :	هجري.
ط:	طبعة
ت:	تاريخ الوفاة.
د.ت:	دون تاريخ نشر.
د.ط:	دون طبعة
مج:	مجلد.
P:	الصفحة.
EI:	الموسوعة الإسلامية بالإنجليزية.

الملخص

خلافة الواثق بالله (227-232هـ/841-847م)

فتحي يوسف خلف الشواورة

جامعة مؤتة، 2008

يعد عهد الخليفة الواثق بالله (227-232هـ/841-847م) الذي استمر زهاء ست سنين من العهود الهامة في تاريخ العصر العباسي الأول، وهذا ما تناولته هذه الدراسة حيث احتوى الفصل الأول حياة هذا الخليفة وثقافته الواسعة التي تركت أثراً على الحركة العلمية والثقافية في العصر العباسي الأول، حيث اشتهر عهده بالمجالس العليمة والثقافية وبرزت علوم وآداب مختلفة وعج بلاطه بالعلماء والمغنيين، وقد عالج الفصل الثاني سياسته تجاه الحركات المناوئة التي شهدتها الدولة في أيامه، وفي الفصل الثالث تناول البحث مذهب المعتزلة الذي تبناه الخليفة الواثق والذي انعكس على سياسة الدولة الداخلية من النواحي الإدارية والاجتماعية، حيث أدت سياسة الاعتزال إلى اضطهاد العلماء والأئمة. واشتمل الفصل الرابع الأوضاع الإدارية والاقتصادية في عهده، حيث تحدث عن ولاية العهد والوزارة والإدارة والقضاء والدواوين والجيش، وتناول هذا الفصل موارد الدولة المالية ونفقاتها. وعالج الفصل الخامس العلاقات الخارجية مع الدولة البيزنطية حيث شهدت هذه الجبهة فترة من الهدوء النسبي، وحدثت عمليات تبادل أسرى بين الدولتين، ولكن هذا لم يمنع الدولة العباسية في عهد الواثق بالله من إرسال حملة عسكرية إلى أراضي الدولة البيزنطية.

Abstract

The Caliphate of al-Wathiq Billah (227-232H/841-847AD)

Fathi Yousef Khalaf AlShawawreh

Mut'ah University, 2008

This study deals with the reign of the Abbasid Caliph Al-Wathik Billah (227-232H/841-847AD) which is considered to be an important stage in the history of the first Abbasid period. It consists of five chapters of which the first examines the life of this Caliph and his effect on the scientific and cultural life of his period.

The second chapter studies AlWathik's policies towards the opposing movements which emerged in his time. The third chapter discusses the sect of Mu'tazilah whose principles of Faith were adopted by the Caliph Al-Wathik himself during his reign, and the impact of this adoption concerning the state internal policy in terms of administration, social life and oppressing the "Ulama" and the Imams. The forth chapter discusses the administrative and economic aspects in the reign of Al-Wathik, and the crownprincehood, iministeriality, the state of administration and the administrator of justice and revenues and expenditures in particular. The fifth chapter deals with the Abbasids relationship with the Byzantines. In the age of Wathiq which witnessed a period relative quietness and a series of exchange of war captures between the two countries, but this did not prevent Al-Wathiq from sending a military expedition to fight the Byzantines in their own lands.

مقدمة:

يشكل عهد الخليفة الواثق بالله (227-232هـ/841-847م) جانباً مهماً في تاريخ العصر العباسي الأول، إلا أن عهده لم يحض بكتابة تاريخية مختصة، حيث أن أغلب ما كتب في هذا الموضوع لا يتعدى بضعة صفحات عامة وسطحية ضمن دراسات العصر العباسي الأول.

وفي بعض المؤلفات الحديثة وصل الأمر إلى الوقوف عند الخليفة المعتصم بالله باعتباره، من وجهة نظر البعض خاتمة السلسلة الذهبية لخلفاء العصر العباسي الأول، في حين قامت دراسات حديثة أخرى بتجاوز عهد الخليفة الواثق بالله، فكانت تنتقل من عهد الخليفة المعتصم بالله إلى عهد المتوكل على الله، وقد حاولت خلال فترة دراستي في مرحلة الدكتوراة أن أجد تعليلاً لذلك وبحثت عن أسباب إهمال عهد الخليفة الواثق بالله، فدفعني ذلك إلى التعمق بدراسة عهده فتكونت لدي صورة شاملة عن فترة حكمه أدت في النهاية إلى اختياري عنوان هذه الأطروحة (خلافة الواثق بالله 227-232هـ/841-847م).

وقد قسمت الدراسة إلى خمسة فصول وهي:

الفصل الأول: حياة الخليفة الواثق بالله وثقافته.

في هذا الفصل عالج البحث نسب الخليفة وصفاته التي تمتع بها والتي كانت موضع خلاف في المصادر التاريخية بين من يرى فيه خليفة متديناً ملتزماً بالتقوى والصلاح وبين من وصفه بأنه من أهل الظلم والفساد والمجون، كما تطرق هذا الفصل إلى نشأته وكيفية إعداده في عهد أبيه المعتصم ليكون خليفة المستقبل، وتناول الفصل ثقافة الخليفة الواسعة وأثرها على الحركة العلمية والأدبية والثقافية في عهده، وتناول هذا الفصل عن المجالس العلمية وابرز العلوم التي ناقشها العلماء بحضرة الخليفة، وعن اهتمام الخليفة بالموسيقى وأسماء المغنيين في بلاطه والرحلات العلمية الاستكشافية التي أرسلها وأسماء العلماء الذين اتصلوا به والعلوم التي نبغوا فيها.

الفصل الثاني: سياسته تجاه الحركات المناوئة:

بدأ هذا الفصل بالتقديم لأهم حركات المعارضة في العصر العباسي الأول، ثم تناول أبرز الثورات والفتن التي شهدها عهد أبيه الخليفة المعتصم من أجل رسم صورة عامة لمشهد الفتن والثورات التي قامت في أيامه.

وقد تناول هذا الفصل الثورات وحركات التمرد التي شهدها عهد الخليفة الواثق بالله وتم تقسيمها إلى: الثورات التي قامت في بلاد الشام والثورات التي قامت في الجزيرة العربية، أما الجزئية الثالثة فقد عالجت حركات التمرد التي لم ترتبط بإقليم أو تيار فكري معين. وقد بين هذا الفصل إجراءات الخليفة تجاه هذه الثورات وكيفية القضاء عليها.

الفصل الثالث: الواثق والمعتزلة:

وقد تم تقسيم هذا الفصل إلى ثلاثة موضوعات، تناول الموضوع الأول التطور التاريخي لمذهب الاعتزال من حيث التسمية والنشأة، وتعليم هذا المذهب وأصوله الخمسة، وفي الموضوع الثاني تم شرح التطور التاريخي لهذا المذهب في عصر الخليفة المأمون وأخيه المعتصم وأثر المحنة على العامة والإجراءات التي قاموا بها لتوطيد هذا المذهب، أما الموضوع الثالث فقد تناول المعتزلة في عهد الخليفة الواثق والإجراءات التي قام بها لفرض هذا المذهب على العامة وما نجم عن تشدد الواثق في فرض فكر المعتزلة من حدوث اضطرابات في عهده.

الفصل الرابع: الأوضاع الإدارية والاقتصادية:

ويشتمل هذا الفصل على قسمين الأول تناول الأوضاع الإدارية: ولاية العهد وأثر عدم تولية الواثق عهده لأحد من بعده على الدولة العباسية فيما بعد، كما تناول هذا الفصل الوزارة والولاة والقضاء والدواوين والكتاب وما لحق بهم من نكبة، حيث تمت دراسة رجال الإدارة في مختلف الأقاليم واحتوى الفصل على جدول يبين نسبهم والمناطق التي ولوا فيها، وتحدث هذا الفصل عن الجيش حيث بحث في تطور الجيش وأصنافه وعناصره في العصر العباسي وتم التوسع في عنصر الترك ودخولهم على مسرح الدولة العباسية وعالج علاقة الخليفة معهم، والدور الذي لعبوه في السياسة العامة للدولة العباسية، أما القسم الثاني فقد اشتمل على الأنشطة

الاقتصادية فتحدث عن التجارة والزراعة والصناعة في عهده، وأهم الإجراءات التي قام بها الخليفة الواثق بالله لدعم الأنشطة الاقتصادية في أيامه، واحتوت الدراسة على معلومات عن الإدارة المالية الدولة في عهده والإجراءات التي قام بهـا فـي هـذا المجال.

الفصل الخامس: العلاقات الخارجية مع الدولة البيزنطية:

وقد احتوى هذا الفصل على مقدمة تاريخية عن العلاقة بين الدولتين في العصر العباسي الأول من حيث العلاقات الحربية والهجمات البيزنطية، وتنـاول الغـزوات العباسية في أراضي الدولة البيزنطية، كما تناول هذا الفصل الأوضاع الداخلية فـي الدولتين العباسية والبيزنطية وأثرها على الهدوء والسلام الذي ساد بينهما.

كما اشتمل هذا الفصل على العلاقات الثنائية بين الدولتين في عهد الخليفة الواثق بالله وعملية تبادل الأسرى بين الطرفين ثم تبعتها حملة عسكرية عباسية على الدولة البيزنطية.

احتوت الدراسة على جداول لأسماء العلماء والمغنيين، وجدول يوضـح قيمـة المصادرات المالية. والولاة والقضاة في عهده، وبينت الجداول المتعلقـة بالفـصل الخامس الهجمات البيزنطية على أراضي الدولة العباسية وغزوات الدولة العباسـية على البيزنطية، وجدول يبين الأوضاع الداخلية في الدولة العباسية في عهد الواثـق بالله، وملاحق خرائط جغرافية ذات علاقة بالبحث.

مصادر الدراسة:

إن دراسة عصر الخليفة الواثق بالله تتطلب التنوع في المصادر بين المؤلفـات التاريخية والأنساب والتراجم إضافة إلى المؤلفات الأدبية والجغرافية والدينية؛ ومع أن كل صنف من هذه المؤلفات له اهتماماته إلا أنها جميعاً تناولت جوانب وجزئيات من هذا الموضوع، ولذلك فقد أفاد البحث من مصادر مختلفة وإن اختلـف مقـدار الإفادة بين مصدر وآخر، أما أهم هذه المصادر فهي:

أولاً: المصادر التاريخية:

تاريخ اليعقوبي (ت282هـ/895م).

فقد قدم هذا الكتاب معلومات عن نسب الخليفة وصفاته وعلاقته بالقادة الترك وأفاد البحث عن الثورات التي حدثت في عهد الخليفة الواثق بالله، كالثورة القيسية في دمشق، وحركات الأعراب في الجزيرة العربية، بني سليم وغيرهم، وانفرد في ذكر حركة التمرد التي قام بها البربر في شمال إفريقية، كما وأعطى معلومات تتعلق بالمحنة وإجراءات الخليفة في حمل الناس على القول بخلق القرآن، وأفاد عن الأوضاع الإدارية خلال فترة الدراسة فيما يتعلق بولاية العهد وأسماء الولاة في تلك الفترة والعلاقة مع الدولة البيزنطية وتبادل الأسرى الذي حدث معها.

كتاب الولاة والقضاة لمحمد بن يوسف الكندي (ت283هـ/896م).

وهو مؤرخ وفقيه، وقد كتب كتابه في قسمين؛ أحدهما عن ولاة مصر والقسم الآخر عن قضاتها، وقد أفادت منه الدراسة من خلال ما قدمه من معلومات وافية عن ولاة مصر الذين ترجم لهم في العصر العباسي الأول، وقد نهج هذا المصدر نهجاً تاريخياً في ترتيب ولاته ومادته عموماً حسب عهود الخلفاء.

تاريخ الأمم والملوك للطبري (ت310هـ/922م).

وهو مصدر تاريخي هام للعصر العباسي كونه كان قريباً من عهد الواثق بالله، وقد أفادت منه الدراسة في جميع فصولها، فقدم معلومات عن نشأة الخليفة وثقافته وحركات التمرد التي شهدها عهده، وأعطى معلومات هامة عن امتحان موظفي الدولة وإجراءات الخليفة في فرض مذهب الاعتزال وتحدث بإسهاب عن مقتل أحمد بن نصر الخزاعي كما أفاد منه الدراسة في معرفة الولاة، وقد فصل في نكبة الكتاب وذكر المبالغ المالية التي صادرها الخليفة الواثق بالله منهم، واحتوى هذا الكتاب على معلومات عن العلاقة مع الدولة البيزنطية وعملية تبادل الأسرى معها، إضافة إلى معلومات أخرى أفادت جميع فصول البحث.

كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (ت256هـ/975م).

احتوى على معلومات مهمة ونادرة تخص الجوانب الثقافية في عهد الخليفة الواثق بالله وثقافته وذكر أسماء المغنيين والمغنيات والجواري في عهده، كما

وتحدث عن نبوغ وبراعة هذا الخليفة في الموسيقى وتأليفه الألحان، واحتوى علـى مقدار المبالغ المالية التي أنفقها الخليفة على الشعراء والمغنيين وفي مجالس اللهـو والعلم في أيامه.

أخبار القضاة لمحمد بن وكيع (ت306هـ/918م).

يعد وكيع فقيهاً ومصدر موثوقاً، فقد ألف كتاب أخبار القضاة الذي يعد من أهم المصادر التاريخية عن القضاة في الدولة الإسلامية والعصر العباسي الأول بـشكل خاص، وقد أفادت منه الدراسة في المعلومات التي قدمها عن قضاة المدينة والبصرة والكوفة وبغداد ومصر، ولذلك يعد هذا الكتاب المصدر الرئيس الذي ترجم للقـضاة في عهد الواثق بالله.

المسعودي (ت346/957م).

وقد أفادت الدراسة من كتابه مروج الذهب ومعادن الجوهر ومن كتابه الآخـر التنبيه والإشراف، وقد كانت المعلومات متشابهة بين الكتابين فيما يتعلق بعهد الخليفة الواثق بالله، واحتوى كتابه مروج الذهب على روايات نادرة عن أخـلاق الخليفـة الواثق بالله حيث اعتبره عادلاً متديناً، وأفاد الدراسة في المعلومات التي قدمها عـن سيرة الخليفة وثقافته وانعكاسها على الحركة العلمية في عهده وقدم معلومات عـن اهتمامات الخليفة بالعلوم والآداب وذكر أسماء بعـض العلمـاء الـذين عاصـروه واتصلوا به، واحتوى على أسماء رجال الإدارة والقضاء وصفاتهم، كما تناول جانب الترك ودخولهم إلى الدولة العباسية.

تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (ت463هـ/1070م).

يعد هذا الكتاب مصدراً هاماً لدراسة الخلافـة العباسـية فـي ثلاثـة قـرون (146-463هـ/763-1070م)، حيث تضمن تراجم لمشاهير الأعلام الذين عاشوا في بغداد كالخلفاء والوزراء والإعلام والقضاة وغيرهم.

وقدم الخطيب البغدادي في كتابه تاريخ بغداد معلومات عن نسب الخليفة الواثق بالله، ضمن ترجمته له، كما أعطى معلومات عن بعض أعلام ومـشاهير القـضاة والقادة والوزراء في عهده، وكان هذا المصدر أول من ذكر الروايـة التـي تفيـد

بتراجع الخليفة الواثق عن مذهب الاعتزال، فقد ذكر خبراً مفصلاً عـن حـوار دار بين الشيخ الأذرمي والقاضي ابن أبي دؤاد بحضور الخليفة.

المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي (ت597هـ/1200م).

كان ابن الجوزي مؤرخاً، رتب كتابه المنتظم على السنين لأنه مـن المؤلفـات الحولية وبذلك غطى تاريخ الدولة العباسية حتى سنة 521هـ/1127م.

وقد احتوى كتابه على معلومات عن أخلاق الخليفة الواثق وسيرته، كما أفاد في موضوع نكبة الكتاب ومقدار المبالغ المالية التي صودرت منهم، كما احتوى على تفصيل للثورات التي قامت في عهده في الجزيرة العربية.

أخبار الدول المنقطعة للأزدي (ت613هـ/1216م).

احتوى هذا الكتاب على معلومات عن أسماء الموظفين في الجهاز الإداري في عهده، واحتوى على بعض المقتطفات الشعرية التي نسبت للخليفة الواثق بالله.

الكامل في التاريخ لابن الأثير (ت630هـ/1232م).

احتوى هذا المصدر على معلومات هامة أفاد منها البحث في جميع الفـصول، ومن أبرز هذه المحتويات المادة التي قدمها عن الثورات التي نشبت في عهد الواثق في بلاد الشام، والجزيرة العربية، كما احتوى على معلومات عن نكبة الكتاب وعن العلاقات مع الدولة البيزنطية والحملات العسكرية التي شنها كل على طرف علـى الآخر، وأفاد في الحديث عن العلاقات بين الدولتين في عهد الواثق بالله.

تاريخ الخلفاء للإمام جلال الدين السيوطي (ت911هـ/1505م).

أفاد هذا الكتاب البحث في موضوع محنة خلق القرآن وما قام به الخليفة مـن إجراءات لفرض مذهب الاعتزال على العامة، كما قدم معلومات جيدة عن أسـباب مقتل الإمام أحمد بن نصر الخزاعي ومعلومات عن ثقافة الخليفة ومعرفته بالموسيقى واحتوى على بعض الأبيات الشعرية.

مؤلفات الإمام الذهبي (ت748هـ/1382م).

وهي كتاب العبر في خبر من غبر وكتاب تاريخ الإسلام وكتاب دول الإسلام، حيث أفادت هذه المصادر في إعطاء معلومات عن سيرة الخليفة الشخصية وأخلاقه وبخاصة كتاب دول الإسلام، أما المصدر الآخر وهو العبر في خبر من غبر، فقـد

ترجم لبعض العلماء الذين عاشوا في عصر الواثق بالله والمحنة التي عـانوا منهـا بسبب رفضهم القول بخلق القرآن.

ثانياً: المصادر الجغرافية:

كتاب البلدان لليعقوبي (ت284هـ/897م).

أفاد في المعلومات التي قدمها عن الأنشطة الاقتصادية فـي سـامراء وكيفيـة تخطيط المدينة، كما قدم معلومات عن الأسواق والأحياء والامتيازات التي تمتع بها الترك، كما أفاد البحث في موضوع الصناعة والـسلع وإجـراءات الخليفـة لـدعم الأنشطة الاقتصادية في عهده بمنطقة سامراء.

كتاب المسالك والممالك لأبي عبيد البكري (ت487هـ/1094م).

حيث احتوى على معلومات عن رحلة سلام الترجمان إلى سد يأجوج ومأجوج.

كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للشريف الإدريسي (ت ق6هـ/13م).

قدم معلومات عن رحلة سلام ورحلة محمد المنجم ووصف الطرق التي سلكوها وصفاً دقيقاً.

كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي (ت626هـ/1228م).

الذي أفاد الدراسة في التعريف بأسماء الأماكن والمواقع التي وردت في المـتن خاصة الموجودة في بلاد الروم.

الروض المعطار للحميري (ت814هـ/1411م).

قدم معلومات عن المناطق الجغرافية التي سلكها سلام الترجمان، كما أفـاد فـي الحديث عن موضوع الجيش، فقد فصل في إحياء الأتراك في سامراء وامتيـازاتهم وعن التجارة في عهد الخليفة الواثق بالله.

كتب الطبقات وأهمها:

حيث احتوت على معلومات هامة عن محنة بعض العلماء الذين رفضوا مـذهب الاعتزال والقول بخلق القرآن ومنها طبقات الشافعية للسبكي وكتاب طبقات المحدثين لابن الشيخ الأنصاري (ت369هـ/979م). الذي بين موقف الإمام أحمد بن حنبـل من قضية خلق القرآن.

وقد كانت كتب التراجم مفيدة لهذه الرسالة وأهمها:

وفيات الأعيان لابن خلكان (ت681هـ/1282م). حيث أعطى معلومـات عـن بعض الأعلام الذين وردوا خلال هذه الرسالة.

معجم الأدباء لياقوت الحموي (ت626هـ/1228م). الذي احتوى على تـراجم لمشاهير الأدباء في العصر العباسي ومنهم من ورد في هذا البحث.

ومن المؤلفات الأدبية التي أفادت الدراسة:

العقد الفريد لابن عبدربه (ت328هـ/939م). الذي احتوى على معلومات دقيقة عن تاريخ مولد الخليفة الواثق بالله. كما كانت مؤلفات الجاحظ مفيدة للدراسة مثـل كتاب المحاسن والأضداد والتاج في أخلاق الملوك الذي قدم معلومات عن صـفات الخليفة الواثق.

ومن المصادر التي أفادت الدراسة كتاب الخراج لأبي يوسف الذي قدم معلومات هامة عن الإدارة المالية في العصر العباسي الأول، فقد قدم تفصيلاً عـن الخـراج وأحكامه وطرق جبايته وأنواعه.

وهناك عدد من المصادر التي أفاد منها البحث أشير إليها فـي الهـوامش مثـل خلاصة الذهب المسبوك للأربلي، أخبار الأول وآثار الـدول للقرمـاني، والنجـوم الزاهرة لابن تغري بردي الذي قدم معلومات مفصلة عن الولاة، إضافة إلى العديـد من المصادر الأخرى.

كما وأفاد هذا البحث من بعض الدراسات الحديثة وخاصة مؤلفات فاروق عمـر فوزي (العباسيون الأوائل، الخلافة العباسية).

وقد احتوى كتاب دولة بني العباس للمؤلف شاكر مصطفى على معلومـات مهمـة وضرورية للدراسة من عدة جوانب خاصة الإداري منها. ومن المؤلفات المهمة التي أفادت الدراسة كتاب المؤسسات الإدارية في مركز الخلافة العباسـية (الـدواوين) لحسين الكساسبة، حيث اشتمل على معلومات دقيقـة ومفـصلة لنـشأة الـدواوين وتطورها في العصر العباسي الأول، ومن المؤلفات الحديثة التي أفـادت الدراسـة الموسوعة الإسلامية في طبعتها الثانية.

الفصل الأول

حياة الخليفة الواثق بالله وثقافته 196-232هـ/841-846م

1.1 اسمه، نسبه ومولده:

هو هارون بن محمد المعتصم[1] بـن هـارون الـرشيـد بـن محمـد المهـدي بن عبدالله المنصـور بـن محمد بن علـي بـن عبـدالله بن العبـاس بن عبدالمطلب[2].

---

(1) أحمد بن أبي يعقوب بن واضح اليعقوبي (ت284هـ/897م) تـاريخ اليعقـوبي، ط1، دار صادر، بيروت (د.ت) ج2، ص479 (سيشار إليه تاليا: اليعقوبي، تاريخ)؛ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت310هـ/922م)، تاريخ الرسل والملوك، ط4، تحقيـق محمـد أبـو الفضل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت 2005، ج5، ص273 (سيـشار إليـه تاليـا: الطبري، تاريخ)؛ أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت346هـ)، مـروج الذهب ومعادن الجوهر، ط2، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميـد، المكتبـة العـصرية، بيروت (د.ت) ج4، ص65 (سيشار إليه تاليا: المسعودي، مروج)؛ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت456هـ/1063م) جمهرة أنساب العرب، تحقيق نخبـة مـن العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983، ص24 (سيشار إليه تاليا: ابن حزم، جمهرة)؛ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمي (ت387هـ/997م)، مفاتيح العلوم، ط1، تحقيق نهى النجار، دار الفكر اللبناني، بيـروت 1993، ص145 (سيـشار إليـه تاليـا: الخوارزمي، مفاتيح)؛ القاضي محمد بن سـلامة بـن جعفـر أبـو عبـد الله القـضاعي (ت454هـ/1062م)، تاريخ القضاعي كتاب عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف، تحقيق جميل المصري، ط1، مكة المكرمة 1995، ص447 (سيشار إليه تاليا: القضاعي، عيون)؛ الإمام جمال الدين أبو الحسن علي الأزدي (ت613هـ/1216م)، أخبار الدول المنقطعـة، ط2، تحقيق عصام هزايمة وآخرون، دار الكندي، اربد 1999، ج2، ص354 (سيشار إليه تاليا: الأزدي، تاريخ)؛ عبدالرحمن بن سنبط الأربلي (ت717هـ/1317م)، خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك، ط1، مكتبة المثنى، بغداد (د.ت) ص223 (سيشار إليـه تالياً: الأربلي، خلاصة).

(2) الحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت463هـ/107م) تاريخ بغداد أو مدينـة الـسلام، ط1، دار الكتـب العلميـة، بيـروت (د.ت)، ج14، ص15 (سيـشار إليـه =

وأمـه أم ولـد يقـال لهـا قراطيس[1] وهي رومية الأصـل[2].

= تاليا: الخطيب، تاريخ)؛ ظهير الدين علـي بـن محمـد المعـروف بـابن الكـازروني (ت697هـ/1297م) مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العبـاس، ط1، تحقيق مصطفى جواد، وزارة الأعلام، بغداد 1970، ص142 (سيشار إليـه تاليـا: ابـن الكازروني، تاريخ)؛ علاء الدين بن عبدالله البكجري (ت762هـ/1360م) مختصر تـاريخ الخلفاء، ط1، دار الفجر، القاهرة 2001، ص120 (سيشار إليه تالياً: البكجري، مختصر)؛ ابن دقماق (ت809هـ/1404م) الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين، ط1، تحقيـق محمد كمال الدين، عالم الكتاب، بيروت 1985، ج1، ص140 (سيشار إليـه تاليـاً: ابـن دقماق، الجوهر).

(1) أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة (ت276هـ/889م)، المعـارف، ط1، تحقيـق ثـروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1992، ص393 (سيشار إليه تاليـاً: ابـن قتيبة، المعارف)؛ اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص479؛ أبو الحسن علي بن الحسن المـسعودي، (ت346هـ/956م) التنبيه والإشراف، ط1، مكتبة هلال، بيروت 1981، ص328 (سيشار إليه تالياً: المسعودي، التنبيه)؛ ابن حزم، جمهرة، ص24؛ القـضاعي، تـاريخ، ص447؛ الخطيب، تاريخ، ج14، ص15؛ أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية بـن عمـر الهاشـمي البغدادي (ت345هـ/955م)، كتاب المحبر، دار الآفاق الجديـدة، بيـروت (د.ت) ص42 (سيشار إليه تالياً: ابن حبيب، المحبر)؛ خير الـدين الزركلـي، الإعـلام، ط2، دار العلـم للملايين، بيروت 1984م، ج5، ص109-110 (سيشار إليه تالياً: الزركلي، الأعلام).

(2) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت255هـ/868م) المحاسن والأضـداد، ط1، راجعـه عاصم عيتناي، دار إحياء العلوم، بيروت 1986، ص231 (سيشار إليه تاليـا: الجـاحظ، المحاسن)؛ ابن حبيب، المحبر، ص42؛ أبو الفرج عبدالرحمن بن علـي بـن محمـد بـن الجوزي (ت579هـ/1183م)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد عبـدالقادر عطا ومصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت 1992، ج11، ص119 (سيشار إليه تالياً: ابن الجوزي، المنتظم)؛ أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمـد بـن محمـد بـن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني المعروف بابن الأثير، (ت630هـ) الكامل في التـاريخ، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1986، ج5، ص266 (سيشار إليه تاليـاً: ابـن الأثيـر، الكامل)؛ عماد الدين إسماعيل أبي الفداء (ت732هـ/1331م) المختصر في أخبار البـشر، ط1، المطبعة الحسينية، القاهرة (د.ت) ج2، ص15 (سيـشار إليـه تاليـاً: أبـو الفـداء، المختصر)؛ الحافظ ابن كثير الدمشقي (ت774هـ-1372م)، البداية والنهاية، ط2، مكتبـة=

ويؤكد ذلك الجاحظ (ت255هـ/868م) فيقول: "وليس من خلفاء بني العباس من أبناء الحرائر إلا ثلاثة السفاح والمنصور والأمين والباقون كلهم أبناء جواري وقد علقت الجواري لأنهن يجمعن عز العرب ودماء العجم"[(1)] وتجمع أكثر المصادر على أن هارون الواثق بالله كان يكنى بأبي جعفر[(2)] مع أن بعضها ذكرت أنه يكنى بأبي القاسم[(3)] ويرجح الباحث أن كنية أبي جعفر استنادا إلى ما ذكرت أكثر المصادر

= المعارف، بيروت 1990م، ج9، ص297 (سيشار إليه تالياً: ابن كثير، البداية)؛ أحمد بن يوسف القرماني (ت1019هـ/1610م) أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، ط1، تحقيق أحمد حطيط وفهمي سعيد، دار عالم الكتاب، بيروت 1992، ج2، ص106 (سيشار إليه تالياً: القرماني، أخبار)؛ عبدالملك بن حسين بن عبدالملك الشافعي العاصمي المكي (ت1111هـ) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ط1، تحقيق عادل أحمد عبدالموجود، دار الكتب العلمية، بيروت 1998، ج3، ص458 (سيشار إليه تالياً: عبدالملك المكي، سمط).

(1) الجاحظ، المحاسن، ص231.

(2) الجاحظ، المحاسن، ص231؛ الطبري، تاريخ، ج5، ص273؛ المسعودي، مروج، ج4، ص65؛ المسعودي، التنبيه، ص328؛ الخطيب البغدادي، تاريخ، ج14، ص171؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج11، ص119؛ ابن الأثير، الكامل، ج5، ص266؛ ابن كثير، البداية، ج9، ص297؛ ابن خلدون (ت808هـ/1405م) العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ط6، دار بيت الأفكار، عمان 2006، ص749 (سيشار إليه تالياً: ابن خلدون، العبر)؛ ابن الكازروني، مختصر، ص142؛ ابن دقماق، الجوهر، ج1، ص140؛ القرماني، أخبار، ج2، ص106؛ البكجري، مختصر، ص120.

(3) الإمام شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت748هـ/1347م)، العبر في خبر من غبر، ط1، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد، دار الكتب العلمية، بيروت 1985، ج2، ص325 (سيشار إليه تالياً: الذهبي، العبر)؛ الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي (ت911هـ/1505م)، تاريخ الخلفاء، ط1، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، مطبعة السعادة، مصر 1952، ص340 (سيشار إليه تالياً: السيوطي، تاريخ)؛ أبو الفلاح عبدالحي بن العماد الحنبلي (ت1089هـ/1686م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ط1، =

المبكرة ولأن كنية أبي القاسم لم ترد إلا عند المتأخرين وذكروها بالقول: "قيل أبو جعفر وقيل أبو القاسم"[1] وتجمع المصادر على أنه تلقب بالواثق بالله[2].

أما تاريخ مولده فهو موضع خلاف بين المؤرخين: فمنهم من ذكر أنه ولد سنة 196هـ/811م[3] وبعضهم ارجع سنة مولده إلى 190هـ/805م[4] وبدراسة الروايات وتحليلها يرى الباحث بأن الخليفة الواثق بالله قد ولد سنة 196هـ/811م على الأرجح ومما يؤيد ذلك أن:

1. المصادر المبكرة أشارت إلى ذلك فالطبري يذكر:

"توفي وهو ابن ست وثلاثين سنة... فقال من زعم أنه ابن ست وثلاثين سنة كان مولده سنة مئة وست وتسعين"، وهو مصدر قريب من عصر الواثق بالله.

2. قول المسعودي (ت346هـ/957م) أن عمره كان يوم بويع بالخلافة إحدى وثلاثين سنة وبضعة أشهر[5] وقد تولى الخلافة سنة 227هـ/840م.

= دار أحياء التراث العربي، بيروت (د.ت)، ج1، ص75 (سيشار إليه تالياً: ابن العماد الحنبلي، شذرات).

(1) السيوطي، تاريخ، ص340؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات، ج1، ص75.

(2) انظر هامش رقم 1، 2، ص12؛ الخوارزمي، مفاتيح، ص145.

(3) الطبري، تاريخ، ج5، ص291؛ أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (ت328هـ/939م)، العقد الفريد، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت 1989، ج5، 101 (سيشار إليه تالياً: ابن عبدربه، العقد)؛ محمد بن مكرم المعروف بابن منظور (ت630هـ)، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، تحقيق روحية النحاس، دار الفكر، دمشق 1990، ج27، ص39 (سيشار إليه تالياً: ابن منظور، مختصر)؛ الأربلي، خلاصة، ص223؛ البكجري، مختصر، ص120؛ عبد الملك بن حبيب، سمط، ج3، ص458، السيوطي، تاريخ، ص340؛ حمزة بن يحيى الأصفهاني (ت360هـ/970م)، تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء عليهم السلام، ط1، مكتبة الحياة، بيروت 1961م، ص129 (سيشار إليه تالياً: الأصفهاني، تاريخ).

(4) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج14، ص15-16؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج11، ص119؛ ابن دقماق، الجوهر، ج1، ص140؛ القرماني، أخبار، ج2، ص106.

(5) المسعودي، مروج، ج4، ص65.

3. يحدد ابن عبد ربة مولده بالقول: "كان مولده يوم الاثنين لعشر بقين من شـعبان سنة مئة وست وتسعين للهجرة"[1] وقد ولدته أمه في أثناء مسيرها للحج على طريق مكة[2].

أما عن أسرته فقد تزوج من أم ولد اسمها شجاع وتزوج ثانية من أم ولد رومية اسمها قرب[3]. فخلف من الذكور: محمد، علي، عبد الله، إبـراهيم أحمـد ومحمـد الأصغر[4] وله من البنات اثنتان[5] عائشة تزوجها المستعين والعباسة[6]

ومن أبنائه من تولى الخلافة وهو محمد المهتدى بالله بن هارون الواثق، ولد سنة 218هـ وبويع له بالخلافة بعد أن خلع المعتز نفسه سنة 255هـ وبقي في الخلافة حد عشر شهراً ثم خلعه الأتراك[7].

---

(1) ابن عبدربه، العقد، ج5، ص101.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، ج11، ص119؛ ابن الكازروني، مختصر، ص142؛ ابـن كثيـر، البداية، ج9، ص297.

(3) الأربلي، خلاصة، ص225؛ الخضري، ادولة، ص249.

(4) اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص483، ابن عبدربه الأندلسي، العقد الفريد، ج5، ص102 (سيشار إليه تالياً: ابن عبدربه، العقد)؛ ابن حزم، جمهرة، ص24؛ القـضاعي، عيـون، ص449؛ محمد كرد علي، الإدارة الإسلامية في عز العرب، القاهرة 1934، ص120 (سيشار إليـه تالياً: كرد علي، الإدارة)؛ علي جاسم سليمان، موسوعة أعلام الخلفاء، دار أسـامة للنـشر والتوزيع، عمان 2003، ص218، (سيشار إليه تالياً: سليمان، موسوعة).

(5) ابن حزم، جمهرة، ص25.

(6) الأزدي، أخبار، ج2، ص357؛ ابن الكازروني، مختصر، ص144؛ شهاب الدين أحمد بـن عبدالوهاب النويري (ت733هـ/1332م)؛ نهاية الأرب في فنون الأدب، ط1، تحقيق محمد جابر عبدالعال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1984، ج22، ص375 (سيشار إليه تالياً: النويري، نهاية)؛ شاكر مصطفى، موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها، دار العلـم للملايين، بيروت 1993، ج1، ص155 (سيشار إليه تالياً: مصطفى، موسوعة).

(7) الخضري، دولة، ص249.

2.1 صفاته:

تكاد الروايات تتشابه في وصف شكل الخليفة الواثق وصفاته الخَلقية، فـالطبري (ت310هـ/922م) ومن نقل عنه يصفه بالقول: "ذكر من رآه وشاهده أنـه كـان أبيضاً مشرباً حمرة جميلا ربعة حسن الجسم قائم العين اليسرى وفيها نكت بياض"[1] إلا أن بعض المصادر وصفته بأنه كان أبيضاً يميل إلى الصفرة[2] وكان في عينـه اليمنى نكتة بياض[3] حتى أن بعض المصادر أوصلت الأمر إلـى حـد أنـه كـان أعورا[4] كثيف اللحية حسن الوجه والجسم[5].

---

(1) الطبري، تاريخ، ج5، ص291؛ انظر المسعودي، التنبيه، ص329؛ مسكويه، تحارب الأمم، ج4، ص104؛ ابن الأثير، الكامل، ج5، ص277؛ أبو الفداء، المختصر، ج2، ص36؛ ابن كثير، البداية، ج9، ص308.

(2) ابن عبدربه، العقد، ج5، ص101؛ القضاعي، عيون، ص448؛ ابن الجـوزي، المنـتظم، ج11، ص119؛ ابن الكازروني، المختـصر، ص142؛ الـذهبي، العبـر، ج1، ص325؛ الحافظ شمس الدين الذهبي (ت748هـ/1345م)، كتاب دول الإسلام، ط1، دار المعـارف النظامية، حيدر آباد، 1337هـ/1918م، ج1، ص108 (سيشار إليه تالياً: الـذهبي، دول)؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات، ج2، ص75؛ السيوطي، تاريخ، ص342.

(3) انظر المصادر أعلاه الهامش ص1-2.

(4) محمد بن حبيب البغدادي (ت245هـ/859م)، كتاب المنمق، ط1، تحقيق خور شيد أحمـد فاروق، دار عالم الكتاب، بيروت 1985، ص405 (سيشار إليه تالياً: ابن حبيب، المنمق)؛ ابن حزم الأندلسي (ت384-456هـ/1063م)، رسائل بن حـزم، ط2، تحقيـق إحـسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1987، ج2، ص77 (سيشار إليه تالياً: ابن حزم، رسائل).

(5) القضاعي، عيون، ص448؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج11، ص119؛ الأزدي، أخبار، ج2، ص354؛ ابن الكازروني، المختصر، ص142؛ الذهبي، العبر، ج1، ص325؛ ابن كثيـر، البداية، ج9، ص308؛ السيوطي، تاريخ، ص342؛ ابن العمـاد الحنبلـي، شـذرات، ج2، ص75.

أما عن صفاته الخُلقية فقد اتصف بالشجاعة "وكان شجاعاً مهيباً صارماً فيه جبروت كأبيه"[1] وبالعلم والأدب والثقافة[2] والكرم، فقد بالغ في إكرام العلويين وأهل الحرمين عندما ذهب للحج حتى لم يبق في الحرمين سائل، فقد فرق فيهم أموالا عظيمة[3].

كما كان الواثق بالله مهتما بإشباع رغباته[4]. وقد انقسم المؤرخون إلى فريقين عند الحديث عن أخلاقه الشخصية:

الفريق الأول: يرى في الواثق بالله إنه كان ملتزماً بالتدين والتقوى ومنهم الخطيب البغدادي (ت463هـ/1070هـ) الذي يذكر أن الواثق كان باراً بمربيه

---

(1) الذهبي، دول، ج1، ص109؛ ابن دقماق، الجوهر، ج1، ص141؛ القرماني، أخبار، ج2، ص106؛ ابن واردان، تاريخ العباسيين، ط1، (عاش سنة 1172هـ/1758م) تحقيق منجي الكعبي، الإمارات (د.ت) ص549 (سيشار إليه تالياً: ابن واردان، تاريخ).

(2) انظر تالياً، ص22-28.

(3) اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص483؛ ابن الكازروني، المختصر، ص142؛ الأزدي، أخبار، ج2، ص356؛ أبو الفداء، المختصر، ج2، ص36؛ النويري، نهاية، ج22، ص275؛ زين الدين عمر بن مظفر الشهير بابن الوردي (ت749هـ/1348م)، تاريخ ابن الوردي، ط1، المطبعة الحيدرية، النجف 1969، ج1، ص307 (سيشار إليه تالياً: ابن الوردي، تاريخ)؛ أبو الوليد محمد بن عبدالله بن أحمد الأزرقي (ت223هـ/837م)، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ط1، تحقيق رشدي الصالح، دار الأندلس، بيروت 1983، ج1، ص287 (سيشار إليه تالياً: الأزرقي، أخبار)؛ السيوطي، تاريخ، ص342؛ موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي المعروف بابن أبي أصيبعة (ت454هـ/1062م)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ط1، تحقيق نزار رضا، مكتبة الحياة، بيروت (د.ت)، ص246 (سيشار إليه تالياً: ابن أبي أصيبعة، عيون).

(4) تذكر المصادر أنه كان كثير الأكل وكثير الجماع حتى أنه طلب من طبيبه الخاص أن يصنع له دواء يساعده على الإكثار من الجماع فنصحه الطبيب بأن يقلل من ذلك خوفا على بدنه، للمزيد انظر المسعودي، مروج، ج4، ص66؛ الأزدي، أخبار، ج2، ص355؛ الذهبي، دول، ج1، ص108؛ ابن دقماق، الجوهر، ج1، ص141؛ القرماني، أخبار، ج2، ص107؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات، ج2، ص75؛ عبدالملك المكي، سمط، ج3، ص461.

ومؤدبه هارون بن زياد معترفاً بفضله عليه، حيث قال الخليفة بحق مربية: "هذا أول من فتق لساني بذكر الله وأدناني من رحمته"(1).

ويورد المسعودي (ت365هـ/975م) رواية عن إعرابي يصف فيها الخليفة الواثق بالله فيقول: "وثق بالله فكفاه أشجى العاصية وقصم العادية وعدل في الرعية"(2) وأنه كان حسن الفكر في صلاح الرعية(3) وقد بالغ ابن الطقطقا في مدحه عندما اعتبره من أفضل خلفاء بني العباس فقال: "كان الواثق من أفاضل خلفائهم كان فاضلاً لبيباً فطناً فصيحاً شاعراً"(4) واعتبره السيوطي (ت911هـ/1505م) من الخلفاء الذين اشتهروا بشدة التدين(5) وأنه كان أحلم الخلفاء وأصبرهم على الأذى(6) وأن لديه حس ديني كبير(7).

أما **الفريق الثاني**: فقد وصفه بأنه كان من أهل الظلم والفساد والبدع وأن بلاطه قد عج بمجالس الطرب والمجون والشراب(8). ومجالس الغناء والجواري(9) غيران

---

(1) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج14، ص15.

(2) المسعودي، مروج، ج4، ص66.

(3) الأربلي، خلاصة، ص224.

(4) محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقا، (ت709هـ/1309م)، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، ط1، دار صادر، بيروت (د.ت)، ص236 (سيشار إليه تالياً: ابن الطقطقا، الفخري).

(5) أبو الحسن الموادري، نصيحة الملوك، ط1، تحقيق فؤاد عبدالمنعم أحمد، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية 1988م (سيشار إليه تالياً: الموادري، نصيحة).

(6) السيوطي، تاريخ، ص344.

(7) عفيف الدين عبدالله بن أسعد اليافعي (ت768هـ/1366م)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، ط1، تحقيق عبدالله الجبوري، مؤسسة الرسالة، بيروت 1984، ج2، ص81 (سيشار إليه تاليا: اليافعي، مرآة)

(8) الجاحظ (ت255هـ/868م)، التاج في أخلاق الملوك، ط1، تحقيق أحمد زكي باشا، المطبعة الأميرية، القاهرة 1914، ص226 (سيشار إليه تاليا: الجاحظ، التاج).

(9) أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني (ت356هـ/975م)، كتاب الأغاني، ط1، تحقيق نخبة من الأدباء، دار الثقافة، بيروت 1983 ج5، ص366، ج8، ص249، ج9، =

الجاحظ ذكر أن الواثق لم يكن يشرب ليلة الجمعة أو يومها[1] وقد أشار الطبري (ت310هـ/922م) إلى أن الواثق بالله كان يشرب النبيذ[2] وهو ما يشبه الفاكهة المنقوعة[3].

يستخلص من ذلك أن الخليفة الواثق لم يكن مدمنا على الشراب ولو كان مدمنا لورد ذلك عند المؤرخين بصورة صحيحة وواضحة، كما أن الإشارات التي وردت عن الشراب كان المقصود منها شرب النبيذ، وقد كان فقهاء العراق أحلوا شرب هذا النوع من النبيذ[4].

= ص274-277-280، ص281، ج15، ص327، ج19، ص191، ص206-207 (سيشار إليه تاليا: الأصفهاني، الأغاني)؛ ابن كثير، البداية، ج9، ص308؛ أبو الفرج غير يغور يوس الملطي ابن العبري (ت685هـ/1286م)، تاريخ مختصر الدول، دار المسيرة، بيروت (د.ت)، ص36-37 (سيشار إليه تاليا: ابن العبري، تاريخ)؛ محمد بن الحارث الثعلبي (ت ق3هـ) أخلاق الملوك، ط3، تحقيق جليل العطية، دار الطليعة، بيروت 2003، ص161 (سيشار إليه تاليا: الثعلبي، أخلاق)؛ شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، معجم البلدان، ط1، دار صادر، بيروت 1979، ج4، ص374-375 (سيشار إليه تاليا: ياقوت الحموي، معجم)، كرد علي، الإدارة.

(1) الجاحظ، التاج، ص266.

(2) الطبري، تاريخ، ج5، ص275.

(3) النبيذ: يصنع من أنواع الفاكهة سيما العنب، التمر، التفاح، المشمش، والذرة وهو عصير هذه الثمار أو منقوعها ويضاف إليه الدبس ويغلى على النار ثم يصفى ويشرب للمزيد انظر: أبو عثمان بن عمرو بن بحر الجاحظ (ت255هـ/868م)، كتاب البخلاء، دار إحياء العلوم، بيروت 1986، ص51 (سيشار إليه تاليا: الجاحظ، البخلاء)؛ جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، دار الهلال، بيروت (د.ت) ج2، ص662 (سيشار إليه تاليا: زيدان، التمدن)؛ فتحي يوسف الشواورة، سياسة الخليفة المهدي الداخلية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة مؤتة 1999، ص26 (سيشار إليه تاليا: الشواورة، سياسة).

(4) علي حسني الخربوطلي، المهدي العباسي، الدار المصرية للتأليف، القاهرة (د.ت)، ص204 (سيشار إليه تاليا: الخربوطلي، المهدي).

وهنا يجد الباحث أن حياة الخليفة الواثق بالله كانت مليئة بالمفارقات مـن تـدين وتقوى وصلاح إلى مجالس طرب وجواري، حتى أن الأمر وصل به إلى قتل مـن يخالفه الرأي[1].

ومن الصفات التي امتاز بها الخليفة الواثق بالله أنه كان يحب الفخامة والأبهة في مظهره وتحركاته، ويقول الجاحظ (ت255هـ/868م) عن الواثق بالله "لم يكن يلبس القميص إلا لبسة واحدة إلا أن يكون الثوب نادراً معجباً"[2] وقد أكد ذلـك الثعلبـي بالقول: "ألا أن يكون –الثوب- نادراً معجباً غريباً"[3] ولما ذهب إلى الحج أمر بـأن يصنع له منابر خاصة "فعندما حج الواثق بالله كتب فعمل له ثلاثة منابر، منبر بمكة ومنبر بمنى ومنبر بعرفة"[4] كما أنه بعث إلى الحرم المكي بأعمدة مصابيح لإضاءة المسجد[5]. وقد وصِفَ قصره:

بأن "فيه ممرات كثيرة ثم دار مفروشة بالصخر ملبسة الحيطان بالوشي المنسوج بالذهب ثم يفضي إلى رواق أرضه وحيطانه ملبسة بمثل ذلك.. يجلس الواثق علـى سريره المرصع بالجوهر وعليه ثياب منسوجة بالذهب وإلى جانبه جاريته عليها مثل ثيابه وفي حجرها عود"[6].

---

(1) انظر الفصل الثالث عن مقتل أحمد بن نصر الخزاعي، ص83-86.

(2) الجاحظ، التاج، ص277.

(3) الثعلبي، أخلاق، ص162، الزيلعي، مكة، ص123.

(4) أبو الوليد محمد عبدالله بن أحمد بن الأزرق (ت223هـ/837م)، أخبار مكة وما جاء فيهـا من الآثار، تحقيق رشدي الصالح، دار الأندلس، بيروت 1983، ج2، ص100 (سيشار إليه تاليا: ابن الأزرق، أخبار).

(5) المصدر نفسه، ج2، ص101.

(6) النويري، نهاية، ج22، ص272.

3.1 نشأته وتهيئته لولاية العهد:

أغفلت المصادر التاريخية كثيراً من تفاصيل حياة الواثق بالله قبل تولية الخلافة، من حيث نشأته ومشاركته في السياسة العامة أثناء خلافة والده المعتصم بالله[1] ولد الواثق بالله سنة 196هـ/811م[2] ولما آلت الخلافة إلى والده المعتصم سنة 218هـ/833م كان عمره اثنان وعشرين عاما، مما يعني أنه عاش أكثر من إحدى وعشرين سنة من حياته بصفته أحد أبناء الأسرة العباسية، وأن نسبه لا يتعدى كونه ابن أخي الخليفة المأمون، وربما كان هذا هو سبب إغفال المصادر لنشأته قبل أن يتولى الخلافة.

احتوت المصادر على بعض المعلومات المتناثرة والمقتضبة عن نشأة الواثق بالله، فقد عهد والده بتربيته إلى هارون بن زياد مؤدبه، وقد صار الواثق بعدما آلت إليه الخلافة يعظم هذا الرجل معترفاً بفضله عليه وأنه: "أول من فتق لساني بذكر الله وأدناني من رحمته"[3] كما كان الخليفة المأمون يعتني بابن أخيه الواثق بالله فعندما مرض الواثق في عينه عالجه عمه المأمون على ما يذكر الطبري: "فقد وضع عليه عقدا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد عقده فقال للواثق: خذه فضعه على عينك، لعل الله يشفيك، قال: وجعل المأمون يضعه على عينه ويبكي"[4] وهنا يبدو أن المأمون كان يعطف كثيرا على ابن أخيه الواثق ويقربه منه وهذا ما جعل الواثق يقتدي بسيرة عمه المأمون فيما بعد[5]. يقول الأربلى عن ذلك: "وكان يتشبه بعمه المأمون في أخلاقه وكرمه وحلمه لأنه هو الذي رباه فتقبل أفعاله"[6].

---

(1) المعتصم بالله هو ثامن الخلفاء العباسيين للمزيد عن سيرته، انظر الطبري، ج5، ص193.

(2) انظر سابقاً، ص5، 6.

(3) السيوطي، تاريخ، ص344؛ ابن منظور، مختصر، ج27، ص40؛ القرماني، أخبار، ج2، ص107.

(4) الطبري، ج5، ص198.

(5) الأزدي، أخبار، ج2، ص254.

(6) الأربلي، خلاصة، ص224.

ويبدو أن الخليفة المأمون اهتم بتعليم هارون الواثق القرآن والخط، فقـد قـال المأمون للمعتصم: "يا أبا إسحاق لا تؤدب هارون فإني أرضى أدبه وكان قد تبنى به حتى كان يعلمه الأدب والخط بنفسه ويقرؤه القرآن بنفسه"(1) حتـى تعلـم الـشعر والأدب وكان يطلق عليه المأمون الأصغر(2).

وبعد هذه التهيئة العلمية من قبل عمه المأمون، اهتم به أبوه المعتصم في شبابه من الناحية الإدارية. ففي سنة 220هـ/835م خرج المعتصم لبناء مدينـة سـامراء واستخلف على بغداد ابنه هارون الواثق(3) وبقي نائبا للخليفة فـي بغـداد وصـلى بالناس يوم العيد في ذلك العام(4).

كما عمل المعتصم على إشراك الواثق في النواحي الحربيـة؛ يقـول الطبـري (ت310هـ/922م) أنه في سنة 223هـ/837م: "أرسل المعتصم ابنه هارون الواثق بالله لملاقاة القائد الأفشين بعدما هزم بابك الخرمي"(5) وقد أشركه والده المعتصم في بعض أسفاره فقد صحبه معه إلى دمشق عندما زارها أثناء خلافة عمه المأمون(6).

---

(1) محمد بن علي بن محمد بن العمراني، (ت580هـ) الأنباءفي تاريخ الخلفاء، تحقيق قاسـم السامرائي، مطبعة بريل، لندن، 1973، ص111، (سيشار إليـه تاليـاً: ابـن العمرانـي، الأنباء)، طالب الضمور، التربية والتعليم، رسالة ماجستير غير منـشورة، جامعـة مؤتـة، ص107 (سيشار إليه تاليا: الضمور، التربية).

(2) ابن العمراني، الإنباء، ص111.

(3) الطبري، تاريخ، ج5، ص213، الأصفهاني، الأغاني، ج9، ص290؛ أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، (ت820هـ) مآثر الأناقة في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار عالم الكتاب، بيروت، 1980، ج1، ص221.

(4) ابن أبي أصيبعة، عيون، ص235.

(5) الطبري، تاريخ، ج5، ص233، ابن الأثير، الكامل، ج5، ص246، محمد بن عبد المـنعم الحميري، الروض العطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبـة لبنـان، 1984، ص216، (سيشار إليه تاليا: الحميري، الروض).

(6) ابن منظور، مختصر، ج27، ص39.

كذلك دفع المعتصم بالواثق للمشاركة في مجال آخر من مجالات الخبرة إذ ولاه المعتصم على مكة وجاء في نسخة عهده: "أما بعد فإن أمير المؤمنين قد قلدك مكـة وزمزم؛ تراث أبيك الأقدم وجدك الأكرم وركضة جبريل وسقيا إسماعيل وحفر عبد المطلب وسقاية العباس فعليك بتقوى الله تعالى. والتوسعة على أهل بيته"[1]. إن ذلك يعني أن المعتصم هيأه لولاية العهد بعد أن قضى على المشاكل الداخلية التي واجهت الدولة العباسية، فقد قضى المعتصم على الحركات المناوئة للدولة مثل ثورة الزط[2] وحركة بابك الخرمي[3]، واستطاع أن يهزم الدولة البيزنطية وتـوج نـصره بفـتح عمورية[4] فتسلم الواثق دولة موطدة الأركان وهيأ لأبنه الواثق بالله عهدا من الهدوء والاستقرار نعمت به أرجاء الدولة العباسية طيلة حكمه[5].

وقد أشار السيوطي (ت911هـ/1505م) بأن الواثق بالله ولي الخلافة بعهد من أبيه[6]، وقد ذكرت المصادر أن الواثق بالله تولى الخلافة عند وفاة أبيه المعتصم بالله 227هـ/841م[7] حيث بايعه كبار القواد وعامة الناس[1].

---

(1) ركضة جبريل: تعني زمزم وكيف أن جبريل عليه السلام عندما ضما إسماعيل عليه السلام أخرج ماءها عندما همز بعقبة، انظر تقي الدين محمد بن أحمد الفاسي (ت832هـ) شـفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، بيروت، دار الكتب العلمية، (د.ت) ج1، ص247، (سيشار إليه تاليا: الفاسي، شفاء).

(2) الطبري، تاريخ، ج5، ص207-216.

(3) المصدر نفسه، ج5، ص210-216.

(4) الطبري، تاريخ، ج5، ص235-243.

(5) انظر الفصل الثاني، ص40-50.

(6) السيوطي، تاريخ، ص340.

(7) ابن قتيبة، المعارف، ص221، أبو يوسف يعقوب بن سفيان البسوي، (ت277هـ) كتـاب المعرفة والتاريخ، تحقيق أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1981، ص101، الطبري، تاريخ، ج5، ص273، المسعودي، مـروج، ج4، ص65، القـضاعي، عيـون، ص447، مسكويه، تجارب، ج4، ص86، الأزدي، ج2، ص354، أبو الفداء، المختـصر، ج2، ص15، ابن كثير، البداية، ج9، ص297، الأربلي، خلاصـة، ص224، القرمـاني، أخبار، ج2، ص16.

وقد أشارت بعض المصادر إلى أن المعتصم عهد لابنه الواثق بولاية العهد في فترة مبكرة، فقد ذكر ابن الجوزي في أحداث سنة 224هـ/838م "أن المعتصم دفع خاتم الخلافة إلى ابنه هارون، وإقامة مقام الخلافة عنه، واستكتب له سليمان بن محمد بن عبدالملك[2]، ويروى أن إسحاق بن إبراهيم الموصلي[3] هو من جعل المعتصم يفصح عن رغبته في العهد للواثق، فقد روي عنه أنه قال: "أنا أول من بين عهد الواثق للناس، فإن المعتصم بقي مدة في الخلافة لم يعهد إلى أحد من أولاده وكنت قد حلفت أنني لا أغني إلا لخليفة أو لولي عهد فاستدعاني يوماً هارون بن المعتصم وهو الواثق فلما حضرت عنده قال لي: أُحب أن تغنيني فامتنعت فذهب إلى المعتصم وشكاني فأحضرني المعتصم وقال لي: ويلك يا إسحاق بلغ من أمرك أنك تتكبر على هارون؟ فقلت يا أمير المؤمنين إنني حلفت أني لا أغني إلا لخليفة أو لولي عهده، فقال: امض وغني فلا شيء عليك فعلم الناس أنه قد ولاه العهد"[4].

4.1 ثقافته:

كان الواثق عالماً واسع المعرفة والثقافة، مما ساهم في النهضة العلمية التي شهدها العصر العباسي، فكان يتذوق الشعر عارفاً به[5] ويقول المسعودي (ت346هـ/957م): "وللواثق أخبار حسان وما كان يجري من المباحثة في مجلسه

---

(1) اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص479، ابن الكازروني، مختصر، ص142، ابن منظور، ج27، ص39.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، ج11، ص88.

(3) إسحاق بن إبراهيم بن ماهان بن بهمن بن نسك التميمي بالولاء الأرجاني الأصل معروف بابن النديم الموصلي من ندماء الخلفاء ومن العلماء باللغة والأخبار والأشعار، ولد سنة 150هـ/767م، وتوفي سنة 235هـ/849م، وكان قد عمي قبل موته بسنتين. ابن خلكان، وفيات، ج1، ص202-204.

(4) ابن العمراني، الأنباء، ص104.

(5) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت276هـ) عيون الأخبار، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992، ج3، ص39.

الذي عقده للنظر بين الفقهاء والمتكلمين في أنواع العلوم من العقليات والسمعيات في جميع الأصول والفروع"[1] ويصفه ابن العمراني بالقول:

"كان الواثق شاعرا أديبا كريما حافظا لأشعار العرب عارفا بالغناء"[2] ووصفه الذهبي (ت748هـ/1347) بأنه كان عالماً[3] أديباً شاعراً[4].

يقول عبدالملك المكي (ت1111هـ/1699م) عن الواثق: "كان عالماً شاعراً وحاذقاً، أكثر بني العباس رواية للشعر بليغا..."[5] أما ابن واردان فذكر عن الواثق أنه "كان حسن العبارة بديع الألفاظ ذا ذكاء وفطنة متحليا بمحاسن الآداب وكان محب للبيان"[6]. وقد انعكست هذه الصفات الثقافية على الحالة العلمية والأدبية في عهده، فالخليفة نفسه كان شاعراً[7] وقد احتوت المصادر على أبيات من الشعر المتناثرة في بطونها ومنها:

---

(1) المسعودي، مروج، ج4، ص76.

(2) ابن العمراني، الأبناء، ص111.

(3) الذهبي الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ) دول الإسلام، تحقيق عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1991، ج1، ص108، (سيشار إليه تاليا: الذهبي، دول) الذهبي (ت748هـ) العبر في خبر من غبر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985، تحقيق أبو هاجر محمد زغلول، ج1، ص325، (سيشار إليه تاليا: الذهبي، العبر).

(4) اليافعي، مرآة، ج2، ص81، الشيخ كمال الدين الدميري (ت808هـ) تاريخ الخلفاء، عناية محمد الفاضلي، مؤسسة المعارف للمطبوعات، بيروت، 2001، 114، (سيشار إليه تاليا: الدميري، تاريخ) ابن دقماق، الجوهر، ج2، ص141، القلقشندي، (ت820هـ) مآثر الأناقة في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار عالم الكتاب، (د.ت) سيشار إليه تاليا: (القلقشندي، مآثر) السيوطي، تاريخ، ص342، ابن العماد الحنبلي، شذرات، ج2، ص75، محمود مقديش، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق علي الزوادي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، ص114، (سيشار إليه تاليا: الدميري، تاريخ.

(5) عبد الملك المكي، سمط النجوم، ج3، ص463.

(6) ابن واردان، تاريخ، ص549.

(7) طالب حامد الضمور، التربية والتعليم في العراق في العصر العباسي الأول، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة مؤتة، 1996، ص27، سيشار إليه تاليا: الضمور، الحياة)؛=

تَـنَح عـن القبـيح ولا تـرده	ومــن أوليتــه حــسنا فــزده
ستكفى من عـدوك كـل كيـد	إذا كــاد العــدو ولــم تكــده[1]

وفي أحد الأيام ناوله خادمه وردا ونرجسا فانشد الواثق قائلا:

حيــاك بــالنرجس والــورد	معتــــدل القامــــة والقــــد
فالهبـت عينـاه نـار الهـوى	وزاد فــي اللوعــة والوجــد
املت فـي الملـك لـه قربـة	فــصار ملكــي ســبب البعــد
ورنحتــه ســكرات الهــوى	فمــال بالوصــل إلــى الــصد
إن سـئل البـذل ثنـى عطفـه	واســبل الــدمع علــى الخــد
عــز بمــا تجنيــه الحاظــة	لا يعــرف الإنجــاز للوعــد
مولى تشكى الظلم مـن عبـده	فانـصفوا المـوالي مـن العبـد[2]

فاجمع الأدباء أنه ليس لأحد من الخلفاء مثل هذه الأبيات[3]

وقال لما احتضر:

الموت فيه جميع الخلق مـشترك	لا سـوقة مـنهم يبقـى ولا ملـك
ماضر أهل قليل فـي تفـاقرهم	وليس يغني على الأملاك ما ملكـوا

ومن شعره:

حـين اسـتتم بـارداف تجاذبـه	واخضر فوق قنـاع الـدر شـاربه
وتم في الحسن فالتامت ملاحتـه	ومازجــت بــدعا منــه عجائبــه
كلمتــه بجفــون غيــر ناطقــة	فكان من رده مـا قـال حاجبـه[4]

= عوض الذنيبات، إسهامات علماء الكوفة في الحركة الفكرية في بغـداد، وزارة الثقافـة، عمان، 2002، ص81، (سيشار إليه تاليا: الذنيبات، إسهامات).

(1) ابن كثير، البداية، ج9، ص310.

(2) ابن كثير، البداية، ج9، ص310.

(3) السيوطي، تاريخ، ص345؛ عبدالملك المكي، سمط، ج3، ص463؛ القرماني، أخبار، ج2، ص109؛ الزبير بن بكار (ت256هـ/869م)، الأخبار الموفقيات، ط1، تحقيق سامي مكي، دار عالم الكتاب، بيروت، 1966م، ص99 (سيشار إليه تالياً: ابن بكار، الأخبار).

(4) ابن منظور، مختصر، ج27، ص45.

هي المقادير تجرى فـي اعنتهـا | فاصبر فليس لها صبر علـى حـال
تـنح عـن القبـيح ولاتـرده | ومـن أوليتـه حـسنا فـزده
ستكفي مـن عـدوك كـل كيـد | إذا كـان العـدو لـم يكـده[1]

قال الواثق

دع المقادير تجري في أعنتهـا | واصبر فليس لها صبر علـى حـال
تريك يوما وضيع القدر مرتفعـا | إلى السماء ويوما تخفض العـالي[2]

ومن شعره في الغزل:

مهج يملك المهج بسجى اللحظ والدعج

حـسن القـد بعطـف | ذو دلال وذو غـنج
لـيس للعـين إذ بـدا | عنـه بـاللحظ منعـرج[3]

ولما بدأ الواثق بالله يحتضر قال هذه الأبيات:

الموت فيه جميع الخلق مـشترك | لا سـوقة مـنهم يبقـى ولا ملـك
ماضر أهل قليل فـي تفـاقرهم | وليس يغني عن الأملاك ما ملكوا[4]

كما انعكست ثقافته على مجالات أخرى، حيث شهد عهده حراكاً ثقافياً تمثل في عقد:

المجالس العلمية:

سار الواثق على طريق المأمون في ميادين العلم والثقافة، فشهد عصره نهـضة علمية في شتى المجالات؛ فقد جمع حوله العلماء وشجعهم وكانت له مجـالس علـم يجلس فيها مع العلماء وكانت تعقد بطريقة منتظمة على ما يبدو ويحضرها العلماء، ذكر المسعودي (ت365هـ/975م) "وكان الواثق محبا للنظر مكرما لأهله مبغضا للتقليد وأهله محبا للإشراف على علوم الناس وآرائهم ممن تقدم وتأخر من الفلاسفة والمتطببين فجرى بحضرته أنواع من علومهم في الطبيعيات وما بعـد ذلـك مـن

(1) ابن واردان، تاريخ، ص570.

(2) الأربلي، خلاصة، ص224.

(3) القرماني، أخبار، ج2، ص109-110.

(4) الأزدي، أخبار، ج2، ص356، القرماني، أخبار، ج2، ص110.

الألهيات، فقال لهم الواثق قد أحببت أن أعلم كيفية إدراك معرفـة الطـب ومأخـذ أصوله أذلك من الحسن أم من القياس والسنة؟ أم يدرك بأوائل العقل؟ أم علم ذلـك وطريقة يعلم عندكم من جهة السمع، كما يذهب إليه جماعة من أهل الشريعة؟ وقـد كان ابن بختيشوع وابن ماسويه ميخائيل فيمن حضر وأن حنين بن إسحاق وسلمويه فيمن حضر هذا المجلس"[1].

يستخلص من هذا النص أن الخليفة الواثق أقام حلقات متنوعـة تناولـت شـتى أصناف العلوم في الفلسفة والطب والعلوم الطبيعية والأديان والشرع وكانت بحضور علماء بارزين. ويلاحظ أن الواثق ركز كثيراً على العلـوم الطبيـة، حيـث قـال المسعودي: أنه أشرك كبار العلماء في مجالسه العلمية وناقشهم "في طبائع الأبـدان والصحة والمرض والعادات والأطعمة والأشربة"، كما ناقش حنين بن إسحاق فـي موضوع صحة الفم والأسنان وأمره أن يؤلف له كتابا في المضغ والطعام فصنف له كتابا جاء في ثلاثة فصول بين فيه الفرق بين الغذاء والـدواء ومـرض الإسـهال وأجزاء الجسم، وكان الواثق يناقش حنين بن إسحاق في علم الطب ويجيب الأخيـر عن تساؤلات الخليفة[2].

ومن أنواع العلوم التي كانت تبحث في مجالس الواثق العلمية العلـوم المتعلقـة بالفقه والعلوم العقلية وناقش معهم السمعيات[3] ولشدة رغبة الواثق بالمجالس العلمية فقد عظم العلماء وجالسهم واستكثر منهم[4] كما دارت في الحلقات العلمية نقاشـات أدبية تتعلق باللغة العربية[5] واشتهر الواثق أنه كان عالمـا بالأنـساب[6] حتـى أن السيوطي (ت911هـ/1505م) بالغ كثيراً في هذا السياق معتبراً أن الواثـق "كـان

---

(1) المسعودي، مروج، ج4، ص77.
(2) المسعودي، مروج، ج4، ص79-81.
(3) المصدر نفسه، ج4، ص84.
(4) الماوردي، نصيحة، ص106.
(5) ابن واردان، تاريخ، ص554.
(6) البكجري، مختصر، ص120.

أعلم الناس بكل الأشياء)[1] وقد امتدحه التنوخي (ت384هـ/994م) بأنه كان "لبيباً"[2] وقد طلب الواثق من بعض العلماء تأليف الكتب فألف له حنين بن إسحاق كتابا سماه "المسائل الطبيعية"[3] كما عنى الواثق بالترجمة واحتوى بلاطه على بعض المترجمين مثل "فشيون الترجمان"[4]. وانعكست ثقافة الخليفة على مجالات أخرى تمثلت بالبعثات العلمية والاستكشافية، فقد أرسل في هذا المجال رحلتين هما:

أ. رحلة سلام الترجمان:

سلام الترجمان هو أحد المترجمين المقربين إلى الخليفة الواثق بالله، حيث كان يترجم الكتب التي ترد على الواثق من أمراء الترك[5] وقد رأى الخليفة الواثق وهو نائم رؤيا مفادها أن السد الذي بناه ذو القرنين قد انهار وعلى الفور أرسل بعثة علمية برئاسة سلام الترجمان ومعه خمسون رجلا وزودهم بالماء والمؤن والدواب والمال والرسائل لولاة الأقاليم الإسلامية التي سيمرون بها لتسهيل مهمة هذه البعثة[6] وترد تفاصيل هذه الرحلة والمناطق التي مروا بها حتى وصولهم إلى سد يأجوج ومأجوج وعودتهم[7].

---

(1) السيوطي، تاريخ، ص342.

(2) التنوخي، نثوار، ج1، ص289.

(3) حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلامي السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط4، دار الأندلس، بيروت 1969، ج2، ص84 (سيشار إليه تالياً: حسن، تاريخ)؛ الروضان، موسوعة، ج2، ص84، ص302.

(4) ابن أبي أصيبعة، عيون، ص201.

(5) أبو عبيد البكري، (ت487هـ)، المسالك والممالك، ط1، تحقيق أدريان فإن ليوفن، واندري فيري، وزارة الثقافة، تونس 1992، ج1، ص455 (سيشار إليه تالياً: البكري، المسالك).

(6) البكري، المسالك، ص455، أبو عبدالله محمد بن محمد بن عبد الله بن أدريس الحموي المعروف بالشريف الإدريسي (ت ق6هـ) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط2، دار عالم الكتاب، بيروت 1989، ص934-938 (سيشار إليه تالياً: الإدريسي، نزهة).

(7) البكري، المسالك، ص455؛ الإدريسي، نزهة، ص934-938، محمد بن عبدالمنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت 1984، ص310 (سيشار إليه تالياً: الحميري، الروض)؛ ابن فضل الله العمري،=

ب. رحلة محمد بن موسى المنجم:

هو محمد بن موسى بن شاكر بن عبدالله. من العلماء الذين برعوا في معارف وعلوم مختلفة، منها الهندسة والحكمة والموسيقى والنجوم والميكانيك، كان من المقربين من الخليفة المأمون، يرجع إليه في حل ما يعجز عن فهمه من آراء متقدمي الحكماء، وكان قد أرسله المأمون إلى بلاد الروم من أجل إحضار مؤلفات العلوم القديمة وخاصة كتب الحكمة(1).

ويبدو أن خبرة محمد بن موسى ومعرفته في بلاد الروم قد جعلت الخليفة الواثق بالله يستفيد منه وأصبح من المقربين إليه ويحضر مجالسه العلمية، وعندما حصل خلاف مفاده هل أن أصحاب الكهف هم أصحاب الرقيم؟ وللإجابة على هذا التساؤل قام الخليفة الواثق بالله بإرسال بعثة علمية استكشافية يرأسها محمد بن موسى ووصل إلى بلاد الروم(2) فزار مدينة افسيس(3).

ومن المجالات الثقافية الأخرى في عهد الواثق مجالس الغناء والموسيقى:

كان الخليفة الواثق بالله يجيد فن الغناء والعزف على الآلات الموسيقية واهتم بالموسيقى والغناء اهتماماً شديداً(4)، حتى أن أحد الباحثين وصفه في هذا السياق بأنه

= (ت749هـ) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق، محمد سالم الصوفي، مطبعة المدني، القاهرة 1990، ص31 (سيشار إليه تالياً: العمري، مسالك)؛ ابن تغري بردي (ت874هـ/1469م)، النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، القاهرة 1984، ج2، ص315، (سيشار إليه تالياً: ابن ثغري بردي، النجوم).

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج5، ص161-163؛ الزركلي، الأعلام، ج5، ص163.

(2) البكري، المسالك، ص49؛ الحميري، الروض، ص49؛ شاكر مصطفى، دولة بني العباس، الكويت 1983، ص341 (سيشار إليه تالياً: مصطفى، دولة).

(3) الحميري، الروض، ص49؛ أفسيس هي مدينة رومية قرب القسطنطينية تطل على بحر الأرمن، انظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص197.

(4) رمزية الأطرقجي، الحياة الاجتماعية في بغداد منذ نشأتها حتى نهاية العصر العباسي الأول، جامعة بغداد 1982، ص333 (سيشار إليه تالياً: الأطرقجي، الحياة)؛ أحمد عبدالباقي، سامرا عاصمة الدولة العربية في عهد العباسيين، دار الشؤون الثقافية، بغداد 1989، ص266 (سيشار إليه تالياً: عبدالباقي، سامرا)؛ عادل الهاشمي، (الموسيقى=

أول خليفة عباسي موسيقي[1]. وقد أسهب أبو الفرج الأصفهاني (ت356هـ/966م) بالحديث عن براعة الواثق بالله بالعزف والغناء فقال: "كان الواثق بارعاً في الغناء والضرب على العود"[2] وأنه صنع مائة صوت، أي أنه اخترع مائة لحن أغنية[3]، ووصفه بأنه أعلم خلفاء بني العباس بالغناء، وأنه أحذق من غنى بضرب العود[4].

ويبدو أن الخليفة قد عين له مستشاراً موسيقياً، حيث كان يعرض الحانة ويناقشها مع الموسيقي إسحاق بن سليمان بن علي بن إبراهيم[5]. يذكر السيوطي في هذا السياق "وكان أعلم الخلفاء بالغناء، وله أصوات وألحان عملها نحو مائة صوت، وكان حاذقاً بضرب العود"[6] وأكد ذلك القرماني (ت1019هـ/1610م) فقال "كان أعلم الخلفاء وله أصوات وألحان نحو مائة صوت، وكان يضرب بالعود وكان راوية للأشعار والأخبار"[7].

= والغناء)، مجلة حضارة العراق، عدد9، مطبعة بغداد، بغداد 1985، ج9، ص554 (سيشار إليه تالياً: الهاشمي، الموسيقى)؛ وليم الخازن، الحضارة العباسية، دار المشرق، بيروت 1992، ص31 (سيشار إليه تالياً: الخازن، الحضارة).

(1) Philip. K. Hitti, History of the Arabs, tenth Edition, 1982, London, P.426; (Hitti, History)، زهير الكلبي، موسوعة تاريخ المسلمين، دار الفكر، بيروت 1994، ص48 (سيشار إليه تالياً: الكلبي، موسوعة)؛ عبدالمنعم الهاشمي، الخلافة العباسية، دار ابن حزم، بيروت 2003، ص349 (سيشار إليه تالياً: الهاشمي، الخلافة).

(2) الأصفهاني، الأغاني، ج9، ص268.

(3) المصدر نفسه، ج9، ص269، 282.

(4) المصدر نفسه، ج9، ص258.

(5) المصدر نفسه، ج9، ص273. كان الواثق إذا صنع شيئاً من الغناء أخبر إسحاق به وعرضه عليه حتى يصلح ما فيه ثم يظهره.

(6) السيوطي، تاريخ، ص342.

(7) القرماني، أخبار، ج2، ص107.

وكانت مجالس الغناء في بلاط الواثق لها طقوس خاصة للاستماع، بحيث يستمع الغلمان وهم وقوف بحضرة الخليفة[1]، وكان المغنون يحضرون مجالس الخليفة ومع كل واحد منهم العود إلا إسحاق بن إبراهيم، فقد كان يحضر من غيـر عـود، وإذا أمره الخليفة بالغناء أُحضر له العود[2]، وإذا تثاءب الخليفة ومس وجهه كـان ذلـك إيذاناً بانتهاء مجالس الغناء[3].

وقد أغدق الواثق بالله على المغنيين الأموال وبخاصة إذا طرب واستمتع بغنـاء أحدهم مثل عبدالله الذي أعطاه في إحدى جلساته عـشرة آلاف دره ـم وثيـاب[4]، وإسحاق بن إبراهيم كما وهب علوية ألف دينار عندما استحسن غناءها في إحـدى المرات[5]، وأعطى ابن العباس الربيعي خمسة آلاف درهم[6]، وكان إذا سمع عـن جارية حسنة الصوت اشتراها مثل قلم التي دفع ثمنها قرابة عشرة آلاف دينار[7].

---

(1) سعدي ضناوي، موسوعة هارون الرشيد، دار صادر، بيروت 2001، ج1، ص97 (سيشار إليه تالياً: ضناوي، هارون الرشيد)؛ فيليب حتى وآخرون، تاريخ العرب مطـول، بيـروت 1965، ص514 (سيشار إليه تالياً: حتى، تاريخ)؛ عبدالسلام الترمانيني، أزمنـة التـاريخ الإسلامي، تحقيق ومراجعة شاكر مصطفى، جامعة الكويت 1982، ج1، ص916 (سيشار إليه تالياً: الترمانيني، أزمنة).

(2) سعيد عبدالفتاح عاشور، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية، دار ذات السلاسل، الكويت 1986، ص424 (سيشار إليه تالياً: عاشور، دراسات).

(3) الجاحظ، التاج، ص120؛ أبو الحسن الهلال بن المحسن الـصابي، (ت448هـ ـ/1056م)، رسوم دار الخلافة، تحقيق ميخائيل عواد، مطبعة العاني، بغداد 1964، ص91 (سيشار إليه تالياً: الصابي، رسوم)؛ طلب صبار محل، رسوم دار الخلافـة، رسـالة ماجـستير غيـر منشورة، جامعة صلاح الدين 1989، ص138 (سيشار إليه تالياً: محل، رسوم).

(4) الأصفهاني، الأغاني، ج19، ص206-207.

(5) المصدر السابق، ج5، ص366.

(6) المصدر السابق، ج19، ص201-202.

(7) السيوطي، المستظرف، ص35؛ ضيف الله يحيى الزهراني، النفقات وإدارتها فـي الدولـة العباسية، مكتبة الطالب الجامعي، مكة 1986، ص170 (سيشار إليـه تاليـاً: الزهرانـي، النفقات).

وخلاصة القول أن عصر الخليفة الواثق بالله ومجلسه كان زاخراً بشتى أنـواع وفروع المعرفة، كما حفل بلاطه بعلماء كبار[1]، حتى وصفه السيوطي أنه كان أعلم من المأمون بالقول: "ولم يكن من خلفاء بني العباس أكثر رواية للشعر من الواثـق فقيل كان أروى من المأمون؟ فقال: نعم، كان المأمون قد مزج بعلم العـرب علـم الأوائل من النجوم والطب والمنطق، وكان الواثق لا يخلط بعلم العرب شيئاً"[2].

وكان الواثق بالله راعياً للآداب والعلوم[3]، حيث جرت مناقشات وتحليل للأشعار التي كانت تنشد أمامه بحضور لغويين ونحويين مثل الشيخ أبـو عثمـان المـازني البصري[4]، كما خصص الأموال للإنفاق على المترجمين والعلماء[5]، وقـد بـرع الواثق بعلم الأنساب، وأحضر علماء من كافة الأقاليم اختصوا بالأنساب وحـضروا مجالسه[6]، وقد اهتم بعقد المناظرات بين الفقهاء والفلاسفة وجميـع فـروع العلـم والمعرفة[7].

ومن الجدير بالذكر أنه شارك شخصياً في المناقشات العلمية المتعلقـة بالطـب والصحة والأمراض، وكلف بعض العلماء مثل حنين بن إسـحاق بتـأليف الكتـب المتعلقة بالصحة والمرض والطعام[8].

كما أولى الترجمة عناية فائقة وقرب إليه المترجمين مثل منتشون ويوحنـا بـن ماسويه وغيرهم[9]، وقد كانت حركة الترجمة في العصر العباسي الأول من العوامل التي رفعت العرب والمسلمين إلى مستوى الريادة الثقافية، وقد لعب المأمون والواثق

---

(1) أنظر جدول رقم (1).

(2) السيوطي، تاريخ، ص343.

(3) سيد أمير علي، مختصر، ص146.

(4) عبدالملك، سمط، ج3، ص460-461؛ الزجاجي، مجالس العلماء، ص35.

(5) الزهراني، النفقات، ص359.

(6) البكجري، مختصر، ص20؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج2، ص319.

(7) المسعودي، التنبيه، ج4، ص84.

(8) المصدر السابق، ج4، ص79-81.

(9) الزهراني، النفقات، ص239.

دوراً مهماً في هذا المضمار، حيث قاما بتغذية حركة النقـل والترجمـة، وتوجيـه العلماء إلى الأخذ بها، وبقيت حركة الترجمة قوية خلال هذا العصر، ولكنها توقفت في مطلع القرن الرابع الهجري بعد أن تسلط الأتراك على الخلافة واثاروا المشاكل في وجه الدولة[1].

وبقيت مدرسة الترجمة التي أنشأها حنين بن إسحاق تتابع نشاطها طيلة خلافـة المعتصم والواثق والمتوكل وقد أتحفت الثقافة العربية بأفضل ما أنتجتـه الثقافـات القديمة من علوم وفنون نقلت عن اليونان والرومان[2]، ومجالس الواثق كانت مليئـة بالعلماء[3].

جدول (1)

أسماء العلماء والأدباء في عصر الخليفة الواثق

اسم العالم	علمه –تخصصه	عصر الخليفة	معلومات عن العالم
1. حنين بن إسحاق	الطب	الواثق بالله	برع فـي الطـب والفلـسفة[4] حـضر مجـالس ومناظرات الخليفة الواثق
2. هارون بن زياد.	التربية والتعليم	الواثق بالله	هو مربي الخليفة ومؤدبه وكان الواثـق يعتـرف بفضله[5]
3. أبو عثمان المازني.	الأدب والشعر والنحو	الواثق بالله	هو أبو عثمان بكر بن محمد بصري، عالم بالأدب والشعر[6] والنسب، (ت236هـ)
4. ابن الأعرابي.	الأدب والشعر واللغة.	الواثق بالله	اشترك في مجالس الواثق الأدبية[1]

---

(1) مصطفى علم الدين، الزمن العباسي، دار النهضة العربية، ط1، بيـروت 1993م، ص232 (سيشار إليه تالياً: علم الدين، الزمن).

(2) علم الدين، الزمن، ص233.

(3) اليافعي، مرآة، ج2، ص80.

(4) المسعودي، مروج، ج4، ص77، 79-81؛ الذنيبات، إسهامات، ص82.

(5) انظر الفصل الأول، ص22.

(6) ابن واردان، تاريخ، ص555؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج2، ص319؛ عبدالملك، سـمط، ج3، ص460-461.

5. عبد الله الربيعي.	الشعر والغناء.	الواثق بالله	كان يغني الشعر بين يدي الواثق ويغدق عليه بالمال[2]
6. محمد بن زياد الأعرابي.	الشعر واللغة.	الواثق بالله	أحد علماء اللغة البارزين توفي سنة 232هـ[3]
7. يحي بن عبد الحميد الحافظ.	الحديث الشريف.	الواثق بالله	كان يحفظ عشرة آلاف حديث توفي في سامراء سنة 228هـ[4]
8. أبو تمام حبيب بن أوس الطائي.	الشعر.	الواثق بالله	عاصر الواثق توفي بالموصل 228هـ[5]
9. علي بن الجعد.	الحديث الشريف.	الواثق بالله	من أصحاب الحديث وأهل النقل توفي 230هـ[6]
10. أبو جعفر محمد بن علي الرضا.	أحد أئمة الأثنى عشرية.	الواثق بالله	توفي في سامراء[7]
11. عبد الملك بن عبد العزيز الحافظ.	الفقه.	الواثق بالله	من العلماء الزهاد عارضه أحمد بن حنبل في فقهه[8]
12. محمد بن مصعب أبو جعفر البغدادي.	القراءات	الواثق بالله	أحد العباد الزهاد والعلماء أثنى عليه ابن حنبل[9]
13.يوحنا بن ماسويه	الترجمة والطب	الواثق بالله	هو طبيب الخليفة وكان يغدق عليه المال وهو مسيحي سرياني برع في الترجمة[10]
14. ابن بختيشوع	الطب والفلسفة	الواثق بالله	كان يدنيه الواثق منه في مجالسه العلمية[1]

(1) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج9، ص191؛ ابن خلكان، وفيات، ج4، ص308.

(2) الأصفهاني، الأغاني، ج19، ص201-202.

(3) ابن تغري بردي، النجوم، ج2، ص320؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج9، ص191.

(4) ابن تغري بردي، النجوم، ج2، ص308.

(5) المسعودي، مروج، ج4، ص68؛ ابن الكازورني اعتبره شاعر الواثق الشخصي، ابن الكازروني، مختصر، ص144.

(6) المسعودي، مروج، ج4، ص76.

(7) المصدر نفسه، مروج، ج4، ص77.

(8) ابن تغري، النجوم، ج2، ص307.

(9) المصدر نفسه، النجوم، ج2، ص308.

(10) ابن أبي أصيبعة، عيون الأطباء، ص246، الزهراني، النفقات، ص215.

15. ميخائيل.	الفلسفة	الواثــق بالله	كان يحضر مجالس الواثق ومناظراته[2]
16. سلمويه	الفلسفة	الواثــق بالله	كان يحضر مجالس الواثق ومناظراته[3]
17. فشيون	الترجمة	الواثــق بالله	كان من المترجمين المقربين للواثق[4]
18. نعــيم بــن حمــاد المروزي	علم الحديث	الواثــق بالله	عاش في سامراء وتوفي 229هـ[5]
19. مروان بن ســلمان أبو السمط	اللغة والشعر	الواثــق بالله	سكن سامراء وعاصر الواثق[6]
20. محمد بــن موســى الخوارزمي	علم الرياضيات	الواثــق بالله	برز علميا زمن المأمون وعاصر الواثق بالله[7]
21. أبو يوسف يعقــوب الكندي	الفلسفة	الواثــق بالله	من أعلام الحركة الفكرية في عصر الواثق[8]

---

(1) المسعودي، مروج، ج4، ص77.

(2) المسعودي، مروج، ج4، ص77.

(3) المصدر السابق، ج4، ص77.

(4) ابن أبي أصيبعة، عيون، ص201.

(5) اليافعي، مرآة، ج2، ص74.

(6) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج13، ص153.

(7) علي عبدالله، نوابغ العلماء العرب والمسلمين في الرياضــيات، دار جــون وايلــي 1980، ص62، (سيشار إليه تالياً: عبدالله، نوابغ)؛ محمد بن إسحاق البغدادي المعروف بابن النديم، (ت383هـ)، الفهرست، ص383 (سيشار إليه تالياً: ابن النديم، الفهرست).

(8) ابن النديم، الفهرست، ص357.

جدول (2)

أسماء المغنيين والمغنيات

اسم المغني/المغنية	عصر الخليفة	معلومات
أبو دلف القاسم بن عيسى	الواثق بالله	كان له مكانة عالية ومقرب من الخليفة الواثق بالله، لأنه يجيد الغناء والشعر(1).
إسحاق بن سليمان بن إبراهيم	الواثق بالله	كان الخليفة إذا صنع لحناً يعرضه على إسحاق حتى يصحح ما فيه من أخطاء(2).
الجارية فريدة	الواثق بالله	من مغنيات الخليفة المقربات إلى مجلسه(3).
شادية	الواثق بالله	من أشهر جواري الواثق ومغنياته ولشدة إعجابه بها كان يسميها (ستي)(4).
عبدالله بن عباس	الواثق بالله	كان الواثق يطرب على صوته ويغدق عليه الأموال(5).
أبو حشيشة الطنبوري	الواثق بالله	من المغنيين المبدعين كان الخليفة يقربه من مجلسه(6).
مخارق	الواثق بالله	كان من كبار المغنيين في مجالس الخليفة(7).
علوة	الواثق بالله	من كبار مغنيات الخليفة(8).
عريب	الواثق بالله	كان الخليفة يطلب منها أن تعارض بعض الحانة(9).
قلم الصالحية	الواثق بالله	اشتراها بعشرة آلاف دينار(10).

---

(1) الأصفهاني، الأغاني، ج8، ص249.

(2) المصدر نفسه، ج9، ص273؛ عاشور، دراسات، ص422؛ الأطرقجي، الحياة، ص333.

(3) الأصفهاني، الأغاني، ج9، ص274؛ محمود الهجرسي، محمد بن عبدالملك الزيات، المؤسسة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1965، ص97 (سيشار إليه تالياً: الهجرسي، محمد بن عبدالملك).

(4) الأصفهاني، الأغاني، ج15، ص327؛ عاشور، دراسات، ص431.

(5) الأصفهاني، الأغاني، ج19، ص191.

(6) عبدالباقي، سامرا، ص264.

(7) الأصفهاني، الأغاني، ج9، ص298.

(8) عاشور، دراسات، ص424.

(9) الأصفهاني، الأغاني، ج9، ص298؛ عاشور، دراسات، ص424.

(10) السيوطي، المستظرف، ص35؛ الزهراني، النفقات، ص170.

الفصل الثاني

سياسة الواثق تجاه الحركات المناوئة

شهد عصر الخليفة الواثق بالله قيام بعض الحركات المناوئة للدولة العباسية ولغرض فهم سياسة الخليفة تجاه الحركات المناوئة لا بد من الرجوع إلى ما كان عليه الأمر قبل تسلمه الخلافة.

إن أبرز ما واجهته الدولة العباسية خلال القرن الأول الذي أعقب تأسيسها يمكن حصرها بما يأتي:

1. الثورات العلوية التي عمت الدولة العباسية خلال النصف الثاني من القرن الثاني الهجري(1).
2. رفض الخوارج لشرعية العباسيين في الحكم فمنذ ظهور الخوارج رفضوا الاعتراف بأية خلافة لا تقوم على مبدأ الشورى وكان رأيهم أن الإمام يجب أن يختار من قبل الأمة اختيارا حرا ليس لاعتبار الأصل أو القبيلة أو الجنس وللأمة حق عزل الإمام إذا أخل بشروط العقد بينه وبين الجماعة(2) وقد ظل الخوارج مخلصين لأفكارهم هذه في عهد الدولة العباسية وقامت ثورات عدة خلال العصر العباسي الأول قبل مجيء الواثق إلى الحكم(3).

---

(1) انظر مثلا ثورة محمد بن النفس الزكية الذي ثار في الحجاز ضد أبي جعفر المنصور سنة 145هـ عند، أحمد بن يحيى البلاذري (ت279هـ/843م) أنساب الأشراف، تحقيق عبد العزيز الدوري، المطبعة الكاثوليكية، بيروت 1987، م3، ص1245 (سيشار إليه تاليا: البلاذري أنساب)؛ ابن الأثير، الكامل، ج5، ص168.

(2) للمزيد عن فكر الخوارج انظر، فاروق عمر فوزي، التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين، دار اقرأ، بيروت 1985، ص13-33 (سيشار إليه تاليا: فوزي، التاريخ).

(3) عن ثورات الخوارج، انظر، الدوري، العصر، ص150.

3. قيام حركات فارسية مناهضة للدولة العباسية[1] ولكن هذه الحركات لم تعمر طويلا حيث حل محلها قيام الفرس بإذكاء نشاط فكري وعقائدي عرف باسم الزندقة والشعوبية[2].
4. رفض أهل الشام للحكم العباسـي، فمنـذ سـقوط الدولـة الأمويـة سـنة 132هـ/849م والمناداة بأبي العباس السفاح كأول خليفة عباسي رافق ذلـك وأعقبه قتل عدد كبير من الأمويين وأنصارهم[3]، وشهد العـصر العباسـي الأول قيام العديد من الثورات في بلاد الشام[4].
5. قيام الأعراب بحركات تمرد وارتكابهم الفساد في فترات متباينة منـذ قيـام الدولة العباسية[5].

---

(1) عن ثورات الفرس انظر، خليل إبراهيم السامرائي، تاريخ الدولة العربية الإسـلامية فـي العصر العباسي، جامعة الموصل 1988، ص33 وما بعدها (سيشار إليه تاليا: الـسامرائي، تاريخ).

(2) للمزيد عن الزندقة والشعوبية انظر، حسين عطوان، الزندقة والشعوبية في العصر العباسي الأول، دار الجيل، بيروت 1986، ص2-26 (سيشار إليه تاليا: عطوان، الزندقة).

(3) مصطفى، دولة، ص202.

(4) الشواورة، سياسة، ص58-59.

(5) أبو يوسف يعقوب بن سفيان البسوي (ت277هـ/890م) كتاب المعرفة والتاريخ، تحقيـق أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة، بيروت 1981، ج1، ص207 (سيشار إليـه تاليـاً: البسوي، المعرفة)؛ أبو زيد أحمد بن سهل البلخي، كتاب البدء والتاريخ، بـاريس، 1899م، ج6، ص118 (سيشار إليه تالياً: البلخي، البدء)؛ إحسان عباس، تاريخ بـلاد الـشام، فـي العصر العباسي، الجامعة الأردنية، عمان 1992م، ص273 (سيشار إليه تاليـاً: عبـاس، تاريخ)؛ نبيه عاقل، فلسطين من الفتح الإسلامي إلـى أواسـط القـرن الرابـع الهجـري، الموسوعة الفلسطينية، بيروت 1990م، ج2، ص280 (سيشار إليه تالياً: عاقل، فلـسطين)؛ محمد عبدالحفيظ المناصير، الجيش في العصر العباسـي الأول، رسـالة دكتـوراة غيـر منشورة، جامعة النيلين 1998، ص490-491 (سيشار إليه تاليـاً: المناصـير، الجـيش)؛ الشواورة، سياسة، ص60-61.

1.2 أبرز الأحداث في عهد المعتصم.

أما أبرز الأحداث الداخلية في عهد الخليفة المعتصم بالله فهي:

1. ثورة بابك الخُرمي[1] (201-221هـ/816-840م).

استغل بابك الخرمي الأوضاع في الدولة العباسية بسبب الصراع بـين الأمـين والمأمون وكان هذا الثائر يهدف إلى ضرب السلطان العربي والدين الإسـلامي[2]، حيث استغل الجو المشحون بالفتن والانقسام، وفي هذه الأثناء كان على أرمينيا حاتم بن هرثمة بن اعين[3]، الذي أساءه ما أحل بأبيه من قتل، فبدأت روح الانتقام لديـه، فيذكر اليعقوبي أنه عندما بلغه خبر مقتل أبيه خرج وكاتب البطارقة ووجـوه أهـل أرمينية، وكاتب بابك والخرمية وهون أمر المسلمين عندهم فتحرك بابك في مناطق الجبال[4].

بدأ بابك حركته في مناطق البدين[5]، ثم انتشرت هذه الحركـة انتـشاراً كبيـراً ودخل بها خلقاً كثيراً طمعاً بالغنائم أو خوفاً من بابك[6].

حاول المأمون القضاء علـى حركـة بابـك سـنة 204هـ ـ/819م، وسـنة 209هـ/824م، وسنة 212هـ/827م، وسنة 214هـ/829م[1]، فأوصى المـأمون

---

(1) بابك الخرمي: هو الحسن أو الحسين ثم تلقب بابك ويقال هو من نسل فاطمة بنت أبي مسلم الخراساني، وهو ثائر فارسي الأصل مجوسي الديانة كان قوي النفس شديد البطش صـاب المراس، ثار على المأمون سنة 201هـ/816م واستمرت ثورته حتـى 222هـ ـ/836م. انظر الكساسبه، صراع، ص367.

(2) المقدسي، البدء، ج4، ص31.

(3) حاتم بن هرثمة: هو أحد رجالات العـصر العباسـي الأول ولـي شـرطة مـصر عـام 178هـ/794م، أثناء ولاية أبيه عليها، وفي عصر الأمين عينه والياً علـى مـصر سـنة 194هـ/809م، انظر الزركلي، الإعلام، ج2، ص152.

(4) اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص462؛ انظر ابن قتيبة، المعارف ص389؛ مجهول العيون، ج3، ص350.

(5) البدين: مناطق يقع في أذربيجان، المسعودي، مروج، ج4، ص34.

(6) الدوري، العصر، ص183.

أخاه المعتصم بمتابعة الجهاد ضده، وفعلاً أرسل المعتصم جيشاً سنة 220هـ/835م بقيادة الأفشين، وجرت بينهما مواجهات عسكرية انتهت بهزيمة بابك وقتله وصلبه في سامراء سنة 222هـ/836م[2]، وكانت خطورة هذه الحركة في عهد المعتصم تكمن في أن بابك قد تراسل وتحالف مع الإمبراطور البيزنطي تيوفيل وهذا التحالف كان قد زاد في شوكة بابك وأعطاه القدرة على الاستمرار بالثورة لمدة طويلة قاربت الإحدى والعشرين سنة[3].

2. العباس بن المأمون:

بعد وفاة المأمون بويع المعتصم بالخلافة سنة 218هـ وقد أظهر بعض القادة العسكريين في الجيش العباسي ميلهم إلى بيعة العباس بن المأمون[4] وأرادوا مبايعته بالخلافة[5]، ولكن العباس أبدى عقلانية وإخلاصاً لبيعة عمه المعتصم وقال لهم :"قد بايعت عمي وسلمت بالخلافة إليه، فسكت الجند"[6] ويبدو أن السبب وراء رغبة بعض عناصر الجيش في بيعة العباس هو ما عرف عن المعتصم من ميله للأتراك على حساب العناصر الأخرى من عرب وفرس وما عرف به من شدة وقسوة[7]،

---

(1) الطبري، تاريخ، ج5، ص210؛ اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص432؛ المقدسي، البدء، ج6، ص119؛ ابن الأثير، الكامل، ج5، ص235.

(2) الطبري، تاريخ، ج5، ص210؛ الذهبي، دول، ص104؛ الأزري، تاريخ، ص350.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، ج11، ص78؛ الدوري، العصر، 183؛ الخلافة، ج1، ص271؛ السامرائي، تاريخ، ص42.

(4) اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص471؛ ابن العمراني، الأنباء، ص104؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج11، ص27؛ النويري، نهاية، ج22، ص245.

(5) ابن قتيبة، المعارف، ص392؛ ابن أعثم، الفتوح، ج4، ص470؛ مجهول، العيون، ج3، ص470؛ مسكوية، تجارب، ج4، ص3.

(6) الطبري، تاريخ، ج5، ص124؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج11، ص27.

(7) النويري، نهاية، ج22، ص260؛ للمزيد عن المعتصم والأتراك انظر أعلاه، الفصل الرابع، ص120-130.

سوف تحد من نفوذهم إذا تسلم الخلافة، في حين رأوا أن العباس بن المأمون سيكون أسهل انقياداً لهم من المعتصم[1].

ويمكن تفسير العقلانية والإخلاص لمؤسسة الخلافة من قبل العباس بن المأمون هو إدراكه للأخطار التي تحيط بالدولة العباسية في هذه الآونـة ومنهـا الثـورات الداخلية مثل حركة الزط وحركة بابك الخرمي والأخطار الخارجية المتمثلة بالدولة البيزنطية التي تتربص بالعباسيين الشرور على الحدود[2]، ومع ذلك قد تـم إغـراء العباس بالخروج على عمه المعتصم وبتحريض من القائد العربي عجيف بن عنبسة الذي أساءه تقريب المعتصم للإفشين وإعطاؤه حرية التصرف في المـال[3]، فقبـل العباس ما نصحه به عجيف وبدأت المؤامرة لقتل الخليفة المعتصم والبيعة للعبـاس الذي كان متردداً في هذا الأمر[4].

وصل الخبر إلى الخليفة المعتصم فأراد التحقق من الأمر، فأحضر ابـن أخيـه العباس فنادمه وأسكره واستحلفه أن لا يكتمه شيئاً من أمره فأخبره بكل شيء، فبـدأ المعتصم بعدها بحركة تطهير الدولة والجيش من كل العناصر التـي دفعتـه لهـذا الأمر، ثم تفرغ لابن أخيه العباس فحبسه وقطع عنه الماء حتى مات وقام بتوزيـع أمواله على الجند لكل منهم دينارين، كما وأمرهم بسب العباس وشـتمه[5]، وهكـذا تخلص المعتصم من أحد المناوئين له والطامعين بكرسي الخلافة مـدفوعاً بـبعض القادة العسكريين الذين رأوا في العباس بن المأمون ضعفاً يمكن أن يحققوا من خلاله المكاسب.

---

(1) شعبان، ولاية العهد، ص197.

(2) انظر الفصل الخامس.

(3) مجهول، العيون، ج3، ص396؛ مسكوية، تجارب، ج4، ص50.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، ج11، ص83؛ ابن خلدون، العبر، ص1191.

(5) اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص476؛ الأزدي، تاريخ، ج2، ص428.

3. ثورة الزط:

الزط هم جيل أسود من السند وقيل هم أعراب الهند[1]، وانضم إليهم أخلاط الناس وكانوا قد عبثوا وأفسدوا وغلبوا على طريق البصرة[2]، وبسبب المجاعة والغلاء تركوا بلادهم وهاجروا منها وتنقلوا في بلاد فارس ثم استقروا في البطيحة[3]، وقد زاد عبثهم في عهد الخليفة المأمون وقطعوا الطريق بقيادة زعيمهم محمد بن عثمان، حيث قاموا بالاعتداء على السفن الواردة إلى البصرة[4].

لم يتمكن المأمون من القضاء عليهم بسبب خلافه مع أخيه الأمين، مما أدى إلى تمادي هؤلاء الثوار في نشاطهم وتمكنوا من فرض المكوس على السفن وأثاروا الشغب والسرقة فانعدم الأمن والاستقرار[5]، وفي سنة 219هـ/834م تصدى الخليفة المعتصم لهؤلاء الثوار وأرسل إليهم جيشاً بقيادة عجيف بن عنبسة، الذي وصل إليهم وحاصرهم بعد أن قام بسد الأنهار لقطع الطريق عليهم، ثم هاجمهم عجيف وهزمهم وقطع رؤوسهم وأسر منهم نحو سبع وعشرين ألفاً، ولما شعروا بحرج موقفهم طلبوا الأمان فأمنهم عجيف وحملهم بالسفن إلى بغداد ومنها حملوا إلى الثغور المتاخمة للبيزنطيين "عين زوربة"[6]، ثم تعرضوا لغزو الدولة البيزنطية فأغاروا عليهم واجتاحوهم[7]، ومن آسيا الصغرى هاجروا إلى أوروبا"[8].

---

(1) ابن منظور، (ت711هـ/1311م)، لسان العرب، دار صادر، بيروت 1965، ج7، ص347.

(2) ابن خلدون، العبر، ص1184.

(3) الدوري، العصر، ص187.

(4) الطبري، تاريخ، ج5، ص209؛ حسن، تاريخ، ج2، ص76-77.

(5) الطبري، تاريخ، ج5، ص210-214؛ النويري، نهاية، ج22، ص244.

(6) عين زوربة ذكرها ياقوت باسم عين زربي وهي بلد بالثغر من نواحي المصيصة، أمر الرشيد ببنائها عام 180هـ/796م وأرسل إليها من أهل خراسان وأقطعهم بها المنازل. ياقوت الحموي، معجم، ص177.

(7) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص77.

(8) حسن، تاريخ، ج2، ص77.

وبذلك حقق الخليفة المعتصم ما لم يستطع تحقيقه أخيه المأمون بالقضاء على هذه الحركة الخطيرة على الدولة العباسية؛ كما أنه أضاف لبنة أخرى في بناء الاستقرار والأمن في بناء الدولة العباسية مما سينعكس إيجاباً على الأوضاع الداخلية في عهد ابنه الواثق بالله.

4. فتح عمورية:

من أبرز الأحداث التي شهدها عهد الخليفة المعتصم بالله حربه مع البيزنطيين التي نتج عنها فتح عمورية[1]، ففي سنة 223هـ/837م، أغار تيوفيل ملك الروم على بلاد الإسلام وأوقع بأهل زبطرة[2]، وكان سبب هذا الهجوم البيزنطي أن بابك الخرمي قد راسل تيوفيل يعلمه بأن المعتصم وجه إليه جميع عساكره وأغراه بأن بإمكانه الخروج وحرب المعتصم لأنه "إذا أردت الخروج إليه فليس في وجهك أحد يمنعك" فخرج تيوفيل إلى زبطرة فقتل من بها من الرجال وسبى النساء وسمل عيون الأسرى المسلمين وقطع أنوفهم وآذانهم... وبلغ المعتصم أن امرأة هاشمية صاحت وهي أسيرة بيد الروم "وامعتصماه" فأجابها لبيك لبيك وصاح في قصره: النفير النفير وسار المعتصم على رأس جيش قاده بنفسه تمكن من هزيمة الروم البيزنطيين وتوغل في أراضيهم وفتح عمورية[3]، ويبدو أن هذه المعركة قد أدبت الدولة البيزنطية وكان لها الأثر الكبير على السلم والهدوء الذي شهدته هذه الجبهة في عهد المعتصم بالله كما سيتضح لاحقاً.

---

(1) انظر الفصل الخامس، ص159-160.

(2) زبطرة: مدينة بين مليطة وسمسياط والحدث في طرف بلاد الروم، سميت باسم زبطرة بنت الروم بن البغز بن سام بن نوح عليه السلام. انظر ياقوت الحموي، معجم، ج3، ص130-131؛ لطفي الدباغ وحازم العلي، معركة عمورية، مركز البحوث، بغداد، 1986م، ص30 (سيشار إليه تالياً: الدباغ، معركة)؛ شوقي أبو خليل، عمورية بقيادة المعتصم، دار الفكر، بيروت 1988، ص38 (سيشار إليه تالياً: أبو خليل، عمورية).

(3) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص247-250؛ الأزدي، أخبار، ص350؛ أبو الفداء، المختصر، ص33.

5. تمرد الأكراد:

قام الأكراد في عام 224هـ/838م بحركة تمرد بزعامة جعفر بـن فهـرجس وتبعه خلق كثير من الأكراد وأثاروا الفـساد فـي بـلاد الموصـل[1]، ومنـاطق الجزيرة[2]، فأرسل الخليفة المعتصم قائده إيتاخ التركي فهزمهم واسـتباح أمـوالهم وأرسل الأسرى والنساء والأموال إلى تكريت وتم القضاء على حركة التمرد هذه[3].

6. خروج محمد بن القاسم العلوي:

هو محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن علي بن الحسن بن علي[4]، كان فـي أول أيامه يعيش في المدينة المنورة قرب المسجد النبوي، ثم أتاه جماعة مـن أهـل خراسان وحرضوه على الثورة ضد المعتصم وأغروه بالخروج فخرج على الخليفة يدعو إلى الرضا من آل محمد (صلى الله عليه وسلم) وفعلاً توجه نحو خراسان ولما وصلها قبض عليه واليها عبدالله بن طاهر وأرسله إلى الخليفة المعتصم في سامراء سنة 219هـ/834م، فحبسه وبقي في سجنه حتى أول يوم من عيد الفطر في تلـك السنة وأثناء احتفال الناس في العيد هرب ولم يعرف له خبر[5].

7. تمرد المازيار بطبرستان:

المازيار: هو مازيار بن قارن بن ونداد هرمز[6]، وهو من دهاقين الفرس كـان يخضع مباشرة للخليفة العباسي دون خضوعه لوالي خراسان عبدالله بن طاهر وفي عصر المأمون أعطى المازيار حكماً مستقلاً، وأقره على منطقة طبرسـتان مقابـل جزية سنوية كما كان يدفع أهل الذمة[7].

---

(1) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص258.

(2) حسن، تاريخ، ج2، ص78.

(3) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص258.

(4) المصدر نفسه، ج5، ص231-232.

(5) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص232؛ الخضري، الدولة، ص204.

(6) ابن الأثير، الكامل، ج2، ص253-256.

(7) السامرائي، تأريخ، ص43.

وفي سنة 224هـ/838م أظهر مازيار الخلاف على المعتصم في طبرستان وعصى وقاتل عساكر الخليفة فأرسل إليه المعتصم جيشاً بقيادة إسحاق بن إبراهيم الذي هزمه وأسره وجلبه معه إلى سامراء، حيث أمر الخليفة بجلده أربعمائة وخمسين سوطاً، فمات إثر ذلك[1]، وكان المازيار قد اتهم بتآمره مع بابك الخرمي على الدولة العباسية وجرت بينهما مراسلات[2].

8. مؤامرات الأفشين:

كان المازيار قد اعترف بأنه تآمر مع الأفشين على الخليفة المعتصم بالله، وأنه جرت بينهما مراسلات فطلب المعتصم من عبدالله بن طاهر بإلقاء القبض على الأفشين وأرسل إلى سامراء، حيث عقدت له محاكمة ووجهت له مجموعة من التهم بينها قضية ضربه مؤذناً وإماماً بسبب بنائهم جامعاً في أشروسنة، كما وجد عنده كتاب يقر بالكفر وأن المازيار أقر عليه بأنه حرضه على التمرد، واعترف بإباحة أكل لحم المخنوقة، واكتشف بأنه غير مختتن، فأمر المعتصم بقتله سنة 226هـ/840م[3]، بعد ما ثبت تواطؤه مع الأعداء وعبادة الأصنام[4]، إضافة على تحريض أحد أقاربه وهو منجور على الثورة على الخليفة المعتصم في المناطق الشرقية[5]، وكانت طريقة قتله صلباً حيث وضع على عود بجانب بابك الخرمي[6]، وتعتبر إحدى الدراسات الحديثة أن سبب مقتل الأفشين يعود إلى اتساع نفوذه وخوف المعتصم منه[7].

---

(1) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص256؛ الذهبي، دول، ج1، ص105.

(2) حسن، تاريخ، ج2، ص111.

(3) السامرائي، تأريخ، ص44؛ حسن، تاريخ، ج2، ص111.

(4) الطبري، تاريخ، ج5، ص261؛ ابن الأثير، الكامل، ج5، ص263؛ الذهبي، دول، ج1، ص105؛ اليافعي، مرآة، ج2، ص68؛ الخضري، الدولة، ص205.

(5) اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص478.

(6) الطبري، تاريخ، ج5، ص260؛ ابن الأثير، الكامل، ج5، ص263.

(7) فوزي، الخلافة، ص277.

إلا أن ذلك كله لم يمنع قيام ثورات عديدة في عصر الواثق، حيث شهد عـصره قيام بعض الحركات المناوئة للدولة وفي مناطق مختلفة من أنحائها تركـزت فـي مناطق الجزيرة العربية وأرمينية والجبال وبغداد، إضافة إلى الشام التي طالما حلـم أهلها بالتخلص من الحكم العباسي وإعادة الدولة الأموية، وهذه الثورات سيتم تناولها في هذا الفصل.

2.2 الثورات في عهد الخليفة الواثق

1.2.2 ثورات بلاد الشام.

1.1.2.2 ثورة المبرقع اليماني 227هـ/841م.

قامت هذه الثورة في أواخر أيام الخليفة المعتصم قبيل وفاته[1] وقد تزعمها قائد اسمه أبو حرب تميم اللخمي اليماني[2] وقد أسهب ابن الأثير في الحديث عـن هـذه الثورة ومجرياتها، ففي سنة 227هـ/841م خرج أبو حـرب تمـيم اليمـاني فـي فلسطين وثار ضد الخليفة المعتصم وكان سبب هذه الثورة إن أحد الجنود الأتـراك أراد دخول بيت أبي حرب أثناء غيابه فمنعته زوجة أبي حرب من دخول دارها في غياب زوجها وقاومت التركي فقام بضرب تلك المرأة بالسوط فآذى ذراعها، ولمـا عاد زوجها أبو حرب إلى بيتها أخبرته بما فعل ذلك الجندي التركي[3] فغضب أبـو حرب وحمل سيفه وسار نحو الجندي فقتله ثم هرب وألبس وجهه قناعا على شـكل برقع قاصدا بعض جبال الأردن وكان يظهر للناس نهارا وهـو مرتـدي البرقـع ويدعوهم إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعاب علـى حكـم العباسـيين فاستجاب له كثير من الفلاحين في تلك المناطق –الأردن- وانضم إلى حركته بعض زعماء القبائل اليمانية مثل ابن بيهس، فوصل خبر هذا الثائر إلى الخليفة المعتـصم

---

(1) البسوي، المعرفة، ج1، ص207-210؛ المناصير، الجيش، ص490.

(2) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص264؛ ابن تغـري بـردي، النجـوم، ج2، ص303؛ شـاكر مصطفى، جنوب بلاد الشام ي العصر العباسي، 132-358هـ/749-968م، منـشورات الجامعة الأردنية، عمان 1992م، ص98-99 (سيشار إليه تالياً: مصطفى، جنوب).

(3) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص264.

بالله وهو مريض على فراش الموت فوجه لقمعه جيشا بقيـادة رجـاء بـن أيـوب الحضاري وعدته ألف رجل وفي هذه الأثناء توفي الخليفة المعتـصم بـالله وخلفـه الواثق بالله[1] الذي أرسل مدداً إلى القائد رجاء بن أيوب فالتقى أتباع المبرقـع مـع جيش رجاء وهزم المبرقع وقتل الآلاف من أتباعه وأسر المبرقع وحمل إلى الخليفة الواثق في سامراء[2] وقد استغل الجيش العباسي قرب موسم الحصاد حيث انصرف أتباعه إلى حصد المحاصيل مما أدى لسهولة القضاء عليه لكون أغلب أتباعـه مـن الفلاحين[3].

وقد تناولت بعض الدراسات الحديثة هذه الثورة وقامت بتحليل ملابساتها فهنـاك من اعتبر هذه الثورة قامت لأسباب شخصية، ثم تبعه أعداد من صـفوف الفقـراء والفلاحين وحاول زعماء القبائل في الشام أن يصبغوا هذه الثورة بالصبغة الشامية المعارضة لدولة بني العباس، حيث أبدى الناس سخطهم لتمكن الأعاجم الترك فـي الجيش العباسي[4].

---

(1)ا بن الأثير، الكامل، ج5، ص264.

(2) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص265، ابن خلدون، العبر، ص749، السيد عبد العزيـز سـالم العصر العباسي الأول، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية 1977، ص96 (سيـشار إليـه تاليا: سالم، العصر).

(3) المناصير، الجيش، ص491، مصطفى، جنوب، ص98-99، عاقـل، فلـسطين ص280. عباس، تاريخ، ص65-67، أحمد إسماعيل علي، تاريخ بلاد الشام في العصر العباسي، دار دمشق للنشر، دمشق 1983، ص40 (سيشار إليه تاليا: علـي، تـاريخ)؛ خليـل عثامنـة، فلسطين في خمسة قرون، (634-1099هـ/123-1687م) مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت 2000، ص247-248 (سيشار إليه تاليا: عثامنة، فلسطين)؛ حسن شريف، فلسطين من عصر ما قبل التاريخ حتى انتفاضة الأقصى، الهيئة المصرية العامة للكتـاب، القـاهرة 2003، ص186-187 (سيشار إليه تاليا: شريف، فلسطين).

(4) صالح الحمارنة، "ثورة الفلاحين في فلسطين"، المؤتمر الدولي التاريخ بلاد الشام، الجامعـة الأردنية، عمان 1983، ج3، ص89 (سيشار إليه تاليا: الحمارنة، ثورة).

وهناك من اعتبر هذه الثورة معبرة عن النقمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية على الحكم العباسي(1) وثمة باحث آخر نظر إلى الثورة من زاوية أخرى فاعتبر أن الترك هم سببها حيث لم يعملوا على اكتساب قلوب النـاس بـل تملكهـم الزهـو والغرور بقوتهم فاستهانوا بحقوق الناس في الولايات الإسلامية كما أساءوا معاملـة العرب فثار بسبب ذلك أبو حرب اليماني(2).

إلا أن الباحث ينظر من زاوية أخرى غفل عنها الآخرون وهي أن هذا التـأثر يعيش في زمن تسيطر فيه القبيلة والعصبية العربية والإسلامية فكانـت ردة فعلـه طبيعية جدا.

2.1.2.2 ثورة القيسية في دمشق 227هـ/841م.

في سنة 227هـ/841م أندلعت ثورة في دمشق تزامنت مـع حركـة المبرقـع اليماني وقد تزعم هذه الثورة أحد رجال قبيلة قيس يدعى ابن بيهس الكلابي وجمـع حوله الكثير من بطون قيس(3).

أما أسباب هذه الثورة فإن المعلومات عنها قليلة ومضطربة، فقد أشار الذهبي إلى أن السبب هو اعتراض أهل دمشق على واليها أبو المغيث الرافقي(4) أما ابـن عساكر فيفهم من ما أورده عن هذه الثورة: حدوث خلاف بين رجلين مـن رجـال الإدارة العباسية في دمشق أحدهما عامل الخراج الذي قتل أحـد المـوظفين وابنـه

---

(1) عاقل، موسوعة، ج2، ص280.

(2) إبراهيم الكروي، نظام الوزارة في العصر العباسـي الأول، الإسـكندرية 1989، ص219 (سيشار إليه تاليا: الكروي، نظام).

(3) اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص480، ابن الأثير، الكامل، ج5، ص267، أبو الفداء، المختصر، ج2، ص35؛ النويري، نهاية، ج22، ص262؛ ابن خلدون، العبر، ص749.

(4) الذهبي، دول، ج1، ص136؛ المناصير، الجيش، 497؛ خلدون الشوحة، موقف بلاد الـشام من الخلافة العباسية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعـة اليرمـوك 1992، ص107-108؛ جميل محمود بني سلامة، دمشق في العصر العباسي، رسالة دكتوراة غير منشورة، الجامعة الأردنية 2003، ص96 (سيشار إليه تاليا: بني سلامة، دمشق).

فغضب أهل دمشق من هذا الفعل واستنكروه فقام القاضي باستجواب بعـضا مـن رجالات القيسية وأمر بجلدهم بالسياط فغضبت قيس على جلد أبناءها فثارت بزعامة ابن بيهس في دمشق[1] فعمت الفوضى أنحاء دمشق وثاروا على الـوالي واشـترط الثوار عزل الوالي[2] وعلى إثر ذلك أرسل الخليفة الواثق بالله جيـشا لقمـع هـذه الحركة بقيادة رجاء بن أيوب الحضاري[3] فدعاهم إلى الطاعـة ووقـف التمـرد ولكنهم رفضوا ذلك، فحدث قتال بين الطرفين انتهى بهزيمة ابن بيهس وأتباعه مـن القيسية الذين قتل منهم ألف وخمسمائة ثائر في حين قتل من الجيش العباسي ثلاثمائة جندي وبذلك انتهت ثورة القيسية في دمشق[4] ويبدو أنه حدثت معركة عنيفـة بـين الطرفين أدت لمقتل ما يقرب من ألفي شخص أما ابن بيهس فقد حمل أسيرا وسجن في سامراء[5].

2.2.2 ثورات الجزيرة العربية.

1.2.2.2 ثورة بني سليم 230هـ/844م.

قام بدو وأعراب بني سليم[6] في سنة 230هـ/844م بحركة تمـرد واسـعة[7] وقاموا بالفساد والتخريب في المدينة المنورة ونواحيها، يقول اليعقوبي عنهم أنهـم: ".... قد عاثوا في طريق الحجاز وقطعوا الطريق حتى تخاف النـاس عـن الحـج

---

(1) ابن عساكر، تاريخ، ج19، ص184.

(2) عباس، تاريخ، ص66.

(3) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص267؛ النويري، نهاية، ج22، ص262؛ أبو الفداء، المختصر، ج2، ص35.

(4) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص267، إبراهيم أيوب، التاريخ العباسي السياسي والحضاري، الشركة العالميـة للكتاب، بيروت، 1989، ص97، (سيشار إليه تاليا: أيوب، التاريخ).

(5) الطبري، تاريخ، ج5، ص278.

(6) بني سليم: بضم السين قبيلة عظيمة من قيس عيلان وهم بنوا سليم بن منصور بن عكرمة بن قـيس كانـت منازلهم في عالية نجد بالقرب من خيبر ووادي القرى وتيماء، وسكنوا بالبحرين ثم رحلوا وسار بعـضهم إلى مصر وأفريقية والمغرب، انظر: صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي (ت739هـ/1338م) مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق محمد البجـاوي، دار الجيـل، بيـروت 1992، ج1، ص396؛ القلقشندي، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتـاب 1982، ص82.

(7) اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص480، الطبري، تاريخ، ج5، ص278؛ ابن الأثير، الكامل، ج5، ص270.

ونصبوا رجلا من بني سليم يقال له عزيزة الخفاجي وسلموا عليه بالخلافة"[1] ويوضح الطبري (ت310هـ/922م). إن بني سليم تتطاول على الناس حول المدينة بالشر وكانوا إذا وردوا سوقا من أسواق الحجاز أخذوا سعرها كيف شاءوا"[2] كما أن كثيراً من المصادر أجمعت على أن بني سليم عاثوا بالمدينة وأهلها فسادا واضطهدوا الناس[3] إثر ذلك أمر الواثق بالله وإليه على المدينة محمد بن صالح بن العباس الهاشمي بتأديب بني سليم فأرسل إليهم جيشاً بقيادة حماد بن جرير الطبري[4].

حدث قتال بين جيش الخليفة بقيادة حماد وبين المتمردين من بني سليم وانتهت هذه المعركة بمقتل حماد وكثير من أفراد الجيش الذي هزم شر هزيمة وغنموا من الجيش السلاح والمعدات، وزاد شرر بني سليم فاستباحوا الناس والقرى بين مكة والمدينة حتى أصبحت الطريق لا يستطيع الحجاج سلوكها[5].

وعندما وصلت الأخبار إلى الخليفة الواثق بالله جهز جيشا كبيرا بقيادة بغا الكبير الذي اصطدم بجموع منهم فقتل منهم خمسين رجلا وأسر مثلهم وهرب الباقون[6]. ثم دعاهم بغا بعد المعركة إلى الأمان والسمع والطاعة على حكم أمير المؤمنين الواثق فاستجاب له جماعة منهم ومن أبى تم أسره وهم زهاء ألف رجل ووضع في الحبس بالمدينة المنورة، ثم سار بغا بعد ذلك إلى مكة يريد تأدية فريضة الحج. وفي هذه الأثناء حاول أسرى بني سليم نقب السجن والهرب منه فشاهدت إحدى النساء محاولة المساجين الهرب فنادت على سكان المدينة فحاصروا السجن وقتلوا من فيه من بني سليم، فلما عاد بغا من الحج وأخبروه بما حدث من قتلهم حزن على ما

(1) اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص480.

(2) الطبري، تاريخ، ج5، ص278.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، ج11، ص150-151، الذهبي، تاريخ، ص35، ابن كثير، البداية، ج9، ص302، ابن خلدون، العبر، ص750.

(4) الطبري، تاريخ، ج5، ص278.

(5) الطبري، تاريخ، ج5، ص277-279.

(6) الطبري، تاريخ، ج5، ص278، ابن الأثير الكامل، ج5، ص270.

حدث للمساجين وشق عليه ذلك وهكذا انتهت هذه الثورة التي قام بها الأعراب مـن بني سليم[1] وربما تعود هذه الثورات إلى زيادة الضرائب المفروضة عليهم[2].

2.2.2.2 ثورة بني فزارة 231هـ/845م.

بنو فزارة هم بطن من بطون ذبيان من غطفان من القحطانية وكانت منازلهم في نجد ووادي القرى[3] ثارت هذه القبيلة ومعها بطون مرة سنة 231هـ[4] حيث تغلبوا على فدك[5] فأرسل إليهم الخليفة الواثق بالله قائده بغا لمحاربتهم[6].

ولما وصل بغا إلى مشارفهم أرسل إليهم رسولا من فزارة يعرض عليهم الأمان مقابل السمع والطاعة، ولما وصلهم الرسول عرض عليهم الأمـان وحـذرهم مـن سطوه جيش بغا وزين لهم الهرب فتفرقوا وهربوا في الصحراء وهرب بعضهم إلى خيبر ونواحيها، ولكن جيش بغا أمسك ببعضهم وأسره وقبل بعـضا مـنهم الأمـان وهرب فريق منهم إلى البلقاء في بلاد الشام، بعد ذلك عاد بغا بمن معه من أسراهم إلى المدينة وسجنهم هناك[7] وهكذا انتهت حركة التمرد هذه بهرب الأعـراب إلـى

---

(1) اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص480، الطبري، تاريخ، ج5، ص279، ابن الجوزي، المنـتظم، ج11، ص163، ابن الأثير الكامل، ج5، ص270، الذهبي، تاريخ، ص35، ابـن كثيـر، البداية، ج9، ص302، محمد الخضري بك، محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية، القاهرة، (د.ت) ص340، (سيشار إليه تاليا: الخضري، محاضرات).

(2) غيداء خزنة كاتبي، الخراج منذ الفتح العربي حتـى أواسـط القـرن الثالـث الهجـري، الممارسات النظرية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1994، ص259 (سيشار إليه تالياً: كاتبي، الخراج).

(3) القلقشندي، نهاية، ص392.

(4) الطبري، تاريخ، ج5، ص281، ابن خلدون، العبر، ص750.

(5) ابن خلدون، العبر، ص750.

(6) الطبري، تاريخ، ج5، 281.

(7) المصدر نفسه، ج5، ص281.

الصحراء مما جعل جهود بغا تبوء بالفشل بالقضاء عليهم وفـرض هيبـة الدولـة وسلطانها في وسط شبه الجزيرة العربية[1].

وتبدو مثل هذه الحروب منهكة للجيش العباسي كونه لا يقاتل جماعة منظمة كما أن هؤلاء المتمردين هم مجرد أعراب يهربون إلـى الـصحارى القاحلـة النائيـة المجهولة، إضافة إلى أن مثل هؤلاء ليس لديهم رؤية ولا أهداف سوى أعمال السلب والنهب، كما أن خطورة مثل هؤلاء الثوار هو تزامن حركتهم مع حركات أخـرى مثل بني سليم وبني نمير.

3.2.2.2 ثورة بني نمير 232هـ/846م.

بنو نمير بطن من بطون ربيعة من العرب العدنانية يعود نسبهم إلى عـامر بـن صعصعة[2] قاموا بأعمال فساد في الأرض وسلب ونهب وأغاروا على الناس فـي اليمامة ونواحيها، فسار أحد الشعراء من اليمامة حتى وصل بلاط الخليفة الواثق بالله واسم هذا الشاعر هو عمارة بن عقيل بن بلال جرير الخطفي فدخل علـى الخليفـة ومدحه بأبيات شعر أعجبت الخليفة فأمر له بثلاثين ألف درهم وأخبر الخليفـة بمـا تفعل قبيلة نمير في الناس فكتب الواثق إلى قائده بغا الذي كان مشغولاً بحرب القبائل الأخرى يأمره بقتال بني نمير وتأديبهم فتوجه بغا نحو اليمامة لقتالهم فلقي جماعـة منهم وحاربوه ولكنه استطاع أن يهزمهم ويقتل منهم نحو خمسين رجلا وأسر نحوهم ثم توجه إلى قريتهم في اليمامة فدعاهم إلى الدخول في الـسمع والطاعـة لأميـر المؤمنين ولكنهم شتموا رسله وامتنعوا عن الدخول في الأمان، بعـد ذلـك تقاتـل الطرفان فهزموا مقدمة الجيش الذي أرسله بغا لقتالهم وقتلوا من جيشه مئة وثلاثون رجلا وعقروا من أبله سبعمائة ناقة ومئة دابة ونهبوا الأموال، ولكن بغا في نهايـة

---

(1) أيوب، التاريخ، ص97.

(2) القلقشندي، نهاية، ص432-433.

المطاف استطاع إيقاع الهزيمة بهم وأسر منهم زهاء ثمانمائة رجل ووثقهم بالحديـد وأرسلهم إلى البصرة سنة 232هـ/846 ثم وصل بهم إلى سامراء وسجنوا هناك(1).

3.2.2 حركات تمرد أخرى:

1.3.2.2 حركة البربر في برقة 227هـ/841م.

انفرد اليعقوبي بالحديث عن هذه الحركة التي قام بها جماعة من البربر في شمال أفريقيا وتحديدا في برقة سنة 227هـ/841م، يقول اليعقوبي "ووثب ابـن بـيهس الكلابي بدمشق في جمع كثير من بطون قيس وفي الإثناء وثب بفلسطين رجل يلقب بالمبرقع وخلع قوم من البربر ببرقة ومعهم قوم من قريش من بني أسـيد ووثبـوا بعاملهم محمد بن عبد ويه بن جبلة فوجه الواثق رجاء بن أيوب الحـضاري فبـدأ بدمشق فأوقع بابن بيهس وأسره وسار إلى فلسطين فأوقع بالمبرقع وأسره وحمله إلى سر من رأى، وصار رجاء إلى مصر سنة 228هـ/841م فنزل الجيزة ثم توجـه إلى برقة فهرب من كان فيها وظفر بجماعة منهم فحملهم ثم انصرف"(2).

ويفهم من النص الذي انفرد به اليعقوبي:

1. إن هذه الحركة تزامنت مع حركات تمرد أخرى في بلاد الشام.

---

(1) الطبري، تاريخ، ج5، ص289-290؛ ابن الأثير الكامل، ج5، ص276؛ مسكويه، تجارب، ج4، ص101-102؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج11، ص176؛ الترمـانيتي، أزمنـة، ج1، ص916؛ ابن كثير، البداية، ج9، ص308؛ ابن تغري، بردي، النجوم، ج2، ص318؛ ابن خلدون، العبر، ص750؛ صالح بن سليمان الوشمي، ولاية اليمامـة دراسـة فـي الحيـاة الاقتصادية والاجتماعية حتى نهاية القرن الثالث الهجري، مكتبة الملك عبد العزيز، الرياض 1412هـ، ص110 (سيشار إليه تاليا: الوشمي، ولاية)؛ أحمد شلبي، التـاريخ الإسـلامي والحضارة الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القـاهرة 1970، ج3، ص200 (سيشار إليه تاليا: شلبي، التاريخ)؛ محمد بن أحمد كنعان، تاريخ الدولة العباسية وما رافقهـا مـن ممالك، مؤسسة المعارف، بيروت 1998، ص146، (سيشار إليه تاليا: كنعان، تاريخ).

(2) اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص480؛ نادية حسني صقر، السلم في العلاقات العباسية البيزنطيـة في العصر العباسي الأول، دار الندوة الجديدة، بيروت 1985، ص36 (سيشار إليه تاليـا: صقر، السلم).

2. إن القائد رجاء بن أيوب الحضاري كان قائد الواثق الأول عسكريا فنراه في دمشق وفي فلسطين وفي مصر وفي برقة يقود غمار المعارك لتوطيد أركان دولة الواثق والقضاء على المناوئين.
3. إن أهل برقة انتفضوا ضد الوالي مما يعني أن أهل الأقاليم ربما كانوا قد قاموا بمناوئة الولاة إما لظلمهم أو انحرافهم وهذا تكرر في دمشق قبل ذلك.
4. سهولة القضاء على هذه الحركة التي شهدتها برقة وشارك فيها العرب هناك.

2.3.2.2 حركة أرمينية سنة 230هـ/844.

في سنة 230هـ/844م حدثت حركة في منطقة أرمينية حيث تحرك فيها أقوام من البطارقة والعرب وتمرد ملوك الجبال وما يليهم واهتزت هيبة الدولة وضعف سلطانها في تلك المناطق فأرسل الخليفة الواثق بالله جيشاً بقيادة خالد بن يزيد بن مزيد وأمره بالنفوذ وضم إليه كورا من ديار ربيعة فسار في جيش عظيم، فلما بلغ المتغلبين بتلك البلاد خبره هابوه وكتب أكثرهم يذكر أنه لم يزل في الطاعة ووجهوا بالهدايا فقال (الواثق بالله): لا أقبل إلا هدية من جاءني فزاد ذلك في وحشتهم"[1].

وكانت هذه الحركة التي قام بها سكان تلك المناطق مجرد سبر لقوة الدولة وسلطانها، بدليل أنه عندما قدم جيش الخليفة عاد سكانها إلى الطاعة.

ثم حدث أمراً قلب الأحداث وهو وفاة القائد خالد بن يزيد وتفرق أصحابه فعادت تلك البلاد إلى وضعها السابق "فعاد البلد إلى أقبح أحواله فولى الواثق محمد خالد مكان أبيه... فهزم (الثوار) وحرق الدور وهزمهم ولم يزل ضابط البلد"[2] وهكذا يمكن وصف هذه الحركة بأنها مجرد تمرد على الدولة ولكن سرعان ما خفت نجمها بعد أن بعث الخليفة جيوشه لتأديب هؤلاء المتمردين.

---

(1) اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص481.
(2) المصدر نفسه، ج2، ص481.

3.3.2.2 حركة الأكراد سنة 231هـ/845م.

في هذه السنة حدث تمرد من قبل جماعات من الأكراد القاطنين في مناطق الجبال في أصبهان وفارس وقاموا بأعمال تخريب في تلك المناطق[1] فأرسل إليهم الواثـق بالله قائده التركي وصيف[2]. الذي استطاع هزيمة هؤلاء المتمردين علـى سـلطان الدولة واستطاع أن يأسر منهم حوالي خمسمائة شخص بعضهم كانوا مـن الغلمـان الصغار حيث كبلهم بالقيود والأغلال وأحضرهم معه إلى سامراء وأمر بحبسهم[3].

فرح الخليفة الواثق بنصر قائده وصيف على هؤلاء المتمـردين ومنحـه خمـسة وسبعين ألف دينار و قلده سيفاً وخلع عليه الكسوة[4].

4.3.2.2 حركة الخوارج سنة231هـ/845م.

خرج رجل يدعى محمد بن عمرو الشيباني الخارجي في مناطق ديار ربيعة وكان والي الموصل وديار ربيعة آنذاك أبو سعيد محمد بن يوسف الذي أرسل لمحمد بـن مجموعة من الجند[5].اختلفت المصادر في عدد اتباع هذة الحركة يشير اليعقوبي الى ان عددهم نحو أربعمائة رجل[6] غير أن الطبري (ت310هـ/922م) جعلهم ثلاثـة عشر رجلا. [7] ويبدو أن هذا العدد غير دقيق لأن مثله لا يستوجب من الدولـة أن تحرك لهم الجيوش.

ولما وصله الجيش العباسي هرب محمد بن عمرو إلى مناطق سنجار ثـم هـرب منها نحو الموصل حتى قبض عليه قائد تلك الحملة غانم بن أبي مـسلم الطوسـي

---

(1) الطبري، تاريخ، ج5، ص284.

(2) عن القائد وصيف انظر ،ص135.

(3) الطبري، تاريخ، ج5، ص284، ابن الأثير، الكامل، ج5، ص164.

(4) الطبري، تاريخ، ج5، ص284، ابن الجوزي، المنتظم، ج11، ص164.

(5) اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص483.

(6) المصدر نفسه، ج2، ص483.

(7) الطبري، تاريخ، ج5، ص284.

فبعث به إلى سامراء[1] حيث سجن فيها[2] وقد أشار والي الموصل أبي سعيد وأوصى بنصيحة عدم قتل هذا الثائر لأن من عادة الخوارج أن لا يتزعم أحدهم ثورة ما دام أحد قادتهم في الحبس "ما ينبغي أن يقتل فإنه لن يخرج خارجي ما دام حيا فلم يزل محبوسا أيام الواثق"[3].

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، ج11، ص164، ابن الأثير، الكامل، ج5، ص231.

(2) اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص283، ابن الجوزي، المنتظم، ج11، ص164.

(3) اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص483.

الفصـل الثالث

الواثـق والمعتزلـة

1.3 لمحة موجزة عن المعتزلة.

1.1.3 التسمية والنشأة:

المعتزلة هي إحدى الفرق الإسلامية التي ظهـرت مـع بدايـة القـرن الثـاني الهجري[1]، كان ظهور هذه الفرقة نتاج خلاف فقهي حول مرتكب الكبيرة تزعمـه واصل بن عطاء[2]، ومفاد هذا الخلاف هل أن مرتكب الكبيرة مؤمن أم كافر؟ فقـد ذهب الخوارج إلى اعتبار صاحب الكبيرة كافر وذهبت المرجئة إلى أنـه مـؤمن، ورأى الحسن البصري[3] إلى أنه ليس بمؤمن ولا بكافر وإنما يكـون منافقـاً، أمـا واصل بن عطاء فقد ذهب إلى اعتبار صاحب الكبيرة لا يكون مؤمناً ولا كافراً ولا منافقاً بل يكون فاسقاً[4].

وقد علل المسعودي التسمية (الاعتزال) بالقول:

---

(1) أحمد شوقي إبراهيم العمرجي، المعتزلة في بغداد وأثرهم في الحياة الفكرية والسياسية فـي خلافة المأمون حتى وفاة المتوكل على الله من سنة 198-247هـ/813-861م، مكتبـة مدبولي، القاهرة، 2000، ص20-24، (سيشار إليه تاليا: العمرجي، المعتزلة).

(2) أبو حذيفة واصل بن عطاء (ت131هـ/748م) من أئمة علم الكلام وكان يلقـب بـالغزال اشتهر بالتصدق على النساء العفيفات، انظر ياقوت الحموي، معجم الأدبـاء، دار المـأمون، القاهرة، (د.ت) (سيشار إليه تاليا: ياقوت الحموي، معجم الأدباء) ابن خلكان، وفيـات، ج4، ص60، أحمد أمين، فجر الإسلام، مكتبة النهـضة المـصرية، القـاهرة، 1986، ص296، (سيشار إليه تاليا: أمين، فجر).

(3) الحسن البصري، هو الحسن بن أبي الحسن البصري (ت110هـ/728م) هو إمـام أهـل البصرة وسيد التابعين وأمه مولاه لأم سلمة زوجة الرسول صلى الله عليه وسلم. انظر: ابن قتيبة، المعارف، ص441، الزركلي، الإعلام، ج2، ص242.

(4) أمين، فجر، ص296؛ El2 Mu'tazila.

"أي باعتزال صاحب الكبيرة عن المؤمنين والكافرين جميعاً"[1]، وقد اعتبر الشهرستاني أن واصل بن عطاء هو مؤسس هذه الفرقة عندما دخل رجل على الحسن البصري، "فقال: يا إمام الدين لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر فكيف تحكم لنا بذلك اعتقاداً؟ فتفكر الحسن في ذلك، وقبل أن يجيب قال واصل بن عطاء: إنما لا أقول أن صاحب الكبيرة مؤمن مطلق ولا كافر مطلق بل هو في منزلة بين المنزلتين، ثم قام واعتزل إلى اسطوانة من أسطوانات المسجد يقرر ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن، فقال الحسن: اعتزلنا واصل، فسمي وأصحابه معتزلة"[2].

2.1.3 أصول المعتزلة

وللمعتزلة تعاليم دينية فكرية تعرف باسم الأصول الخمسة وهي: التوحيد، العدل، الوعد، والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين وأخيراً الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[3].

---

(1) المسعودي، مروج، ج2، ص174.

(2) أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، (ت548هـ/1153م) الملل والنحل، دار صادر، بيروت، (د.ت) ج1، ص33-55 (سيشار إليه تاليا: الشهرستاني، الملل).

(3) عن هذه التعاليم انظر الإمام عبد القاهرة بن طاهر بن محمد البغدادي (ت429هـ/863م) الفرق بين الفرق، تحقيق إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، 2001، ص112 وما بعدها، (سيشار إليه تاليا: البغدادي، الفرق) للمزيد عن فكر المعتزلة انظر فاروق عمر فوزي، الخلافة العباسية عصر القوة والازدهار، دار الشروق، عمان، 1998، ص282-284 (سيشار إليه تاليا: فوزي، الخلافة) عادل العو، المعتزلة والفكر الحر، دار الأهالي للطباعة، دمشق، 1987، ص45-55، (سيشار إليه تاليا: العو، المعتزلة) حسن حنفي، موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، المؤسسة العربية للنشر، بيروت، 1986، ص577-585، (سيشار إليه تاليا: حنفي، موسوعة) عبد الجبار ناجي وآخرون، الدولة العربية في العصر العباسي، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 2003، ص177، أحمد أمين، موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، دار نوبليس، بيروت، 2006، ج1، ص299-305، (سيشار إليه تاليا: أمين، موسوعة) زهدي جار الله، المعتزلة، المؤسسة العربية للنشر،=

1. التوحيد:

ويعنون بذلك أن الله واحد من كل وجه، وان صفاته ليست زائدة على ذاتـه وأن كل ما يطلق عليه من صفات ما هو إلا وجه لذات واحدة بسيطة لا قسمة فيها، وأن الله واحد ليس كمثله شيء وليس بجسم وليس بذي جهات ولا يحيط به مكـان، ولا يجري عليه زمان ولا يوصف بشيء من صفات الخلق الدالة على حدوثهم ولـيس بمحدود ولا والد ولا مولود لا تدركه الأبصار ولا تحيط بـه الأوهـام ولا تلحقـه المضار ولا يصل إليه الأذى والألم ولا يجـوز عليـه الفنـاء ولا يلحقـه العجـز والنقص[1].

ولما كان المعتزلة يعتقدون بوحدانية الله عز وجـل وأن القـدم أخـص لذاتـه الكريمة، فإنهم حاربوا كل مذهب وكل قول يتعارض مع الوحدانية[2].

وقال المعتزلة أن كلام الله مخلوق، وذلك لنفي وجود أي قـديم سـوى الـذات الإلهية[3]. لأن المعتزلة بقولهم بخلق القرآن يرون أنهم يردون على ركن من أركان المسيحية، وهو الاعتقاد بأن المسيح هو كلمة الله الأزلية[4]، وهذا مـا عبـر عنـه الخليفة المأمون في رسالته إلى والي بغداد إسحاق بن إبراهيم: "وضاهوا بـه قـول

= بيروت، 1990، ص184، (سيشار إليه تاليا: جار الله، المعتزلة) أبو زيد شلبي، تـاريخ الحضارة العربية الإسلامية والفكر الإسلامي، مكتبة وهبـة، القـاهرة، 1964، ص335-336، (سيـــشار إليـــه تاليـــا: شـــلبي، تـــاريخ)؛ Marshall, O. S. The Venture of Islam chicagopress, 1982, p.384.

(1) أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (ت330هـ/941م)، مقالات الإسلاميين واخـتلاف المصلين، ط2، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، دار النهضة المصرية، القاهرة 1969، ج1، ص335 (سيشار إليه تالياً: الأشعري، مقالات)؛ أبو زيد، تـاريخ، ص335؛ حنفـي، موسوعة، ص577.

(2) جار الله، المعتزلة، ص61.

(3) أحمد محمود صبحي، في علم الكلام، ط4، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسـكندرية 1982م، ج1، ص129 (سيشار إليه تالياً: صبحي، علم الكلام).

(4) العمرجي، المعتزلة، ص89.

النصارى في إدعائهم في عيسى بن مريم أنه ليس بمخلوق إذا كـان كلمـة الله"[1].

والقول بخلق القرآن ينبع من التوحيد بما يتضمنه من التأكيد على التفـرد الكامـل للذات الإلهية بالقدم.

وملخص قول المعتزلة في التوحيد هو توحيد الله فلا شريك له، وتوحيد الله ذاته وصفاته فليس متعددة بحال، وتنزيه له عن الجسمية وصفات الحوادث وقد فرعـوا على هذا الأصل كل الفروع[2].

2. العدل:

افتخر المعتزلة بهذا المبدأ وكانوا يسمون أنفسهم بأهل العدل والتوحيد[3]، ومعنى هذا الأصل في تعاليمهم أن كل أفعال الله تعالى لا تخلو من الصلاح والخير[4]، وأن الله تعالى لا يفعل بعباده إلا ما فيه صلاحهم[5]، وأن الإنسان هو المسؤول عن أفعاله بمعنى أنهم تمسكوا بحرية إرادة الإنسان حتى لا ينسب الشر النـاتج عـن علاقـة الإنسان بالآخر كالظلم إلى الله تعالى، واتفقوا على أن العبد خالقاً لأفعالـه خيرهـا وشرها مستحق على ما يفعله ثواباً وعقاباً في الدار الآخرة[6].

3. الوعد والوعيد:

ويعني هذا الأصل عند المعتزلة أن الله وعد المطيعين بالثواب وتوعد العـصاة بالعقاب وأنه يفعل ما وعد به وتوعد عليه لا محالة أي أن من أحسن عملاً فيجازى بالإحسان ومن أساء فيجازى بالإساءة عذاباً أليماً[7]، وحقيقة الوعد والوعيد تعني أن

---

(1) الطبري، تاريخ، ج5، ص178.

(2) أمين، ضحى، ج3، ص44.

(3) الشهرستاني، الملل، ج1، ص50؛ العمرجي، المعتزلة، ص36.

(4) الشهرستاني، الملل، ج1، ص397.

(5) البغدادي، الفرق، ص115-116.

(6) حنفي، موسوعة، ص577-584؛ أمين، موسوعة، ج4، ص655؛ أمـين، ضـحى، ج3، ص21-36؛ العمرجي، المعتزلة، ص38.

(7) الأشعري، مقالات، ج1، ص319؛ أحمد محمود صبحي، في علم الكلام (المعتزلـة)، ط4، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، 1982م، ج1، ص157 (سيشار إليه تالياً: صـبحي، علم الكلام).

من أطاع الله دخل الجنة ومن عصاه دخل النار، وأن يجازى من أحسن بالإحـسان ومن أساء بالسوء[1].

4. المنزلة بين المنزلتين:

يرى المعتزلة في هذا المبدأ بأن صاحب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر بل هو في منزلة بينهما[2]، وكان هذا التوصيف لمرتكب الكبيرة هـو الـسبب المباشـر وراء تسميتهم بهذا الاسم (المعتزلة) حيث اعتزلوا أي جماعة تخالفهم هذا الرأي[3]، يذكر المسعودي: "وأما القول بالمنزلة بين المنزلتين فهو أن الفاسق حسب ما ورد التوقيف بتسميته، وأجمع أهل الصلاة على فسوقه وبهـذا البـاب سـميت المعتزلـة وهـو الاعتزال"[4]، وهذا المبدأ هو سبب الخلاف بين الحسن البصري وواصل بين عطاء وعلى إثر ذلك نتجت مدرسة المعتزلة[5].

5. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

وقد استند المعتزلة في هذا الأصل من أصولهم إلى:

قوله تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[6].

فقال المعتزلة أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب وأنه يكون بالقلـب إن كفى وباللسان إن لم يكف القلب، وباليد إن لم يكفنا اللسان وبالسيف إن لم تكـف

---

(1) العمرجي، المعتزلة، ص42؛ أحمد، ضحى، ج3، ص36.

(2) القاضي عبدالجبار (ت415هـ/1024م)، شرح الأصول الخمسة، ط1، تحقيق عبـدالكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة 1956، ص137 (سيشار إليـه تاليـاً: عبـدالجبار، شـرح)؛ البغدادي، الفرق، ص98؛ الشهرستاني، الملل، ج1، ص55.

(3) العمرجي، المعتزلة، ص40-48.

(4) المسعودي، مروج، ج3، ص222.

(5) محمد عمارة، المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية، ط1، المؤسسة العربية للنـشر، بيـروت 1972من ص66 (سيشار إليه تالياً: عمارة، المعتزلة).

(6) الحجرات، آية9.

اليد[1]، وهذا المبدأ هو الذي جعل المعتزلة يضطهدون مخـالفيهم ويقـسون علـيهم لاعتقادهم أنهم بمخالفتهم قد أتوا منكراً[2]، وهذا المبدأ هو الذي جعل للمعتزلة موقفاً فعالاً في الدولة العباسية وجعل لهم سلطاناً على الناس يوم أتيح لهم[3].

2.3 المعتزلة في عهد المأمون والمعتصم:

ذكر الطبري (ت310هـ/922م) في أحداث سنة 212هـ: "وفيها أظهر المأمون القول بخلق القرآن، وتفضيل علي بن أبي طالب عليه السلام، وقـال: هـو أفـضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم[4]، فأدى ذلك إلى ردة فعل دينية قويـة، وصدمة لعامة الناس، والفقهاء والمحدثين وغيرهم، وفي ذلـك يقـول المـسعودي: "فعظم الناس ذلك وأكبروه، واضطربت الأمة فاشمأزت النفوس منـه، وكـاد البلـد يفتتن"[5].

وقد أدى هذا الوضع إلى تأجيل الخليفة المأمون فكرته بتأثير قاضي قضاته يحيى بن أكثم، إضافة إلى انشغال المأمون في الحرب مع الدولـة البيزنطيـة والمـشاكل الداخلية في مصر والشام[6]. وقد بدأت المحنة فعلياً في سنة 218هـ حيـث ذكـر الطبري "وفي هذه السنة كتب المأمون إلى إسحاق بن إبراهيم في امتحـان القـضاة والمحدثين... وكان ذلك أول كتاب كُتب في ذلك"[7]. وكانت رسالة المـأمون إلـى والي بغداد إسحاق بن إبراهيم طويلة[8] تضمنت توضيح وتبرير رغبته في امتحـان المحدثين والقضاة وبيان دور الإمام في ترسيخ المعتقدات الدينية واصفاً عامة الناس

(1) الأشعري، مقالات، ج1، ص337؛ أمين، ضحى، ج3، ص36، 64.
(2) جار الله، المعتزلة، ص52.
(3) العمرجي، المعتزلة، ص45.
(4) الطبري، تاريخ، ج5، ص178.
(5) المسعودي، مروج، ج4، ص40.
(6) الكساسبه، السلطة، ص123.
(7) الطبري، تاريخ، ج5، ص186.
(8) نص الرسالة عند، الطبري، تاريخ، ج5، ص186-187.

بالجهل في الأمور الشرعية وعدم مقدرتهم على فهم التوحيد، كما أنهم يخفقون في التمييز بين الخالق والمخلوق، وانتهى بأن طلب إلى الوالي أن يجمع ما لديه من القضاة ويقرأ عليهم كتابه ويمتحنهم فيما يقولون، فمن لم يقل بخلق القرآن يعزل من وظيفته[1].

ثم عاود المأمون إرسال رسالة أخرى إلى الوالي إسحاق بن إبراهيم يأمره بامتحان العلماء والمحدثين، فبدأ الوالي يمتحن هؤلاء العلماء الواحد تلو الآخر، فأجابوا إلا أربعة علماء هم "أحمد بن حنبل، وسجاده، والقواريري، ومحمد بن نوح المضروب". فأمر بهم إسحاق بن إبراهيم فشدوا في الحديد فلما كان من الغد دعا بهم جميعاً يساقون في الحديد فأعاد عليهم المحنة فأجابه سجاده إلى أن القرآن مخلوق فأمر بإطلاق قيده. وأصر الآخرون على قولهم... ثم أجاب القواريري إلى أن القرآن مخلوق فأمر بإطلاق قيده، وأصر الإمام أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح على قولهما"[2].

وقد أمر باستخدام القسوة والشدة في فرض هذه الفكرة، ذكر الدميري (ت808هـ/1405م): "فحمل الناس على القول بخلق القرآن وكل من لم يقل بخلق القرآن عاقبه أشد عقوبة"[3].

فعاني عدة علماء خلال عهده، فإلى جانب المذكورين رفض الحارث بن مسكين قاضي مصر القول بخلق القرآن وسجن، فبقي مسجوناً حتى أطلقه المتوكل[4].

وقد ركز المأمون اهتمامه في مسألة خلق القرآن على امتحان القضاة والمحدثين وسائر العلماء دون النظر إلى العامة، وأصبح هذا الامتحان الديني أداة سياسية في يد الخلافة العباسية استخدمتها في جميع الولايات لإظهار من يدينون بالطاعة والولاء للخليفة العباسي[5].

---

(1) الكساسبه، السلطة، ص124.

(2) الطبري، تاريخ، ج5، ص193-194.

(3) الدميري، تاريخ، ص98.

(4) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج8، ص216.

(5) جار الله، المعتزلة، ص78-79.

وقد سميت مسألة خلق القرآن بالمحنة[1]، وقد أطلق هذا اللفظ على الاضـطهاد الذي لقيه الناس والعلماء في أواخر عهد المأمون سنة 218هـ/833م واستمر طيلة عهد المعتصم والواثق إلى سنة 234هـ/848م[2].

وقد كان الدافع وراء فعل المأمون في امتحان الناس أنه كان يرى أن الواجـب يحتم عليه تصحيح عقائد الناس الفاسدة ولا سيما إذا تغلغل في أصل مـن أصـول الدين –من وجهة نظر المعتزلة- كالإشراك مع الله في القدم شيئاً آخر، مثل القرآن الكريم[3]؛ لأن المعتزلة يدافعون عن وحدانية الله ولذلك وجدوا في القول بأن القرآن غير مخلوق ما يتعارض مع وحدانية الله تعالى، لأن الشيء إذا كان غيـر مخلـوق أصبح قديماً أزلياً، والقدم والأزلية من صفات الله وحده[4].

بعد وفاة الخليفة المأمون سنة 218هـ وجد المعتصم نفسه أمام وصية أخيه الذي فرض عليه أمرين:

الأول: الاستمساك بدعوته في مسألة خلق القرآن.

الثاني: الاستعانة بأحمد بن أبي دؤاد وهذا ما يعزز الأمر الأول.

وهكذا فكما اعتبر المأمون أخاه خليفته في تولي شؤون الحكم، فقد اعتبر ابن أبي دؤاد خليفته في الدعوة إلى القول بخلق القرآن[5]، وعلى الـرغم مـن أن الخليفـة المعتصم كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب كما ذكر الطبري[6]، وكان غير مثقف فلسفياً إلا أنه دعم فكرة المعتزلة بحماسة تقليداً لأخيه المأمون[7].

---

(1) المسعودي، مروج، ج4، ص40.

(2) EI2 Mihna.

(3) أمين، ضحى، ج3، ص169؛ العمرجي، المعتزلة، ص60؛ حسن أحمـد محمـود وأحمـد الشريف، العالم الإسلامي في العصر العباسي، ط1، دار الفكر العربي، القـاهرة، 1965م، ص41 (سيشار إليه تالياً: محمود والشريف، العصر).

(4) كمال الدين محمد بن عيسى بن علي الدميري (ت808هـ/1405م)، حياة الحيوان الكبرى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت)، ج1، ص73 (سيشار إليه تالياً: الدميري، حياة).

(5) عبدالحسين، موقف، ص388.

(6) الطبري، تاريخ، ج5، ص272.

(7) الكساسبة، السلطة، ص126؛ "El1 "Mihna.

وقد كتب إلى الولايات يطلب الاستمرار في امتحان الناس بخلق القـرآن وأمـر الولاة أن يعلموا الصبيان ذلك وقاسى الناس معه مشقة كبيرة[1]، وأصبح كل عالم أو قاضٍ معرضاً للضرب بالسياط والتعذيب إذا لم يأخذ برأي المعتزلة بالقرآن[2].

كما حدث مع نعيم بن حماد الذي أُحضر من مصر للامتحان وسئل عـن خلـق القرآن فامتنع فحبس[3].

وقد كانت أهم وقائع المحنة في عهد المعتصم بالله هي محنة الإمام أحمـد بـن حنبل[4]، الذي عانى منذ أن أمر المأمون بجلبه مقيداً لامتناعه عـن القـول بخلـق القرآن وأودع بالسجن[5]، وكان يتسلل إليه القوم ويطلبون منه أن يقول بخلق القرآن تقية كما قال غيره من العلماء فرفض ذلك[6].

طلب المعتصم الإمام أحمد فأحضر له من السجن، وعقد له مجلـساً للمنـاظرة استمر ثلاثة أيام كان يناظره القاضي أحمد بن أبي دؤاد وغيره، وقد وصف الدميري (ت808هـ/1405م) ذلك بالقول: "ولم يزل معهم في جدال إلى اليوم الرابع فـأمر بضربه، فضرب بالسياط ولم يزل عن الصراط إلى أن أُغمي عليه ونخسه عجيـف بالسيف ورمى عليه حصيرة وديس عليه ثم حمل فصار إلى منزلـه وكانـت مـدة مكوثه في السجن ثمانية وعشرين شهراً"[7] عانى فيها أشد الأهوال من جلد بالسياط وحبس مظلم وغير ذلك[8].

---

(1) السيوطي، تاريخ، ص335.

(2) جار الله، المعتزلة، ص172.

(3) القرماني، أخبار، ص155.

(4) عن تفاصيل محنة الإمام انظر جمال الدين أبي الفرج بن الجوزي (ت597هـ/1200م)، مناقب الإمام أحمد بن حنبل، ط1، القاهرة 1979م، ص26-53 (سيشار إليه تاليـاً: ابـن الجوزي، مناقب).

(5) الدميري، تاريخ، ص98.

(6) أبو نعيم، الأصبهاني، حلية الأولياء، دار الكتاب العربـي، بيـروت 1969، ج9، ص197 (سيشار إليه تالياً: الأصبهاني، حلية).

(7) الدميري، تاريخ، ص100.

(8) ابن الجوزي، مناقب، ص397-416؛ عبدالحسين، موقف، ص392-395.

ويبدو أن الخليفة المعتصم قد أعجب بثبات الإمام أحمد وصلابته، حيث شفق عليه وكان يخلو به ويقول له "ويحك يا أحمد أنا والله شفيق عليك وإني لأشفق عليك مثل شفقتي على ابني هارون يعني الواثق فأجبني فوالله لئن أجبتني لأطلقن غلك بيدي ولأطان عتبتك ولأركبن إليك بجندي. فيقول: يا أمير المؤمنين أعطوني شيئاً من كتاب الله تعالى أو سنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فإذا طال المجلس به ضجر وقام ورد أحمد في الموضع الذي كان فيه وتردد إليه رسل المعتصم يقولون: يا أحمد أمير المؤمنين يقول لك ما تقول في القرآن؟ فيرد كما رد أولاً"[1] بقي في سجنه وقد ذكر ابن العماد الحنبلي ما يفيد بان الخليفة ندم على ضرب الإمام أحمد – رحمه الله تعالى-[2].

كما عانى علماء آخرين مثل ما عانى الإمام أحمد، فقد اضطهد بعضهم وقتل آخر مثل قتل والي مصر عدداً من العلماء الذين لم يصرحوا باعتقادهم بخلق القرآن[3]، وقد كان تشدد الخليفة المعتصم في فرض مذهب الاعتزال من باب التقليد والوفاء لمبادئ وصية أخيه المأمون[4].

3.3 الواثق ومذهب المعتزلة:

خلف الواثق بالله أباه المعتصم بالله بالحكم، وقد كان على درجة عالية من العلم والمعرفة حتى وصف بالمأمون الأصغر لغزارة معرفته وعلمه وأدبه وفضله[5]، وقد اقتدى الواثق بكل من عمه المأمون والمعتصم في مسألة خلق القرآن، ويبدو أن رجال الإدارة والعلم الذين أحاطوا به قد حملوه على التشدد بالمحنة كما سيأتي ذكره لاحقاً، فسار على خطى عمه وأبيه بتطبيق مذهب الاعتزال واتخذ مجموعة من

---

(1) الدميري، تاريخ، ص101.

(2) ابن العماد الحنبلي، شذرات، ج2، ص699.

(3) ابن تغري بردي، النجوم، ج2، ص218؛ الكساسبة، السلطة، ص126.

(4) حسن أحمد محمود، العالم الإسلامي في العصر العباسي، دار الفكر العربي، القاهرة 1995م، ص141 (سيشار إليه تالياً: محمود، العالم).

(5) انظر الفصل الأول، ص25،26.

التدابير لغايات فرض مذهب الدولة على الناس، ويمكن حصر هذه الإجراءات بما يأتي:

1. استخدام أساليب الدعاية والإعلام المتاحة آنذاك، وهي المنابر والمساجد، حيث أمر الخليفة الواثق بالله بأن يكتب على باب البيت الحرام في مكة، وعلى أبواب المساجد عبارة (القرآن مخلوق)[1].

وهنا يبدو أن الخليفة كان يريد تعميم فكرة خلق القرآن على كافة المسلمين الذين يأتون البيت الحرام للحج والعمرة والزيارة من كل حدب وصوب.

2. أمر القضاة في دولته بامتحان الناس في خلق القرآن.

يذكر اليعقوبي "وكتب إلى القضاة أن يفعلوا ذلك في سائر البلدان وأن لا يجيزوا إلا شهادة من قال بالتوحيد –خلق القرآن- فحبس بهذا السبب عالماً كثيراً"[2].

3. تعيين موظفي الدولة ممن يؤمنون بمذهب الاعتزال وخاصة القضاة، حيث عاتب الخليفة أحمد بن أبي دؤاد عندما عين قاضياً من غير المعتزلة فقد فقال له: يا أحمد "لم تولي قضاءنا من لا يذهب مذهبنا"، يقصد بذلك أحد القضاة في البصرة[3].

---

(1) محمد بن أحمد بن تميم التميمي (ت333هـ/944م) كتاب المحن، تحقيق يحي الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1983، ص253 (سيشار إليه تاليا: التميمي، المحن) تقي الدين عبد القادر التميمي المصري الحنفي (ت1005هـ/1596م) الطبقات السنية في تراجم الحنفية، تحقيق عبد الفتاح الحلو، دار الرفاعي، الرياض 1983، ج1، ص38-39 (سيشار إليه تاليا: تقي الدين الحنفي، طبقات الحنفية.

(2) اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص482، انظر فاروق عمر فوزي، العباسيون الأوائل دار مجدلاوي للنشر، عمان 2003، ص284 (سيشار إليه تاليا: فوزي، العباسيون).

(3) وكيع محمد بن خلف بن حيان (ت306هـ/918م) أخبار القضاة، عالم الكتاب، بيروت (د.ت)، ج2، ص175 (سيشار إليه تاليا: وكيع، القضاة)؛ J.saundress, AHistory of medieual islam, London, 1982, P112.

إن الخليفة الواثق عين في الدولة قضاة يؤمنون بالاعتزال مثل الحسن بن علي بن الجعد بن عبيد الجوهري مولى أم سلمة المخزومية على قضاء مدينة بغداد بعد أن عزل قاضيها[1].

4. امتحان موظفي الدولة:

كالأئمة والمؤذنين فقد بعث الخليفة الواثق بالله بكتاب إلى والي البصرة في سنة 231هـ/845م يأمره فيه بامتحان أئمة المساجد والمؤذنين في مسالة خلق القرآن[2].

5. محاولة فرض هذا المذهب على العامة:

حيث امتحن المخالفين من العامة وأمر بمناظرتهم وحملهم على قبول هذا المذهب[3]. أمر الخليفة الواثق بالله في سنة 231هـ/845م بامتحان أهل الثغور فقالوا جميعاً بأن القرآن مخلوق فأعطاهم الخليفة الجوائز وأبقاهم في مناصبهم[4].

---

(1) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج10، ص73؛ ابن الجوزي المنتظم، ج11، ص297؛ ابن كثير، البداية، ج9، ص307.

(2) الذهبي، العبر، ج1، ص320-321، الذهبي، تاريخ، ص6، الحنبلي، شذرات، ج2، ص69، اليافعي، مرآة، ج2، ص76، ابن تغري بردي، النجوم، ج2، ص314-482، السيوطي، تاريخ، ص340، الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي (ت911هـ/1505م)، كتاب التبري من معرة المعري وتحفة الظرفاء بأسماء الخلفاء، تحقيق محمود محمد نصار، دار الجيل، بيروت، 1989، ص، (سيشار إليه تاليا: السيوطي، التبري). علي، موسوعة، ص217، حسين، موسوعة، ص468-469، Hussein F.Kasassbeh, The office of qadi in the early Abbasid Caliphate (132-247, 750-861) Amman, 1994. P230.

(3) أبو الحسن علي بن محمد الماوردي (ت450هـ)، نصيحة الملوك، تحقيق محمد جاسم الحديثي، دار الشؤون الثقافية، بغداد 1986، ص106 (سيشار إليه تالياً: الماوردي، نصيحة)؛ الأزدي، أخبار، ج2، ص354.

(4) الطبري، تاريخ، ج5، ص285؛ مسكويه، تجارب، ج4، ص98؛ زهدي جار الله، المعتزلة، المؤسسة العربية للنشر، بيروت 1990، ص185 (سيشار إليه تاليا: جار الله، المعتزلة).

6. امتحان العلماء:

فقد أمر الخليفة بامتحان العلماء[1] بمشورة قاضيه أحمد بن أبي دؤاد[2]. مثل أبو يعقوب يوسف البويطي الذي حمل من مصر إلى العراق للامتجان، فامتنع عن القول بخلق القرآن فسجن حتى مات بسجنه[3]، وغيره كثير من العلماء[4].

7. امتحان الأسرى:

أمر الخليفة الواثق بالله أثناء تبادل الأسرى مع الدولة البيزنطية سنة 231هـ/845م بامتحان الأسرى، فمن أجاب بأن القرآن مخلوق تم إطلاق سراحه وأعطي جائزة مالية[5]، حيث أمر الخليفة أن يعطى جميع من قال أن القرآن مخلوق "ممن فودي به ديناراً لكل إنسان"[6] أما من أبى الإجابة في خلق القرآن فبقى في الأسر[7].

ويرى الباحث أن في إجراء الخليفة الواثق بالله هذا اتجاه الأسرى صورة من صور التعصب المذهبي الذي لا مبرر له، وربما أن كثيراً من الأسرى أجابوا بخلق القرآن لغاية إطلاق سراحهم.

8. جمع الواثق بالله حوله الكثير من العلماء الذين وافقوه على مذهبه القائل بخلق القرآن كما هو موضح في الجدول التالي[8]، كما أقدم على تعذيب وقتل العلماء الذين خالفوه الرأي[9]:

---

(1) الذهبي، دول، ج1، ص108.

(2) انظر الفصل الرابع، ص117-118.

(3) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج14، ص299-302.

(4) انظر الجدول رقم (3).

(5) الطبري، تاريخ، ج5، ص285-286؛ مسكويه، تجارب، ج4، ص99؛ ابن واردان، تاريخ، ص556-557؛ ابن العبري، تاريخ، ص36؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج2، ص314.

(6) الطبري، تاريخ، ج5، ص285.

(7) الطبري، تاريخ، ج5، ص285؛ جار الله، المعتزلة، ص185؛ ناجي، الدولة، ص146؛ خالد جاسم الجنابي، تنظيمات الجيش في العصر العباسي الثاني 218-334هـ / 833-945م، دار الشؤون الثقافية، بغداد 1989، ص134 (سيشار إليه تالياً: الجنابي، تنظيمات).

(8) انظر الجدول رقم (3).

(9) انظر تالياً، ص79-83.

4.3 الموقف العام من الاعتزال

يرى فهمي جدعان أن الهدف من وراء تبني مذهب الاعتزال في عهد المـأمون والمعتصم والواثق كان الهدف منها هو إضعاف فئة الفقهاء والعلماء[1]، الذين كـان لهم تأثير عميق على العامة والذين أصبح لهم شعبية تشكل قوة دينية وسياسية تنافس قوة الخلفاء[2]. كما أن منهج المعتزلة لم يناسب إلا الخاصة ولذلك لم يعتنق الاعتزال إلا خاصة المثقفين، أما العوام فكانوا يكرهون هذا المذهب، ولـذلك عارضـوه[3]، وكرهوا الخليفة الواثق بالله وفسدت قلوب عامة الناس عليه[4].

كما أن الإجراءات التي اتبعها الواثق لفرض أفكاره[5]، أغضبت الناس عليه؛ لأنه أشغلهم بالمحنة فكرهوه[6]، وقد أشار ابن العبري إلى أنه أنزل بمـن خالفـه فـي الاعتزال عذاباً فادحاً[7].

وقد انقسم العلماء إلى فريقين تجاه مذهب الاعتزال:

الفريق الأول: أجاب العلماء لمذهب الخليفة ووافقوه، ويبدو أن بعـضهم أجـاب لقناعة وفكر وفريقاً أجاب طمعاً في مغنم، وهناك من أجاب تماشياً مع التيار العـام كونه مذهب الدولة، ومنهم:

1. أبو الفضل جعفر بن حرب الهمذاني المعتزلي العابد: والذي كان مقرباً مـن مجالس الواثق ومناظراته ووافقه على مذهب الاعتزال[8].

---

(1) انظر العلي، سامراء، ص32.

(2) فهمي جدعان، المحنة بحث في جدلية الديني والسياسي في الإسلام، دار الشروق للنشر والتوزيـع، عمـان 1989، ص297 (سيشار إليه تالياً: جدعان، المحنة)؛ سلطان بن خالد بن حثلين، الفقهـاء، والخلفـاء، دار عمار للنشر، عمان 2000، ص128 (سيشار إليه تالياً: حثلين، الفقهاء).

(3) أمين، موسوعة، ج22، ص152، أيوب، التاريخ، ص98.

(4) السيوطي، تاريخ، ص128.

(5) اليعقوبي، مشاكلة الناس لزمانهم، تحقيق وليم ملورد، ط2، دار الكتاب، بيروت، 1980م، ص31.

(6) القضاعي، عيون، ص448، النويري، نهاية، ج22، ص275، سالم، العصر، ص96.

(7) ابن العبري، تاريخ، ص36.

(8) الإمام ابن الجوزي، (ت597هـ/1200م) الشفاء في مواعظ الملوك والخلفاء، تحقيق فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الحرمين، الدوحة، 1982، ص174، (سيشار إليه تاليا: ابن الجوزي، الشفاء).

2. صالح بن علي بن يعقوب بن المنصور الهاشمي الذي كان يقول بخلق القرآن أيام الواثق بالله[1].

3. عبدالملك بن عبدالعزيز الحافظ أبو نصر الثمار الذي كان إمام عالماً زاهداً، وقد كان على خلاف مع الإمام أحمد بن حنبل، حيث نهى عن الأخـذ عنـه لأنه أجاب في المحنة[2].

4. أبو عثمان المازني[3]، وهو الشاعر والأديب النحوي الذي استدعاه الواثـق من البصرة وحضر مجالس الخليفة العلمية[4].

5. القاضي أحمد بن ابن أبي دؤاد[5].

6. الوزير محمد بن عبدالملك ابن الزيات[6].

7. عبدالله بن محمد بن يزيد الخليجي، كان فقيهاً على مذهب أبي حنيفة، وكـان يقول بخلق القرآن[7].

الفريق الثاني: وهم الذين عارضوا مذهب المعتزلة وعانوا في ذلك معاناة كبيرة، حتى أن بعضهم عذب وسجن ووصل الحد ببعضهم إلى دفع حياته ثمناً لمعارضـته لفكر المعتزلة، ويمكن ذكر أبرز هؤلاء العلماء:

1. الإمام أحمد بن حنبل.

هو الإمام أبو عبدالله أحمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن شيبان، ولد في بغداد سنة 164هـ/780م، وهو إمام المحدثين في عصره، صنف مسنده الـذي

---

(1) ابن منظور، مختصر، ج27، ص42-43.

(2) ابن تغري بردي، النجوم، ج2، ص307.

(3) الحنبلي، شذرات، ج2، ص113-114.

(4) انظر الفصل الأول.

(5) انظر أعـلاه، ص ، Farowq Omar Fawsi, studies on the history of sects in medival Islam, Al Albayt university, Jordan, 2001, p.124.

(6) انظر الفصل الرابع (الوزارة).

(7) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج7، ص240؛ أبو يعلى، طبقات الحنفية، ج1، ص290.

جمع فيه الحديث(1)، دعي الإمام أحمد إلى القول بخلق القرآن في عهـد المـأمون، ولكنه رفض وحبس وظل في السجن دون أن يثنيه عن رأيه وظل على معارضـة لرأي الدولة فيما يخص القرآن، وفي عهد الخليفة المعتصم طلبه إلى مجلسه كما مر سابقاً وأحضر له الفقهاء فناظروه، فلم يجب فضرب وحبس سنة 220هـ ـ/835م، وبقي في الحبس إلى أن مات الخليفة المعتصم(2)، فلما ولي الخليفة الواثق بالله منعه من الخروج من داره إلى أن أخرجه المتوكل وخلع عليه(3)، وفي أثناء اشتداد المحنة أيام الخليفة الواثق بالله جاءه بعض الفقهاء واستشاروه في الثورة والخـروج علـى الخليفة، فرفض الإمام أحمد ذلك، ونصحهم بالإنكار، وإلا يعرضـوا أنفـسهم إلـى الهزيمة والقتل ونصحهم بالصبر(4). ولم يذهب الواثق بعيداً في معاملة واضـطهاد

---

(1) عن سيرة الإمام أحمد بن حنبل المفصلة انظر ابن خلكان، وفيات، ج1، ص63، التميمـي، المحن، ص438، الإمام الحافظ أحمد بن حجـر العـسقلاني، (ت773-852هـ ـ/1371-1448م) أطراف مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق زهير الناصر، دار ابن كثير، دمـشق، 1993، ج1، ص37-43، (سيشار إليه تاليا: العسقلاني، أطراف) أبو علي يحي بن جزيـة البغدادي، (ت493هـ) مختصر تاريخ بغداد، تحقيق شاكر محمود، بيت الحكمـة، بغـداد، 2003، ص127، ابن كثير، البداية، ج9، ص325-342، تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الوهاب بن علي بن عبـد الكـافي الـسبكي، (ت727-771هـ ـ/1326-1369م) طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطنـاحي، دار إحيـاء الكتـب العلميـة، القـاهرة، (د.ت) ج2، ص22، جـلال الـدين الـسيوطي، (ت911هـ/1505م) طبقات الحفاظ، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة وهبه، القاهرة، 1994، ص186، (سيشار إليه تاليا: السيوطي، طبقات) القاضي أبو الحسين محمد بن أبـي يعلـى، طبقات الحنابلة، دار المعرفـة، بيـروت، 1982، ج1، ص ، Fawzi, studies, p.272؛ أحمد، موقف، ص396، عاشور، دراسات، ص48، الشكعة، الإمام، ص161، ختام محمود القرعان، الفكر التربوي عند الإمام أحمد بن حنبل، رسالة ماجستير غير منـشورة، جامعـة اليرموك، 1992، ص4، (سيشار إليه تاليا: القرعان، الفكر).

(2) انظر سابقاً، ص57.

(3) إسحاق بن حنبل، ذكر محنة الإمام أحمد، مطبعة سـعدي، القـاهرة، 1983، ص72-73، (سيشار إليه تاليا: ابن حنبل، محنة الإمام).

(4) ابن حثلين، الفقهاء، ص132-133، أمين، موسوعة، ج3، ص161.

أحمد بن حنبل، ويعود ذلك كما يبدو لأسباب أولها: أن الواثق كان عارفاً أنه بالرغم من تعذيب الإمام أحمد واضطهاده إلا أنه لم يغير وجهة نظره وموقفه من خلق القرآن، وثانيها: أن الخليفة خشي من ردة فعل العامة المتعاطفين مع الإمام أحمد لو استمر في تعذيبه(1). وثالثها أن الشيخ الأذرمي الذي ناظر ابن أبي دؤاد وهزمه في تلك المناظرة، قد قلل من شأن ابن أبي دؤاد ومذهب المعتزلة في عين الواثق كما سيتضح لاحقاً.

2. أحمد بن نصر الخزاعي(2).

3. أبو يعقوب يوسف البويطي.

هو أبو يعقوب يوسف بن يحيى البويطي، صاحب وتلميذ الإمام الشافعي(3)، ينسب إلى قرية بويط في صعيد مصر، وقد قام البويطي مكان الشافعي بمصر بعد وفاته في الدرس والإفتاء(4)، ولما كانت المحنة في خلق القرآن حمل الإمام البويطي على بغلة من مصر مقيداً فلما وصل إلى العراق أُريد منه القول بأن القرآن مخلوق فامتنع عن ذلك ولم يجب فبقي في السجن، وكان وهو مسجون إذا سمع المؤذن يوم الجمعة اغتسل ولبس ثيابه ومشى حتى يبلغ باب السجن فيقول له السجان أين تريد فيقول أجيب داعي الله فيقول: ارجع عفاك الله فيقول: اللهم إنك تعلم أني قد أجبت داعيك فمنعوني(5).

---

(1) Patton, W. M., Ahmad ibn Hanbal and the Mihna, Leiden, 1897, p.119.

(2) سيأتي الحديث عنه في ثورة بغداد، انظر تالياً .

(3) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج14، ص299-302، ابن الجوزي، المنتظم، ج1، ص174، أبو الفداء، المختصر، ج2، ص36، الترمانيني، أحداث، ص307، القلقشندي، مآثر، ج1، ص227.

(4) ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج4، ص26، ابن خلكان، وفيات، ج7، ص61-64.

(5) الذهبي، العبر، ج1، ص323، اليافعي، مرآة، ج2، ص77، ابن الوردي، تاريخ، ج1، ص306، ابن كثير، البداية، ج9، ص335، الحنبلي، شذرات، ج2، ص71-72، السبكي، طبقات، ج2، ص162-265.

4. نعيم بن حماد.

من العلماء الذين امتحنوا بخلق القرآن نعيم بن حماد الخزاعـي الحـافظ، أحـد علماء الأثر، امتُحن فلم يجب فحبس وقيد ومات في الحبس سنة 229هـ رحمه الله تعالى[1].

5. بكار بن الحسن بن عثمان بن زياد بن عبدالله العنبري.

وهو من الفقهاء السنة الذين امتحنوا في أيام الواثق بالله، ولكنه لـم يجـب بـان القرآن مخلوق فأوذي[2]، وكان يقول "عيون الناس ممدودة إلي فإن أجبت أخشى أن يجيبوا ويكفروا" وقد تجهز للثورة على الخليفة الواثق فلما تهيأ لها جاءه خبر وفـاة الخليفة، وقد توفي سنة 238هـ رحمه الله[3].

6. عفان بن مسلم بن عبدالله البصري.

سكن بغداد ورفض القول بخلق القرآن زمن الخليفة الواثق بالله[4].

7. بشر المريسي[5].

من الفقهاء الذين امتحنوا في عهد الواثق بالله ولكنه لم يجب بخلق القرآن.

8. أبو عبدالرحمن عبدالله بن محمد الأذرمي.

امتحن ولم يجب[6]، وتناظر مع القاضي ابن أبي دؤاد بحضور الخليفة الواثـق، وانتصر على أبي دؤاد في المناظرة وكان سبباً في تراجع الخليفة عن الاعتزال[7].

---

(1) الذهبي، العبر، ج1، ص318، الذهبي، دول، ج1، ص107، السبكي، طبقـات، ج2، ص53، الترمـابيني، أزمنة، ج1، ص906، ابن حثيلين، الفقهاء، ص133؛ Kassasbeh, the office, p.119.

(2) أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان المعروف بأبي الشيخ الأنصاري (ت274-369هـ/861-979م) طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها، تحقيق عبد الغفور البلوشي، مؤسسة الرسالة، بيـروت 1988، ج2، ص131-132، تقي الدين التميمي، طبقات المحدثين، ج1، ص168.

(3) الشيخ الأنصاري، طبقات المحدثين، ج2، ص131.

(4) التميمي، المحنة، ص436.

(5) ابن حزم، رسائل بن حزم، ج3، ص173.

(6) السيوطي، تاريخ، ص341-342.

(7) انظر أعلاه، ص70-72.

9. الحارث بن مسكين:

وهو فقيه ومحدث عاش في مصر، كان مولده سنة 154هـ/766م، رفض القول بخلاق القرآن فحمل إلى مصر في عهد المأمون وسجنه فبقي في السجن حتى أطلقه المتوكل وأكرمه وأعاده إلى مصر وعينه قاضياً عليها، توفي سنة 250هـ/860م[1].

10. إبراهيم بن هاني أبو إسحاق النيسابوري:

كان ورعاً صالحاً صبوراً، رفض مذهب الاعتزال مدحه الإمام أحمد بن حنبل وقال عنه "إن كان في البلد رجل من الإبدال فأبو إسحاق النيسابوري"[2].

11. حنبل بن أحمد بن حنبل:

رفض فكر المعتزلة وكان يقول "القرآن كلام الله عز وجل غير مخلوق ولا يوصف الله بشيء أكثر مما وصف به نفسه عز وجل"[3].

أما العامة فلم يستجيبوا لسياسة الخليفة الواثق في فرض الاعتزال عليهم وكرهوه وكرهوا هذا الفكر، يشير المسعودي (ت346هـ/957م) لذلك بالقول: "شغل نفسه بمحنة الناس في الدين فأفسد عليهم قلوبهم وأوجدهم السبيل في الطعن عليه"[4]، وذلك بمشورة ودعم من حاشيته والمقربين إليه، فقد بقي المعتزلة هم أصحاب النفوذ والسلطان، ومن أشهرهم أحمد بن أبي دؤاد قاضيه[5]، ووزيره محمد بن عبدالملك الزيات[6].

لقد كانت سياسة التشدد في فرض هذا المذهب وما رافقه من كبت وعنف سبباً في ظهور ردة فعل عنيفة في بغداد، إلى القيام بثورتين:

---

(1) الذهبي، سير، ج12، ص54.

(2) الذهبي، طبقات الحفاظ، ج1، ص97.

(3) المصدر نفسه، ج1، ص43.

(4) المسعودي، التنبيه، ص329، انظر، محل، رسوم، ص155.

(5) السبكي، طبقات، ج2، ص61، انظر الفصل الرابع، ص103.

(6) ابن خلكان، وفيات، ج5، ص103، انظر الفصل الرابع، ص87-88.

1. في سنة 227هـ/890م ثار جماعة من عامة الناس في بغداد على أبي صالح شعيب بن سهل الرازي الذي كان إمام مسجد الرصافة؛ الذي كـان يتبنـى مذهب الاعتزال ويمتحن الناس في خلق القرآن؛ فقام العامة بردة فعل ضـد هذا الرجل فقاموا بإحراق داره ونهبوا منزله وحـاولوا قتلـه لكنـه هـرب منهم[1].

2. حركة أحمد بن نصر الخزاعي: هو أحمد بن نصر بن مالـك بـن الهيـثم الخزاعي، كان جده مالك بن نقباء الدعوة العباسية[2]، تناولـت كثيـر مـن المصادر قصة قتله، حيث اعتبرته شهيد زمانه، ووصفوه بأنه كان من أهـل الحديث قائماً بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[3]، ونعته آخر بأنه كـان إماماً قوالاً للحق[4]، وقد أسهبت المصادر بالحديث عنه وعن الحركة التي قام بها في بغداد[5]. فوصفه الذهبي: "الإمـام الكبيـر الـشهيد... كـان أمـاراً بالمعروف قوالاً للحق"[6]. وقال عنه السبكي "الإمام أحمد بن نصر ذو الجنان

---

(1) وكيع، أخبار، ج3، ص277.

(2) الطبري، تاريخ، ج5، ص281، البغـدادي، الفـرق، ص163، مـسكويه، تجـارب، ج4، ص95-98، ابن واردان، تاريخ، ص562-563، السبكي، طبقات، ج2، ص51، ابن كثير، البداية، ج9، ص305، ابن العماد، شذرات، ج2، ص69، البكجري، مختار، ص135.

(3) السيوطي، تاريخ، ص340.

(4) الذهبي، دول، ج1، ص107، ابن الجوزي، المنتظم، ج11، ص165.

(5) اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص482، الدميري، تاريخ، ص108. ابن الجوزي، صفة الـصفوة، ج2، ص337، الخطيب البغدادي، تاريخ، ج5، ص173، النويري، نهاية، ج22، ص265، رمزية الأطرقجي، الحياة الاجتماعية في بغداد منذ نشأتها حتى نهاية العصر العباسي الأول، منشورات جامعة بغداد، 1982، ص80، (سيشار إليه تاليا: الأطرقجي، الحياة) هناء أحمـد محمود الضمور، الحياة العلمية والثقافية في سامراء، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعـة مؤتة، 2001، ص80، (سيشار إليه تاليا: الضمور، الحياة).

(6) سير، ج10، ص306.

واللسان والثبات وإن اضطرب المهند واللسان والوثبات شيخاً جليلاً قوالاً بالحق أماراً بالمعروف نهاءاً عن المنكر"[1].

أما تفاصيل هذه الثورة فقد وردت مفصلة عند الخطيب البغدادي (ت463هـ/1070م):

ففي سنة 231هـ/845م اجتمع أهل بغداد يطلبون من أحمد بن نصر قيادة ثورتهم ضد الدولة وبمساعدة الميسورين من أهل بغداد، تم تخصيص مبالغ مالية لهذه الثورة، حيث يذكر الطبري أنه "أُعطي "كل رجل منهم ديناراً ديناراً"[2].وتم تحديد موعد لقيام هذه الثورة التي أُفشي سرها بسبب شرب بعض اتباعها من العامة النبيذ[3]. فتم القبض على أحمد بن نصر، فحمل من بغداد إلى الخليفة في سامراء، وهناك حدث حوار بين الواثق بالله وأحمد بن نصر، وهذا نص الحوار:

الواثق: ما تقول في القرآن؟

أحمد بن نصر: هو كلام الله.

الواثق: أفمخلوق هو؟

أحمد بن نصر: هو كلام الله.

الواثق: أفترى ربك يوم القيامة؟

أحمد بن نصر: كذا جاءت الرواية.

الواثق: ويحك يرى كما يرى المحدود المتجسم يحويه مكان ويحصره الناظر. أنا أكفر برب هذه صفته "الواثق يخاطب الحاشية: ما تقولون فيه؟" عبدالرحمن بن إسحاق القاضي على الجانب الغربي ببغداد هو حلال الدم.

ابن أبي دؤاد: "كان كارهاً لقتل أحمد بن نصر": يا أمير المؤمنين شيخ مختل لعل به عاهة أو تغير عقل يؤخر أمره.

---

(1) السبكي، طبقات الشافعية، ج2، ص51.

(2) الطبري، تاريخ، ج5، ص282.

(3) المصدر نفسه، تاريخ، ج5، ص282.

الواثق: ما أراه إلا مؤدياً لكفره قائماً بما يعتقده منه، فطلب الواثق بالصمصامة[1]، وقال إذا قمت إليه فلا يقومن أحد معي فإني احتسب خطاي إلى هذا الكافر الذي يعبد رباً لا نعبده ولا نعرفه بالصفة التي وصفه بها ثم أمر بالنطع وأُجلس عليه وهو مقيد وأمر بشد رأسه بحبل وأمرهم أن يمدوه ومشى إليه حتى ضرب عنقه وأمر بحمل رأسه إلى بغداد فنصب في الجانب الشرقي. وأمر الواثق أن تعلق ورقة في أذنه مكتوب عليها: "بسم الله الرحمن الرحيم: هذا رأس أحمد بن نصر بن مالك دعاه عبدالله الإمام هارون إلى القول بخلق القرآن ونفي التشبيه فأبى إلا المعاندة فجعله الله إلى ناره"[2].

وكان مقتل أحمد بن نصر يوم السبت في شهر رمضان وهو صائم سنة 231هـ/845م، حيث صلب جسمه في سامراء وبعث رأسه، ونُصب في بغداد ولم يزل منصوباً ست سنين حيث أمر الخليفة المتوكل بالجمع بين رأسه وجسده، ودفن في الجانب الشرقي من بغداد[3].

وبعد قتل أحمد بن نصر أمر الواثق بتتبع أنصاره فسجن منهم حوالي خمسين رجلاً حيث تم تقييدهم بالحديد ومنع ذويهم من زيارتهم[4].

وتتطرق بعض المصادر إلى أسباب أُخرى أدت إلى قتل أحمد بن نصر أسباب تعدت ذلك الحوار ويمكن إجمالها بان أحمد بن نصر قد استفز الخليفة الواثق حيث قال له:

---

(1) الصماصمة: هو السيف الذي ينثني يعود السيف إلى عمرو بن معد يكرب، انظر، الطبري، تاريخ، ج5، ص283-284؛ نعمان ثابت، العسكرية في عهد العباسيين، مراجعة حامد أحمد الورد، بغداد، 1986، ص150، (سيشار إليه تاليا: ثابت، العسكرية).

(2) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج5، ص173-179، وقد ورد حوار مشابه عند ابن الأثير الكامل، ج5، ص274، ابن كثير، البداية، ج9، ص304، الذهبي، طبقات، ج1، ص80-82، السيوطي، تاريخ، ص340-341.

(3) جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي ت597هـ، صفة الصفوة، دار الكتب العلمية، بيروت 1989م، ج2، ص337-338.

(4) الطبري، تاريخ، ج5، ص284، ابن كثير، البداية، ج9، ص305.

"ما أنت والعلم إنما أنت نطفة سكران في رحم قينة، فأمر الواثق بقتله"[1]، ويبدو أن مثل هذا الطعن بنسب الخليفة لا يمكن أن يصدر من الفقيه أحمد بن نصر.

وهناك من ذكر أن أحمد كان ينعت الخليفة بالخنزير والكافر[2]، وأنه خاطـب الخليفـة بالقول: "يا صبي"[3] وأغلظ عليه بالخطاب[4]، أما الدراسات الحديثة فقد تباينت في سـبب مقتله فمنهم من اعتبر مقتل أحمد دلالة واضحة على قوة وتصميم الفقهاء على مقاومة فكر الاعتزال حتى ضحى بعضهم بنفسه[5]، ورأت بعض الدراسات أن سبب مقتل أحمد يعود لأسباب تتعلق بسلامة الدولة أكثر من كونها عقائدية، ذلك لأن الخليفة لم يقتل أحمـد بـن حنبل المعروف بصلابته في معارضة عقيدة الدولة[6]، وهناك من اعتبر مقتله يعود لسبب سياسي وليس لخلاف أيدولوجي مذهبي[7]، وبمقتل أحمد ظهرت ملامح أسطورية أخـذت تسري بين الناس عن أنه بعد صلبه على عود في بغداد رآه الناس يحـرك رأسـه نحـو الكعبة ويتكلم الشهادة[8].

يبدو أن الخليفة الواثق تراجع عن الاعتزال قبل وفاته على مـا ذكـرت كثيـر مـن المصادر[9] وبعض الدراسات الحديثة[10]، وقد استندوا في هذا الرأي إلى الروايـة التـي

---

(1) التميمي، المحن، ص247.

(2) ابن خلدون، العبر، ص751.

(3) الذهبي، دول، ج1، ص107، الذهبي، العبر، ج1، ص321.

(4) اليافعي، مرآة، ج2، ص76.

(5) جدعان، المحنة، ص171، عبد العزيز الدوري، دراسات في العصور العباسية المتأخرة، مكتبـة الطليعـة، بيروت، 1988، ص36، (سيشار إليه تاليا: الدوري، دراسات).

(6) فاروق عمر فوزي، العباسيون الأوائل، ج2، ص525، (سيشار إليه تاليا: فوزي، العباسيون).

(7) Kassasbeh, The office, p.118.

(8) عبدالملك، سمط، ج3، ص458، السبكي، طبقات، ج4، ص52-55، أبو يعلي، طبقـات، الحنابلـة، ج1، ص80-82.

(9) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج14، ص16، ابن منظور، مختصر، ج27، ص45، ابن الجـوزي، المنـتظم، ج11، ص360-367، الذهبي، دول، ج1، ص109، السبكي، طبقات، ج2، ص59-60، ابن كثير، البداية، ج9، ص309-310، الدميري، تاريخ، ص108-110، القرماني، أخبار، ج2، ص107، عبد الملك، سمط النجوم، ج3، ص459-460، ابن واردان، تاريخ، ص562، مقديش، نزهة، ج1، ص255.

(10) طقوش، تاريخ، ص153، محمد ماهر، حمادة، الوثائق الـسياسية، ص387؛ Kassasbeh, the office, p.119; Carl Brockelman, p.132؛ شاكر الدولة، ص231، الهاشمي، الخلافة، ص350-352، الشكعة الإمام، ص162، عبد الحيسن، المحنة، ص398.

أوردها ابن الخطيب البغدادي (ت463هـ) للحوار الذي دار في مجلس الخليفة الواثق بالله مع الشيخ عبدالله بن محمد الأذرمي بأنه هو السبب في نهاية الاعتزال.

(بحضور الخليفة الواثق بالله) جيء بالشيخ الأذرمي مقيداً.

ابن أبي دؤاد: يا شيخ ما تقول في القرآن أمخلوق هو؟

الشيخ: لم تنصفني المسألة، أنا أسألك قبل الجواب هذا الذي تقوله يا ابن أبي دؤاد من خلق القرآن، شيء علمه رسول الله –صلى الله عليه وسلم- وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي –رضي الله عنهم- أو جهلوه.

ابن أبي دؤاد: بل علموه.

الشيخ الأذرمي: فهل دعوا إليه الناس كما دعوتهم أنت أو سكتوا.

ابن أبي دؤاد: بل سكتوا.

الشيخ الأذرمي: فهلا وسعك ما وسعهم من السكوت.

فسكت ابن أبي دؤاد وأعجب الواثق كلامه وأمر بإطلاق سبيله، وقام الواثق من مجلسه وهو يردد (هلا وسعك ما وسعهم).

يكرر هذه الكلمة؛ وهي من أسباب خُمود الفتنة[1].

يلاحظ أن مناظرة الشيخ الأذرمي هذه قامت على مرحلتين هما:

المرحلة الأولى: العلم، فقد سأل الشيخ الأذرمي القاضي بن ابي دؤاد: هل علم النبي صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه هذه البدعة، فأقر ابن أبي دؤاد بعلم الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين لها؛ وابن ابي دؤاد ليس أمامه غير هذه الإجابة، فإذا كانوا لا يعلمونها ففي ذلك حجة عليه، وهل يمكن أن يحجب الله عن رسوله أمراً من الشريعة ويفتحه لابن أبي دؤاد.

المرحلة الثانية: بما أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد علم هذه المقولة فهل أمكنه أن يدعو الناس إليها أم لم يمكنه؟ فكانت إجابة ابن أبي دؤاد أن الرسول صلى الله عليه وسلم علمها، ولكنه سكت عنها، ولم يدعو الناس إليها.

فكان رد الشيخ الأذرمي على القاضي بن أبي دؤاد شيئاً سكت عنه الرسول صلى الله عليه وسلم فلم لا تسكت عنه أنت؟.

---

(1) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج14، ص299-302.

كما أنه أشار صراحة إلى أن الواثق قد تاب عن القول بخلق القرآن (وأوشك أن يكتب بذلك كتاباً)[1] وهناك إشارات وردت في المصادر حول ذات الموضوع بأن الواثق رجع عن الاعتزال بعد تلك المناظرة ولم يمتحن بعد ذلك أحداً[2].

وقد أورد السبكي (ت771هـ) خبراً يفيد بأنه دخل على الواثق رجل يدعى عبادة وقال يا أمير المؤمنين: أعظم الله أجرك في القرآن، فقال الواثق: ويلك القرآن يموت؟ قال يا أمير المؤمنين كل مخلوق يموت، بالله يا أمير المؤمنين من يصلي بالناس التراويح إذا مات القرآن؟ فضحك الخليفة وقال: قاتلك الله أمسك[3].

ولكن المصادر لم تشر صراحة إلى أن الواثق أبطل الاعتزال، ويبدو أن السبب وراء عدم تصريح الخليفة الواثق بإبطال مذهب الاعتزال هو أن رجال الإدارة في عهده كانوا وراء ذلك.

وقد عرف الخليفة المتوكل بأنه هو الذي أبطل مذهب المعتزلة وأحيا مذهب أهل السنة والجماعة[4]. يذكر الديار بكري (ت966هـ/1559م): "الخلفاء ثلاثة أبو بكر الصديق رضي الله عنه في قتل أهل الردة، وعمر بن عبدالعزيز في رد المظالم، والمتوكل في إحياء السنة وإماتة التجهم"[5].

حيث أوضح المسعودي موقف الخليفة المتوكل من المعتزلة في قوله "لما أفضت الخلافة إلى المتوكل أمر بترك النظر والمباحثة في الجدال والترك لما عليه الناس في أيام المعتصم والواثق وأمر الناس بالتسليم والتقليد وأمر الشيوخ المحدثين بالتحديث وإظهار السنة والجماعة"[6].

---

(1) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج14، ص16.

(2) ابن منظور، مختصر، ج27، ص45.

(3) السبكي، طبقات، ج2، ص60.

(4) اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص484؛ الدميري، حياة الحيوان، ج1، ص218؛ الذهبي، دول، ج2، ص109؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج11، ص251؛ العلي، سامراء، ص24-25.

(5) حسين بن محمد الحسن الديار بكري (ت966هـ/1559م)، تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، مؤسسة شعبان للنشر، بيروت (د.ت) (سيشار إليه تالياً: الديار بكري، الخميس).

(6) المسعودي، مروج، ج2، ص391.

وفي سنة 237هـ/851م أمر الخليفة المتوكل بإنزال جثة أحمد بن نصر الخزاعي فأنزلت وضم رأسه إلى جسده، فدفن يوم عيد الفطر من تلك السنة، واستدعى الإمام أحمد بن حنبل وقربه إليه وأكرمه[1].

(1) ابن الجوزي، مناقب، ص358.

جدول (3)
أسماء العلماء الذين قاوموا الاعتزال

الرقم	اسم العالم	علمه وتخصصه	عصر الخليفة	معلومات عامة
1	أحمد بن حنبل	فقيه ومحدث	الواثق بالله	منع من الخروج من داره، ما يشبه بالإقامة الجبرية[1].
2	أحمد بن نـصر الخزاعـي (ت231هـ)	إمام ومحدث	الواثق بالله	عذبه وقتله وصلبه في بغداد لامتناعه عـن القـول بخلـق القرآن[2].
3	إبراهيم بن هاني أبو إسـحق النيسابوري (ت265هـ)	إمام ومحدث	الواثق بالله	عذب في عصر الواثق بالله لرفضه القول بخلق القرآن[3].
4	أبو يعقوب يوسف بن يحيى البويطي (ت230هـ)	فقيه	الواثق بالله	رفض القول بخلق القرآن وبقي محبوساً طيلة عصر الواثق بالله[4].
5	أبو الفضل جعفر بن حـرب الهمذاني (ت236هـ)	مفسر للقرآن	الواثق بالله	رفض القول بخلق القرآن[5].
6	الحارث بن مسكين بن محمد بن يوسف (ت250هـ)	فقيه ومحدث	الواثق بالله	سجن منذ عصر المأمون وبقي في سجنه حتى نهاية عصر الواثق لرفضه القول بخلق القرآن[6].
7	بكار بن الحسن بن عثمان بن زياد (ت238هـ)	فقيه	الواثق بالله	امتحنه الواثق وسجنه لرفضه القول بخلق القرآن[7].
8	محمد بن الحارث بن شـداد (ت241هـ)	فقيه	الواثق بالله	امتحن بخلق القرآن وسجن في عصر الواثق بالله[8].
9	عبدالله محمد الأذرمي	فقيه	الواثق بالله	سجن في عصر الواثق ولكنه تناظر مع ابـن أبـي دؤاد، وهزمه فأطلق الواثق سراحه[9].

(1) انظر سالفاً، ص56، 57.
(2) انظر تالياً، ص67-70.
(3) الذهبي، طبقات الحفاظ، ج1، ص97.
(4) انظر أعلاه، ص، الخطيب البغدادي، تاريخ، ج14، ص300.
(5) الذهبي، سير، ج10، ص549.
(6) المصدر نفسه، ج12، ص54.
(7) أبو الشيخ الأنصاري، طبقات المحدثين، ج2، ص131.
(8) المصدر السابق، ج1، ص38.
(9) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج10، ص74-79.

الفصل الرابع
الأوضاع الإدارية والاقتصادية

1.4 الأوضاع الإدارية:

1.1.4 ولاية العهد:

كانت ولاية العهد من المشاكل التي ظهرت بعد وفاة الخليفة الواثق بـالله، فقـد أجمعت كثير من المصادر على أن الخليفة الواثق لم يعهد لأحد من بعده بالخلافة[1].

وعندما طُلب منه أن يولي ابنه العهد قال: "لا يراني الله أتقلدها حيـاً وميتـاً"[2]. مما يعكس الحس الديني في شخصية الواثق بالله.

ويفهم من الروايات التي أوردتها المصادر، عزوف الواثق بالله عن تعيين وليـاً للعهد يعود لأمرين هما:

الأول: أن ابن الخليفة الواثق وهو محمد كان عندما حضرت أبيه الوفاة غلامـاً صغيراً، وأنه عندما تحاور رجال الإدارة أيام الواثق أن يولوا العهد لم يكن ليتم لـه هذا الأمر لمحمد بن الواثق بالله. يذكر الطبري: "أن الواثق لما توفي حضر الـدار أحمد بن أبي دؤاد وإيتاخ ووصيف وعمر بن فرج وابن الزيات وأحمد بـن خالـد فعزموا على البيعة لمحمد بن الواثق وهو غلام أمرد، فألبسوه دراعة سوداء وقلنسوة رصافية، فإذا هو قصير، فقال ابن أبي دؤاد: أما تتقون الله! تولون مثل هذا الخلافة وهو لا يجوز معه الصلاة"[3].

---

(1) اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص482؛ الطبري، تاريخ، ج5، ص293؛ ابن العمراني، الأنبـاء، ص115؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج8، ص179؛ مسكويه، تجـارب، ج4، ص106؛ ابـن الكازوني، مختصر، ص145؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص188؛ أبو الفـداء، المختـصر، ج2، ص37؛ ابن كثير، البداية، ج10، ص310؛ ابن خلدون، العبر، ص751.

(2) اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص483.

(3) الطبري، تاريخ، ج5، ص293؛ انظر أبـو الفـداء، المختـصر، ج2، ص37؛ مـسكويه، تجارب، ج4، ص106؛ ابن خلدون، العبر، ص751؛ الترمانيني، أزمنة، ج1، ص916.

وهذا يعني أن الواثق لم يكن متحمساً لتولية ابنه العهد لصغر سنه بحيث أنـه لا تجوز ورائه الصلاة ولقصر قامته على ارتداء الملابس.

ثانياً: عدم قناعة الخليفة الواثق بأخيه جعفر المتوكل: فقد غضب عليـه الواثـق لسلوكه ومظهره وحاول المتوكل أن يتوسط لدى الوزير ابن الزيات عنـد الخليفـة يصور هذه الحادثة البيهقي (ت320هـ/293م) فيقول: "أتى جعفر –المتوكل- إلـى محمد بن عبدالملك الزيات مستغيثاً ليكلم أخاه، فدخل عليه فمكث ملياً واقفاً بين يديه لا يكلمه ثم أشار إليه أن يقعد فقعد فلما فرغ من نظره في الكتب التفت إليه...فقال: ما جاء بك؟ قال: جئت لتسأل أمير المؤمنين الرضى عني فقال لمن حوله: انظـروا إلى هذا يغضب أخاه ثم يسألني أن أسترضيه؛ اذهب فإنك إن صلحت رضي عنـك، فقام جعفر كئيباً حزيناً لما لقيه به من قبح اللقاء فخرج من عنده، وكتب محمد بـن عبدالملك إلى الواثق حين خرج من عنده: يا أمير المؤمنين أتاني جعفر بن المعتصم يسأل أن اسأل أمير المؤمنين الرضى عنه في زي المخنثين له شعر، فكتب الواثـق إليه: ابعث إليه فأحضره ومر من يجز شعره ويضرب به وجهه وفعل به ذلك"(1).

يفهم مما ذكر أن الواثق لم يجد من يوليه العهد فابنه محمد حدث صغير وأخيـه جعفر المتوكل على علاقة سيئة معه بسبب سلوكه ومظهره، وهذا ما يفـسر قيـام جعفر المتوكل فيما بعد بنكب جميع رجالات أخيه من المعتزلة وإحياء مذهب أهـل السنة؛ حيث يبدو ملامح خلاف فكري قديم بين الواثق وأخيـه المتوكـل؛ يـرى د. فاروق عمر فوزي أن سبب خلاف الواثق مع أخيه المتوكل هو ميل الواثـق إلـى تعيين ابنه محمد خليفة من بعده(2).

---

(1) إبراهيم بن محمد البيهقي (ت320هـ/932م)، المحاسـن والمـساوئ، ط1، دار صـادر، بيروت، (د.ت)، ص531 (سيشار إليه تالياً: البيهقي، المحاسن)؛ ابن الأثير، الكامـل، ج6، ص97.

(2) فوزي، الخلافة، ج1، ص287.

وقد كانت خطوة الواثق هذه بعدم تولية العهد لأحد بعده جعلت الترك يـشعرون بأهميتهم ودورهم في التدخل باختيار شخص الخليفة وفتح لهم المجال بالتدخل بهـذا الأمر الخطير الذي لم يكن له سابقة من قبل(1).

وقد رأت بعض الدراسات الحديثة أن من أسباب عدم تعيين الواثق بـالله وليـاً للعهد هو إدراكه أن لا فائدة من تولية عهده ما دام أن الأمر لا يتم إلا بموافقة القادة الأتراك بسبب تسلطهم على الأمور، وهذا ما أثبتته مجريات الأحداث فيما بعد(2).

إن تصرف الواثق تجاه ولاية العهد يعكس فشلاً في إرساء قواعد ثابتـة تحكـم أسلوب انتقال السلطة داخل أسرة الخليفة نفسه، وهو ما ترك أثره السلبي على الدولة العباسية بعد عصر الواثق بالله، كما أن الخليفة الواثق لم يكن مـسؤولاً مـسؤولية مباشرة عن ذلك، فالعهود التي سبقت عهد الواثق كانت مضطربة تجاه منصب ولي العهد.

---

(1) أحمد شلبي، موسوعة، التاريخ الإسلامي والحـضارة الإسـلامية، ط1، مكتبـة النهـضة المصرية، القاهرة، 1985م، ج3، ص199 (سيشار إليه تالياً: شلبي، موسوعة)؛ فاروق، عمر فوزي، محاضرات في تاريخ الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية، ط1، مطبعـة دار السلام، بغداد، 1973م، ص33 (سيشار إليه تالياً: فوزي، محاضـرات)؛ محمـد أبـو الفرج العش، تاريخ عصر الخلافة العباسية، ط1، دار الفكـر، دمـشق، 1982، ص104 (سيشار إليه تالياً: العش، تاريخ)؛ خالد العزام، موسـوعة التـاريخ الإسـلامي، العـصر العباسي، دار أسامة للنشر، عمان، 2003، ص166 (سيشار إليه تالياً: العزام، موسـوعة)؛ ناجي معروف، أصالة الحضارة العربية الإسلامية، دار الثقافة، بيـروت، 1975م، ص23 (سيشار إليه تالياً: معروف، أصالة).

(2) انتصار الكساسبة، صراع البيت العباسي على السلطة في العصر العباسـي الأول، رسـالة ماجستير غير منشورة، جامعة مؤتة 2007م، ص198 (سيـشار إليـه تاليـاً: الكـساسبة، صراع)؛ انظر إحسان العمد وآخرون، تاريخ الدولة العباسية، جامعـة القـدس المفتوحـة 1995، ص197 (سيشار إليه فيما بعد: العمد، الدولة).

2.1.4 الوزارة:

أبقى الواثق بالله على وزير أبيه ابن الزيات، وهو محمد بن عبدالملك بن أبان بن حمزة أبو جعفر بن الزيات[1]، وأصله من أهل الجبل، كان أبوه يعمل بتجارة الزيت، حيث يجلبه من بلاده إلى بغداد[2]، وقد وصف هذا الوزير بأنه كان شاعراً مجيـداً وفاضلاً بليغاً[3]، وكان عالماً باللغة والنحو والشعر حتى أنه كتب قـصيدة طويلـة يرثي فيها الشاعر أبي تمام[4]، كما كان يمتاز بالقسوة والشدة[5]، وقد كانت علاقـة الواثق بالله بهذا الوزير أيام والده المعتصم سيئة.

يذكر ابن الطقطقا (ت709هـ/1309م): "كان المعتصم قد أمر لابنه الواثق بمال وأحاله به على ابن الزيات فمنعه وأشار على المعتصم ألا يعطيه شيئاً فقبل المعتصم قوله ورجع فيما كان أمر به للواثق من ذلك، فكتب بخطه كتاباً وحاف فيه بالحج... أنه إن ولي الخلافة ليقتلن ابن الزيات شر قتلة، فلما مات المعتصم وجلـس الواثـق على سرير الخلافة أراد أن يعاجله فخاف أن لا يجد مثله..."[6]. حاول الواثـق أن

---

(1) ابن النديم، الفهرست، ص154؛ أبو الحسن علي بن محمد الشابـستي (ت388هـ ـ/998م) الديارات، ط1، دار الرائد العربي، بيـروت (د.ت)، ص64 (سيـشار إليـه تاليـاً: الشابستي، الديارات)؛ الخطيب البغدادي، تاريخ، ج2، ص342-343؛ صلاح الدين خليـل بن أيك الصفدي، (ت764هـ/1362م)، كتاب الوافي بالوفيات، ط1، اعتناء ديـدرينغ، دار فرانز للنشر، فيسبادون، 191/4، ج4، ص32 (سيشار إليه تالياً: الصفدي، الوافي).

(2) ابن النديم، الفهرست، ص154؛ ابن خلكان، وفيات، ج5، ص101-103؛ الصفدي، الوافي، ج4، ص32؛ الهجرسي، ابن الزيات، ص33-36.

(3) الشابستي، الديارات، ص64، أبو الحسين هلال بن المحسن الصابي (ت448هـ/1056م)، رسوم دار الخلافة، ط1، تحقيق ميائيل عواد، مطبعة العاني، بغداد، 1964، ص66 (سيشار إليه تالياً: الصابي، رسوم)؛ أبو هلال، الحسن بن عبدالله العسكري، كتـاب الأوائـل، ط1، تحقيق محمد السيد الوكيل، المدينة المنورة، (د.ت)، ص281 (سيشار إليه تالياً: العسكري، الأوائل).

(4) الخطيب، تاريخ، ج2، ص342.

(5) المسعودي، مروج، ج4، ص66؛ ابن خلكان، وفيات، ج5، ص103.

(6) ابن الطقطقا، الفخري، ص234.

يبحث عن وزير كفؤ واختبر أكثر من عشرة أشخاص لمنصب الوزارة ولم يجتازوا الامتحان فاضطر إلى التكفير عن يمينه واستوزر ابن الزيات لكفاءته ولحاجة الدولة إليه[1].

وكانت الوزارة في أيام ابن الزيات لها هيبة كبيرة لِما اتصف بـه مـن الفهـم والخبرة بآداب الرئاسة وقواعد الملوك وهو خاتمة السلـسلة الذهبيـة مـن وزراء العصر العباسي الأول، وهذا ما جعل الواثق يستوزره[2].

لمع نجم ابن الزيات إبان فترة المحنة فكان من أعلام مذهب الاعتـزال، حيـث سيطر على فكر الخليفة في هذا المجال، فقد "فوض إليه الأمور"[3]، ولم يكن الخليفة يصدر عن رأيه، يقول المسعودي: "وغلب على الواثق أحمد بن أبي دؤاد ومحمد بن عبدالملك الزيات، فكان لا يصدر إلا عن رأيهما.. وقلدهما الأمر وفـوض إليهمـا ملكه"[4]. وقد بقي محمد بن عبدالملك الزيات محتفظاً بمركزه في الوزارة طيلة أيام الخليفة المعتصم وابنه الواثق وبعض أيام المتوكل، فكان أول وزير تولى الـوزارة لثلاثة خلفاء في العصر العباسي[5]، لقد كانت نهاية هذا الوزير نهاية مأساوية علـى يد الخليفة المتوكل، فقد كانت علاقته سيئة مع ابن الزيات الذي عـارض ترشـيحه للخلافة من قبل، إضافة إلى أنه كان يسيء معاملة المتوكل في عهد الواثق بالله، فلما صارت الخلافة إلى المتوكل سجنه[6] وعذبه بالتنور الذي كان –ابن الزيـات- قـد

---

(1) ابن الطقطقا، ص234-235؛ الصفدي، الوافي، ج4، ص32.

(2) فاروق عمر فوزي، الوزارة، مجلة حضارة العراق، بغداد، 1984، ج6، ص75، ص34-108 (سيشار إليه تالياً: فوزي، الوزارة).

(3) الأزدي، أخبار، ج2، ص354؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص96؛ التنـوخي، نـشوا، ج1، ص17.

(4) المسعودي، مروج، ج3، ص377.

(5) عبدالباقي، سامرا، ص382؛ اليوزبكي، الوزارة، ص131؛ أحمد زكي صـفوت، جمهـرة رسائل العرب في العصور العربية، ط1، المكتبة العلمية، بيـروت، (د.ت)، ج4، ص207 (سيشار إليه تالياً: صفوت، رسائل).

(6) عبدالباقي، سامرا، ص385.

صنعه من الحديد ودق فيه مسامير ليعذب فيه من كان في حبسه من المطالبين والمخالفين له في الاعتزال فادخله المتوكل فيه وعذبه حتى مات[1].

3.1.4 الولاة:

كان ولاة العصر العباسي الأول من البيت العباسي أو من أنصار الدعوة العباسية[2]، كما أن ولاة هذا العصر لم يكونوا يختارون على أساس القومية أو المال أو النفوذ بل أن الأساس الوحيد لاختيارهم هو الولاء للدولة والخليفة[3]، وكان الخليفة في هذا العصر يختار عمال الأقاليم بنفسه على الأغلب[4]، ولم يكن هؤلاء الولاة من الشخصيات البارزة بسبب النظام المركزي الذي يسهل عزل أي والٍ عن ولايته وكان الشك في نزاهته كافيا لمصادرة أملاكه جميعها[5].

ولتكوين صورة عميقة عن الولاة في عهد الخليفة الواثق بالله فقد تناولت الولاة في مصر طيلة العصر العباسي الأول، ففي ولاية مصر وحدها تم تغير ولاتها اثنان وستون مرة في الفترة الممتدة من سنة 132هـ-227هـ/749-841م، أي قبل عهد الخليفة الواثق بالله.

فقد بلغ عدد ولاة الخليفة أبي العباس السفاح ثلاثة ولاة وأبي جعفر المنصور ثمان ولاة، أما المهدي فقد بلغ عددهم تسعة ولاة وفي عهد الهادي تم تغير الوالي السابق، وكانت الذروة في تغير وعزل ولاة مصر في عهد هارون الرشيد، حيث غير ولاة مصر إحدى وعشرين مرة، وفي عهد الأمين تم تغير والي مصر أربع مرات، وكذلك فعل المعتصم، وبالنظر إلى أصول ولاة الأقاليم خلال العصر العباسي الأول، فقد كانت متنوعة منهم من كان من أفراد البيت العباسي، ومنهم من

---

(1) الخطيب، تاريخ، ج2، ص342-344.

(2) حسن، تاريخ، ج2، ص268.

(3) مصطفى، دولة، ص549.

(4) حسن، تاريخ، ج2، ص18-125.

(5) عمر الاسكندراني، تاريخ مصر إلى الفتح العثماني، مكتبة مدبولي، القاهرة 1996م، ص189 (سيشار إليه تاليا: الإسكندراني، تاريخ).

كان من أبناء القبائل العربية مثل تميم وخزاعة وطيء وازد ويمان ولخم وغيرها من القبائل العربية، كما أن الخلفاء أشركوا الموالي في إدارة الأقاليم، ولم يكن خلفاء العصر العباسي الأول يحتفظون بخدمات أي أمير في ولاية واحدة لمدة طويلة فقد كانوا يعزلونه بأي لحظة.

وكانت أعمال الولاة قبل توليتهم عسكرية بحتة في خدمة الدولة العباسية وتثبيت أركانها ومنهم من قاد الجيوش لقمع حركات التمرد، ويمكن إجمال مهامهم في الولايات بالإمامة في الصلاة وجمع الخراج وحفظ الأمن وقيادة العساكر وتعيين رجال الإدارة في الولاية كالقضاة وقائد الشرطة، إضافة إلى قيامهم بتوزيع العطاء والصدقات على العامة كما قاموا بأعمال عمرانية كبناء المساجد وتوسيعها[1].

كما أن الوالي كان يعين العمال إلى جانبه في الولايات للقيام بمجموعة من الوظائف منها صاحب الشرطة وعامل الخراج والقاضي الذي يعينه الخليفة وأحيانا يعينه والي الإقليم وصاحب البريد[2].

ويبدو أن كثرة تغيير الولاة في العصر العباسي الأول ناتجة عن سياسة التوجس والخشية من استقلال هؤلاء الولاة بولاياتهم، وقد كان ذلك واضحاً في وصية المنصور لابنه المهدي بهذا الخصوص حيث قال له (أعدد رجالاً بالليل لمعرفة ما يكون بالنهار.... وأسيء الظن بعمالك)[3].

كما أن كثرة عزل الولاة خلال العصر العباسي الأول يعكس صورة رقابة شديدة كانت تمارس على الولاة رغم أن المصادر لم تعط صورة مفصلة عن هذا الجانب، ويلاحظ ترسخ مبدأ الوراثة في منصب الولاة من خلال التدقيق في الأسماء السالفة.

---

(1) ابن عبدالحكم، فتوح، ص244؛ حسن إبراهيم حسن، النظم الإسلامي، القاهرة (د.ت)، ص205 (سيشار إليه تالياً: حسن النظم)؛ فوزي، الخلافة، ج1، ص30، 47، 98.

(2) للمزيد عن تنظيم الولاية وعمالها انظر، مصطفى، دولة، ص548؛ حسن إبراهيم حسن، النظم الإسلامية، القاهرة (د.ت)، ص208 (سيشار إليه تالياً: حسن، النظم).

(3) الطبري، تاريخ، ج4، ص106، مؤلف مجهول، العيون والحدائق في أخبار الحقائق، تحقيق دي خويه، مكتبة المثنى، بغداد (د.ت)، ج3، ص281 (سيشار إليه تالياً: مجهول، العيون).

الولاة في عهد الواثق:

تمتع الولاة على الأقاليم في عهد الخليفة الواثق بنفوذ كبير[1]، وكان الإقليم يحكم برأي عامله يعاونه جماعة ممن يختارهم لمشورته فينظر في الأمور بحسب فهمه وما يوحيه إليه المحيط ويطبق الأحكام الشرعية على الكبير والصغير وينصب العامل الأكبر في الولاية العمال من ذوي الرأي والتدبير والخبرة والعلم بالسياسة ويشاور الفقهاء وأرباب التجارة، وينفق من المال ما تصلح به الولاية وما يوسع به على الفقراء وذوي الحاجات وما تقتضيه الحاجة من عطاء الجند وتقوية الثغور[2]. غير أن عامة الناس كثيراً ما تذمروا في بعض الأحيان من بعض الولاة مثلما فعل البربر في برقة[3]، وقد احتوت المصادر على أسماء الولاة الذين عهد إليهم بإدارة الأقاليم، وقد كان الخليفة يولي القادة الترك على الأقاليم، وهم بدورهم يعينوا من ينوب عنهم في الأمصار، فمثلاً كان والي مصر أشناس يعين عليها من ينوب عنه[4]، وكذلك فعل إيتاخ[5] كما كان الوزير ابن الزيات يعين الولاة على الأقاليم[6]، وقد أشرك الخليفة الواثق بالله أبنائه في إدارة الأقاليم والتي يبدو أنها إدارة فخرية بحيث أن أبنائه المعتز والمؤيد عهد إليهم بأقاليم شاسعة[7].

ومن الجدير ذكره أن الخليفة الواثق بالله قد أوكل إلى ولاة الأقاليم مهمة الحفاظ على أمن الولاية ومهمة القضاء على الثورات[8]، وعهد إلى الولاة بإصلاح الفساد وإمامة الصلاة[9]، وكان لهم دور في امتحان الناس إبان المحنة[10].

---

(1) الهاشمي، الخلافة، ص355؛ طقوش، تاريخ، ص153.

(2) كردعلي، الإدارة، ص171.

(3) انظر الفصل الثاني، ص39، 46.

(4) الكندي، الولاة، ص147.

(5) ابن تغري بردي، النجوم، ج2، ص316.

(6) الطبري، تاريخ، ج5، ص284.

(7) كرد علي، الإدارة، ص170.

(8) انظر الفصل الثالث، ص36.

(9) عبدالباقي، سامراء، ص68.

(10) انظر الفصل الثالث، ص56.

ويلاحظ من المعلومات التي احتوتها جداول الولاة رقم (4) أن بعض ولاة الأقاليم كانوا في ولاياتهم منذ عهد المعتصم بالله ثم أقرهم الواثق عليها؛ ما يعني أن بعضهم كان من القدرة والكفاءة بمكان بحيث مكثوا فترة طويلة على ولايـاتهم، كمـا كـان الخليفة يعين الولاة شخصياً وأحياناً كان ابن الزيات والقادة الترك ينوبون عن الخليفة في تعيين بعضهم. كما أن طول مكوث الوالي على ولايته يعـود لـسبب أن تلـك الولايات شهدت فترة من الهدوء، وخلوها من الاضطراب مثـل منـاطق فـارس، البصرة، وغيرها من الأقاليم التي لم تشهد الفتن والاضـطرابات وبالمقابـل هنـاك ولايات انعكس وضعها المتوتر المليء بالفتن والتمرد على تغير الولاة مثل منـاطق دمشق والحجاز؛ وهذا يعكس بصورة أو بأخرى مواكبة الإدارة المركزية للخلافـة في بغداد لأوضاع تلك الأقاليم وأحوالها.

ويلاحظ من الجدول أن أكثر الولاة في عهد الواثق بالله كانوا عرباً بعضهم من أبناء البيت العباسي والآخر من أبناء القبائل العربية، كما كان شاربامیان والي اليمن مـن الموالي، وقد شارك بعض الولاة في قيادة الجيوش لقمع الثورات مثل رجـاء بـن أيوب الحضاري الذي قام بجهود عسكرية لتوطيد الأمن وقمع الثورات في أكثر من مكان[1].

4.1.4 الكتاب:

هم موظفو دواوين الدولة العباسية والكتابة اسم عملهم، وقد شكلوا فئة لها ثقافتهـا ومكانتها في العصر العباسي[2]، وكما سيأتي لاحقاً فقد تنوعت الدواوين فـي هـذا العصر، فادى ذلك إلى التنوع في اختصاص الكتاب، وكانت لهـم أهميـة ومكانـة

(1) انظر الفصل الثالث.

(2) الكساسبة، المؤسسات، ص155.

مرموقة وهامة[1]، تظهر من قول أبي جعفر المنصور: "الكاتب على الملك ثلاثة رفع الحجاب عنه، واتهام الوشاة عليه، وإفشاء السر إليه"[2].

ويبدو أن الكتاب كان لهم زي خاص بهم[3]، ويتقاضون أرزاقاً متفاوتة باختلاف أصناف الكتاب[4].

كان الكتاب يقومون بأعمالهم طيلة أيام الأسبوع حتى عهد الخليفة المهدي (158-169هـ) الذي جعل يوم الخميس عطلة لهم حتى يستريحوا وينظروا في أمورهم ويوم الجمعة للصلاة والعبادة فلم يزل الأمر جارياً على ذلك إلى أن كتب الفضل بن مروان للمعتصم فألغى عطلة الخميس[5]. ولم يبتدع الخليفة الواثق بالله شيئاً جديداً في الإدارة، بل كان الجهاز الإداري استمراراً لما كان عليه منذ عصر الرشيد[6]، ومن أهم الكتاب في العصر العباسي:

1. كاتب الخراج: وتتركز معارفه على النواحي الحسابية والمالية ولا حاجة له إلى معرفة كبيرة في اللغة والإعراب، ولكن عليه معرفة الألفاظ والمصطلحات التي يتعامل بها وأن يكون عارفاً بالمساحات وأشكالها ومحترساً من حيل المزارعين، ويلزم كاتب الخراج المعرفة بالأمور الحسابية، وأن يكون جيد الفهم صحيح الذهن، عارفاً بأحكام ديوان الخراج وحقوق بيت المال[7]، وقد اهتم العباسيون بتنظيم جباية أموال الخراج، فكان الخراج يؤخذ نقداً وعلى المساحة زرعت الأرض أم لم تزرع، واستمر ذلك حتى أبدله الخليفة المهدي (158-169هـ/774-785م) بنظام المقاسمة على

---

(1) الكساسبة، المؤسسات،، ص155.

(2) أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الكوفي (ت276هـ/889م)، عيون الأخبار، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1930م، ج1، ص44 (سيشار إليه تالياً: ابن قتيبة، عيون).

(3) الجهشياري، الوزراء، ص263.

(4) الكساسبة، المؤسسات، ص168.

(5) الجهشياري، الوزراء، ص166.

(6) كردي علي، الإدارة، ص166، 170.

(7) الكساسبة، المؤسسات، ص156، 157.

الحقول، ولم يشمل نظام المقاسمة النخل والشجر والكروم حيث روعي في تقديره قربه من الأسواق ومن الجدير ذكره أن ضريبة الخراج لم تكن ثابتة بل تغيرت تبعاً للظروف[1]، وقد كان كاتب الخراج في عهد الواثق عمر بن فرج الرخجي[2].

2. كاتب القاضي: ويشترط في كاتب القاضي أن يكون عادلاً، يقول الشافعي: "لا ينبغي للقاضي أن يتخذ كاتباً لأمور المسلمين حتى يجمع أن يكون عدلاً جائز الشهادة"[3]. وينبغي أن يكون مسلماً ورعاً عفيفاً صالحاً[4]، ويجب أن تتوفر في كاتب القاضي مؤهلات ثقافية خاصة به كمعرفة الحلال والحرام، والشروط والأحكام والفروع والناسخ والمنسوخ والمواريث[5]، وقد لخص الماوردي شروط كاتب القاضي بالقول: "فقهياً بأحكام كتابته وما يختص بالشروط من المحاضر والسجلات واستعمال الألفاظ الموضوعة لها والتحرر من الألفاظ المحتملة"[6].

3. كاتب الجند: ويجب أن يكون هذا الكتاب عارفاً بالحساب وضبطه والمصطلحات الخاصة بالجند وديوانهم ويفترض أن يكون ذكياً، ثقة سمح الخلق لين الجانب عارفاً بشؤون الجند وأحوالهم لئلا يقع في الخطأ والسهو في أرزاقهم[7]، ولم تذكر المصادر من تولى هذا العمل في عهد الواثق بالله.

4. كاتب الشرطة: ويجب عليه أن يعرف مهام الشرطة، ومنها معونة الحكام وأصحاب المظالم والدواوين في حبس من أمره بحبسه وإطلاق من أمروه

---

(1) الدوري، العصر، ص265.

(2) ابن العمراني، الأنباء، ص113.

(3) محمد بن إدريس الشافعي (ت204هـ/819م)، الأم، تصحيح محمد النجار، ط1، مكتبة الأزهر، 1961م، ج6، ص210 (سيشار إليه تالياً: الشافعي، الأم).

(4) الكساسبه، المؤسسات، ص159.

(5) البيهقي، المحاسن، ص230؛ التنوخي، الفرج، ج2، ص309.

(6) أبو الحسن علي بن محمد الماوردي (ت450هـ/1058م)، أدب الدنيا والدين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1979م، ج2، ص61 (سيشار إليه تالياً: الماوردي، أدب).

(7) ابن عبدربه، العقد، ج4، ص230؛ ابن الأزرق، بدائع، ج1، ص204.

بإطلاقه، والنظر في أمور الجنايات وإقامة الحدود على من وجبت عليه من أهل المنكرات والفساد[1]، والأخذ على أيدي السراق والمقامرين والفساق، ومعرفة الديات والجنايات والقصاص وأن يعرف حكم العمد وحكم الخطأ[2].

ويقوم كاتب الشرطة بجمع العرائض ورفعها لصاحب الشرطة وبعد أن ينظر فيها يتولى الكاتب نسخ هذه العرائض والتوقيعات للاحتفاظ بنسخة منها وإعطاء الأخرى لصاحبها[3].

5. كاتب الرسائل: وقد اعتبرهم الجهشياري من "كمال الملك وبهاء السلطان وهم الألسنة الناطقة عن الملوك"[4]. ويفترض في كاتب الرسائل أن يتمتع بقدرات لغوية وأدبية، فيجب أن يكون فطناً بارعاً لسناً بليغاً مطبقاً لمقاصد البلاغة وأسرارها[5]، كما ينبغي أن يكون عالماً بالنحو[6]، حسن الخط[7].

وقد كان محمد بن عبدالملك الزيات وزير الواثق بالله هو كاتبه حيث كان أديباً فاضلاً عالماً بالنحو واللغة[8].

تعرض الكتاب في عهد الواثق إلى محنة تمثلت بمصادرة أموالهم وجلدهم، وكان سبب ذلك على ما تذكره المصادر أن الواثق جلس في إحدى الليالي مع سماره في القصر الهاروني، فقال لهم أنني لست أشتهي الليلة النبيذ فهلموا، فتحدثوا في تلك الليلة وكان من جملة المواضيع التي تحدثوا بها عن عصر الرشيد فسألهم الواثق عن السبب في نكبة البرامكة، فأجابه بعض الحضور بان الرشيد رغب في شراء جارية جميلة أعجبته بمبلغ مئة ألف دينار، فأرسل إلى يحيى بن خالد يطلب منه المبلغ

---

(1) الكساسبه، المؤسسات، ص161.

(2) البيهقي، المحاسن، ص418.

(3) الكساسبه، المؤسسات، ص162.

(4) الجهشياري، الوزراء، ص3.

(5) الكساسبه، المؤسسات، ص162.

(6) ابن عبدربه، العقد، ج4، ص229.

(7) البيهقي، المحاسن، ص418.

(8) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج2، ص242.

لشراء تلك الجارية، فأجابه يحيى البرمكي بأنه لا يقدر على هذا المبلغ ممـا أثـار غضب الخليفة الرشيد وقال: ليس في بيت مالي مائة ألف... ثم أخذ الرشـيد فـي التفتيش عن المال، فوجد البرامكة قد استهلكوه، وكان الرشيد قد أعجب بأدب رجـل يعرف بأبي العود، فأمر له بثلاثين ألف درهم ولكن يحيى بن خالد أخذ يماطل فـي دفع المبلغ إلى أبي العود، فأمر له بثلاثين ألف درهم أخرى، ولكن يحيى بن خالـد أخذ يماطل في دفع المبلغ إلى أبي العود فقابل الخليفة وردد على مسامعه شعر عمر بن أبي ربيعة:

وعـدت هنـد ومـا كانـت تعـد	ليـت هنـداً أنجزتنـا مـا تعـد
واسـتبدت مـرة واحـدة	إنمـا العـاجز مـن لا يـستبد

ففطن الرشيد إلى قصد الرجل ونكب البرامكة(1)، فلما سمع الخليفة الواثـق تلـك القصة، قال: صدق والله جدي إنما العاجز من لا يستبد وأخذ في ذكر الخيانة ومـا يستحق أهلها، فلم يمض وقت طويل حتى قبض الواثق على كتابه ونكبهم وصـادر أموالهم(2)، وكان ذلك سنة 229هـ/843م(3).

أما مجموع ما صادره الواثق من كتابه فيوضحه الجدول رقم (6).

إن مثل هذه القصة تدعو الباحث إلى التعمق أكثر والبحث عن العلـة والـسبب الذي جعل الخليفة الواثق يصادر أموال موظفيه ويحبسهم ويعزلهم عـن وظـائفهم ويضربهم، فمن غير المعقول أن يكون المحرك والدافع لفعل الواثق، هذا هو بسبب

---

(1) الطبري، تاريخ، ج5، ص275-276؛ مسكوية، تجارب، ج4ن ص91-92؛ ابن الأثيـر، الكامل، ج5، ص269-270؛ ابن كثير، البداية، ج9، ص301؛ ابن تغري بردي، النجـوم، ج2، ص311؛ ابـن واردان، تـاريخ، ص565، محـل، رسـوم، ص162؛ الخـضري، محاضرات، ص342؛ كنعان، تاريخ، ص140؛ أيوب، التاريخ، ص98.

(2) الطبري، تاريخ، ج5، ص275-276؛ ابن الأثير، الكامل، ج5، ص269-270؛ ابن كثير، البداية، ج9، ص301.

(3) الطبري، تاريخ، ج5، ص275؛ أبو الفداء، المختصر، ج2، ص35؛ ابن كثير، البداية، ج9، ص301؛ مسكوية، تجارب، ج4، ص91-92؛ الذهبي، تـاريخ، ص33؛ ابـن الـوردي، تاريخ، ج1، ص306؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج11، ص144.

قصة استذكرها ورواها أحد سماره، وإذا كان هذا حدث فعلاً فلابد أن يكون الخليفة قد لاحظ على كتابه الفساد والخيانة، وجعل من استذكار تلك القصة بمثابة الـشرارة التي أشعلت فتيل الانتقام من هؤلاء الكتاب الذين يبدو أنهم أفسدوا الأمور مما دفـع الواثق إلى الانتقام منهم.

تناول بعض الباحثين أسباب نكبة الكتاب، فمنهم من يرى فعل الخليفة هذا كان له أسوأ الأثر على الإدارة والأحوال المالية[1]، وهناك من رأى أن ما قام بـه الخليفـة ضد كتابه لقناعته بأنهم عبثوا بأموال الدولة[2]، ثم إن مقادير الأموال التي صـادرها الواثق بالله من كتابه أموالاً لا تتناسب بالفعل مع مقادير مصادر إيرادهم المشروعة فلاحظ أن أكثر المتنفذين من الموظفين كانوا يستغلون مراكزهم في حيازة الأمـوال وجمع الثروات بطرق غير مشروعة كالسرقة والرشوة، فحاول أن يحد من تعسفهم ويمنعهم من استغلال النفوذ[3]، ويفسر أحدهم أن ما فعله الواثق كان ظاهرة خطيرة وهي أن الدولة لم تعد تأمن عمالها وكتاب دواوينها على أموالها، ولم يكـن هنـاك سبيل إلى معرفة ما ينتهب من الأموال فإنها لا تجد إلا أن تلجأ إلى إجراء المصادرة أو التغريم كلما أشارت الأدلة إلى وجود الخيانة أو كانت هي بحاجة إلى الأمـوال، وهذه الظاهرة تدل دلالة واضحة على فساد الإدارة، ويـرى الـدكتور عبـدالعزيز الدوري أن مصادرة الكتاب كانت بدافع الحصول على المال وكمورد للخزينة معتبراً أن الخليفة الواثق أول من صادر كتابه بغية الحصول على المال وليس عقوبة لهـم على خيانتهم[4].

---

(1) خفاجي، تطور، ص136.

(2) كرد علي، الإدارة، ص169.

(3)عبدالباقي، سامرا، ص270.

(4) الدوري، العصر، ص281.

5.1.4 الدواوين:

الديوان في اللغة العربية لفظة مشتقة من دون ومعناها في لسان العرب السجل أو الدفتر أو مجمع الصحف[1] كما وردت هذه الكلمة للدلالة على مجموعة من قصائد الشعر حفظت أو سجلت ومنه قول ابن عباس (ت68هـ/687م) "إذا سألتموني عن شيء من غريب القرآن فالتمسوه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب"[2]. يذكر الخفاجي "الديوان عربي من دونت الكلمة إذ ضبطتها وقيدتها لأنها موضوع تضبط فيه أحوال الناس[3].

وقد كانت بداية تدوين الدواوين في الإسلام على يد الخليفة عمر بن الخطاب (13-23هـ/634-643م) فهو أول من دون الدواوين من العرب في الإسلام فاستحدث ديوان العطاء[4] وفي العصر الأموي توسعت الأعمال تدريجياً وتعددت الحاجات بتطور الأحوال فأدى هذا إلى ظهور دواوين جديدة[5]، ولما جاء العباسيون ورثوا الدواوين الأموية وطوروها حسب ظروفهم وأحدثوا دواوين جديدة واستحدثوا الوزارة حتى تشرف على الدواوين بعضها أو كلها.

استحدث الخلفاء العباسيين أنواعا جديدة من الدواوين التي كان بعضها مؤقتا اقتضته الظروف والأحداث في أيامهم انتهت بانتهاء تلك الظروف وبعضها استمر طيلة العصر العباسي[6] فمن الدواوين التي استحدثها أبو جعفر المنصور ديوان

---

(1) ابن منظور، لسان، ج13، ص166.

(2) أبو العباس أحمد القلقشندي (ت821هـ/1418م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب المصرية، القاهرة 1987م، ج1، ص89 (سيشار إليه تالياً: القلقشندي، صبح).

(3) شهاب الدين أحمد الحفاجي، شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، تعليق محمد عبدالمنعم خفاجي، ط1، القاهرة 1952م، ص119 (سيشار إليه تالياً: الخفاجي، شفاء).

(4) الجهشياري، الوزراء، ص16.

(5) الكساسبة، المؤسسات، ص39-42.

(6) اليافعي، مرآة، ج1، ص334.

المصادرات وذلك لتسجيل أسماء من صودرت أموالهم وديوان الأحشام الذي يقـوم على خدمة من هم في قصر الخلافة[1].

كما استحدث ديوان الحوائج الذي يقوم رئيسه بجمع الرقائع وضـبطها للخليفـة حتى ينظر فيها وينصف أصحابها[2] أنشأه المنصور سنة (146هـ/763م)[3].

أما الخليفة المهدي فقد توسع في إنشاء الدواوين واستحدث نظاما جديـدا يحكـم السيطرة عليها فقد قـام باسـتحداث الـدواوين التاليـة: دواويـن الأزمـة سـنة 162هـ/778م[4]. وهي مجموعة دواوين صغيرة للإشراف على دواوين الدولـة[5] وقد أبدى ابن الأثير إعجابه في هذا الـديوان كونـه "ينفـي الخلـل الواقـع فـي الحسابات"[6] وكما استحدث ديوان زمام الأزمة سنة 167هـ/783م للإشراف على دواوين الأزمة وضبطها[7] وهو من أهم النظم التي أدخلها المهدي للدولة العباسية[8] كما قام بإنشاء ديواناً لتتبع الزنادقة سنة 167هـ/783م وقد كان هذا الديوان مختصاً بمقاومة الزنادقة الذين لجأوا إلى إخفاء معتقداتهم وإظهار الإسلام أمام النـاس ممـا

---

(1) اليعقوبي، البلدان، ص240؛ عبدالعزيز الدوري، النظم الإسلامية، ط1، مطبعة نجيب، بغداد 1950م، ص199 (سيشار إليه تالياً: الدوري، النظم).

(2) أبو الفضل أحمد بن طاهر بن طيفور (ت280هـ/893م)، كتاب بغداد، عناية محمد زاهـد الكوثري، مكتبة الخانجي، القاهرة 1949م، ص39 (سيشار إليه تالياً: طيفور، بغداد).

(3) اليعقوبي، البلدان، ص240.

(4) الطبري، تاريخ، ج8، ص142، 167؛ الدوري، العصر، ص97.

(5) الدوري، العصر، ص97.

(6) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص248.

(7) الطبري، تاريخ، ج8، ص167؛ الجهـشياري، الـوزراء، ص166؛ عبـدالقادر سـلمان المعاضيدي (أمراء وولاة العراق وسلطاتهم)، موسوعة حضارة العراق، بغـداد، 1984م، ج6، ص149 (سيشار إليه تالياً: المعاضيدي، أمراء)؛ الدجيلي، خولة شاكر، بيـت المـال نشأته وتطوره في العصر العباسي الأول، وزارة الأوقاف، بغداد 1976م، ص49 (سيـشار إليه تالياً: الدجيلي، بيت المال).

(8) المعاضيدي، أمراء، ص49.

اقتضى متابعة دقيقة لمعرفة حقيقتهم[1] ومن الدواوين التي استحدثها المهدي أيـضاً ديوان النظر في المظالم الذي أسسه سنة 158هـ/774م لجمع مظالم الناس ورفعها إلى الخليفة[2] وبإجراءات المهدي هذه بدأت الدواوين تتخذ شكلها الأساس[3].

وجاء الخليفة الرشيد فأوجد دواوين جديدة منها ديـوان الـصوافي[4] لمراقبـة الأراضي التابعة للخليفة وكل ما يخص هذه الأرض[5] وأنشأ ديوان الضياع[6] أمـا في عهد الخليفة الأمين فقد أنشيء ديوان التوقيع[7] وفي عهد المعتـصم اسـتحدث ديوان الموالي والغلمان[8] بعض هذه الدواوين استمرت حتى عهد الخليفة الواثق بالله وبعضها لم يعد له ذكر مما يعني أنها انتهت مع الظروف التي أنشئت لأجلها.

أما فيما يتعلق بعهد الخليفة الواثق بالله فإنه لم يستحدث شيئا جديدا فـي الإدارة والدواوين، ولم أعثر على جديد له في المصادر ولكنه في نفس الوقت لم يلغ أيا من الدواوين التي كانت قبله.

على أن أكثر الدواوين العباسية استمرت في عهد الواثق، ومن هذه الدواوين ما يلي:

1. ديوان الخراج: وهو من الدواوين المتعلقة بالشؤون المالية وكان يتولى النظر في جمع ضرائب الأرض وجباية الخراج والنظر في مشاكله[9] وكان يرأس

---

(1) الطبري، تاريخ، ج8، ص167.

(2) ابن الفقيه (ت289هـ/901م)، مختصر كتاب البلدان، تحقيق دي خويه، مطبعة بريل، ليدن (د.ت)، ص46 (سيشار إليه تالياً: ابن الفقيه، مختصر).

(3) الحياري، الدواوين، ص19؛ صالح أحمد العلي، معالم بغـداد الإداريـة والعمرانيـة، دار الشؤون الثقافية، بغداد 1988م، ص291 (سيشار إليه تالياً: العلي، معالم).

(4) الجهشياري، الوزراء، ص166.

(5) الدوري، النظم، ص200.

(6) الجهشياري، الوزراء، ص233-234.

(7) الأربلي، خلاصة، ص174.

(8) اليعقوبي، البلدان، ص267.

(9) ابن خلدون، العبر، ج1، ص183-192.

هذا الديوان في عهد الواثق بالله أحمد بن إسرائيل[1] وعمر بن فرج الرخجي[2].

2. ديوان النفقات: وينظر هذا الديوان في كافة وجوه الإنفاق[3] ويشترط في أن يكون صاحب هذا الديوان جيد الحساب والقسمة والضرب وعارفاً بالمكاييل والأوزان والأسعار والضرائب وأن يكون عارفاً بجمع الأصناف والملابس والمطاعم والآلات والحيوان وقيمتها ثم يعرف الرسوم السلطانية[4]. وكان يرأس هذا الديوان في عهد الواثق إبراهيم بن العباس[5].
3. ديوان بيت المال: يختص بالإشراف على ما يرد بيت المال من أموال وما يخرج منه في أوجه النفقات المختلفة وكان الغرض من هذا الديوان تدقيق حسابات واردات ومصروفات الدولة[6].
4. ديوان الصدقات: يهتم هذا الديوان بالنظر في موارد الزكاة والصدقات وكيفية توزيعها على مستحقيها[7] كما كان يهتم بجمع أموال الصدقة من البلدان والأمصار[8] وكان لهذا الديوان فروع في كافة الولايات الإسلامية[9].

---

(1) البيهقي، المحاسن، ص447.

(2) ابن العمراني، الأنباء، ص113.

(3) الكساسبة، المؤسسات، ص58.

(4) أبو يوسف، الخراج، ص115.

(5) الزهراني، النفقات، ص92.

(6) أبو الفرج البغدادي قدامة بن جعفر (ت329هـ/940م)، الخراج وصناعة الكتابة، شرح وتعليق محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد، بغداد 1986، ص36 (سيشار إليه تالياً: قدامة بن جعفر، الخراج).

(7) الجهشياري، الوزراء، ص60؛ الدوري، النظم، ص148.

(8) جهادية القرة غولي، العقلية العربية في التنظيمات الإدارية والعسكرية في العراق والشام خلال العصر العباسي الأول، دار الشؤون الثقافية، بغداد 1986، ص111 (سيشار إليه تالياً: جهادية، العقلية).

(9) أبو يوسف، الخراج، ص87؛ جهادية، العقلية، ص111.

5. ديوان الصوافي: ومهمته الإشراف على أراضي الصوافي التابعة للخليفـة[1] ويقصد بالصوافي الأراضي والمقاطعات التي ليس لها ملاك وهي في الأصل ملاك لأكاسرة الفرس وأمرائهم[2] واهتم هذا الديوان بكل ما يخص أراضـي الصوافي من استغلال وتأجير وإقطاع وبيع[3].
6. ديوان الضياع: ينظر في إدارة ضياع الخلافة وفي سجلات إحصاء أراضي الخلفاء ومساحتها ومقدار جبايتها[4] كما يحفظ نسخه من التوقيع في أي أمـر مالي يصرف من وارد الضياع أو يستغل[5].
7. ديوان الطراز: الطراز كلمة فارسية معربة[6] وتعني الأنسجة المحلاة حيـث كان يكتب عليها اسم ولقب الخليفة[7] ومدلول هذا الديوان هو الإشراف على المصنع الذي تنسج فيه هذه الأقمشة فعرفت بدار الطراز[8].
8. ديوان المظالم: عرف الماوردي المظالم: بأنها النظر في شكاوى الناس ضـد رجال الحكم والموظفين من الولاة والعمـال وكتـاب الـدواوين[9] ويتـولى صاحب هذا الديوان النظر في قضايا الظلم والتعدي والفساد التـي يرتكبهـا رجال الدولة ممن يعجز عنهم القضاء[10].

---

(1) الجهـشياري، الـوزراء، ص156؛ بيـان ممـدوح المجـالي، عـصر المـأمون 198-218هـ/813-833م، رسالة دكتوراة غير منشورة، الجامعـة الأردنيـة 2002، ص364 (سيشار إليه تالياً: المجالي، عصر).
(2) المجالي، عصر، ص364.
(3) الكساسبة، المؤسسات، ص77.
(4) جهادية، العقلية، ص113.
(5) الجهشياري، الوزراء، ص223.
(6) الخفاجي، شفاء، ص128.
(7) المجالي، عصر، ص365.
(8) الكساسبة، المؤسسات، ص80.
(9) أبو الحسن علي بن محمد الماوردي (ت450هـ/1058م)، الأحكام الـسلطانية والولايـات الدينية، دار الكتب العلمية، بيروت 1978، ص7 (سيشار إليه تالياً: الماوردي، الأحكام).
(10) الكساسبة، المؤسسات، ص101.

9. ديوان القضاء: والقضاء هو الفصل في الخصومات وقطع المنازعات[1] يهتم هذا الديوان بالنظر بالدعاوى والشكاوى دون انحياز لشخص ضد الآخر، كما أشرف هذا الديوان على الأوقاف وأموال اليتامى وتفقد المحبوسين والنظـر في قضاياهم[2].

10. ديوان الجند: ينظر في تسجيل أموال الجند وأوصـافهم وأنـسابهم ومقـدار عطاءهم[3] واستمر هذا الديوان طيلة العصر العباسي[4] وكان هذا الـديوان على درجة عالية من الضبط والدقة للجنود في الجيش العباسي[5].

11. ديوان البريد: ويهتم هذا الديوان بإرسال الرسائل بين أنحاء الدولة[6] كما كان يراقب العمال والولاة وكيفية تصرفاتهم بالأقاليم[7] كما استعمل البريـد فـي بعض الحالات لنقل المسافرين[8].

12. ديوان الرسائل: ويختص هذا الديوان بتحرير رسائل الخليفة وأوامره وعهوده ومواثيقه في الأقاليم الإسلامية وإلى البلدان الخارجية التي لها علاقة بالدولـة الإسلامية[9] ويستقبل الرسائل القادمة على دار الخلافة من الأقاليم ويتـولى عرضها على الخليفة[10]. وكان يرأس هذا الديوان في عهد الواثق سليمان بن وهب[11].

---

(1) القلقشندي، مآثر، ج1، ص77.

(2) الكساسبة، المؤسسات، ص89.

(3) الدوري، النظم، ص146.

(4) جهادية، العقلية، ص121.

(5) أبو عبدالله محمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمي، مفاتيح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت)، ص38 (سيشار إليه تالياً: الخوارزمي، مفاتيح).

(6) ابن الطقطقا، الفخري، ص106.

(7) جهادية، العقلية، ص96-97.

(8) الجهشياري، الوزراء، ص167؛ السيوطي، تاريخ، ص181.

(9) الدوري، النظم، ص200؛ جهادية، العقلية، ص94.

(10) الكساسبة، المؤسسات، ص141.

(11) الأصفهاني، الأغاني، ج22، ص463.

13. ديوان الخاتم: وهو الديوان الذي تحفظ فيه نسخة من المكاتبات بعد أن تمـر على دواوين أخرى وبه موظفين مهمتهم نسخ أوامر الخليفة وإيداعها في هذا الديوان بعد أن تخرم بخيط وتختم بالشمع وبختم صاحب هذا الديوان[1]، ولا يقصد بالختم ما هو موجود أسفل الورقة وإنما الشمع والطين الأحمر الطري الذي يوضع عليه خاتم الخلافة ويترك حتى يجف فيصعب فتحها إلا بكـسر الختم[2] والسبب في إنشاء هذا الديوان هو منـع التزويـر فـي مراسـلات الخلفاء[3] وكان خاتم الخليفة الواثق مكتوب عليه "الله ثقة الواثق"[4].

14. ديوان التوقيع: ويختص هذا الديوان بدراسة المكاتبات التي تصل إلى الخليفة من شكاوى والتماسات وكتابة ألفاظ تشرح توقيع الخليفة أو الرئيس[5] ويقصد بالتوقيع على الرسالة أو الكتاب أي التعليق عليها بألفاظ موجزة ومثل شـائع أو شعر ذائع[6].

6.1.4 القضاء

أولى الخلفاء العباسيون القضاء اهتماماً كبيراً، وليس أدل على ذلك من وصية أبي جعفر المنصور لابنه المهدي بهذا الخصوص، حيث قال لابنه: "إلزم الحلال... وأقم الحدود، ولا تعتد فيها فتبور... واحكم بالعدل ولا تشطط، فإن ذلك اقطع للشغب"[7].

---

(1) ابن الطقطقا، الفخري، ص107؛ جهادية، العقلية، ص100.

(2) أبو عبدالله بن الأزرق (ت896هـ/1464م)، بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيـق علـي سامي النجار، منشورات وزارة الإعلام، بغداد 1977، ج2، ص223 (سيشار إليه تالياً: ابن الأزرق، بدائع).

(3) حسام الدين السامرائي، المؤسسات الإدارية في الدولـة العباسـية خـلال الفتـرة 247-334هـ/861-945م، دار الفكر العربي، بيروت 1971، ص284-285 (سيشار إليه تالياً: السامرائي، المؤسسات).

(4) المسعودي، التنبيه، ص313.

(5) جهادية، العقلية، ص102.

(6) القلقشندي، صبح، ج1، ص110.

(7) الطبري، تاريخ، ج7، ص96؛ الشواورة، سياسة، ص78.

كما حرص الخلفاء على توفر الشروط والمؤهلات الواجب توفرها فيمن يعين في منصب القضاء[1]، وقد اعتبر الخليفة أبو جعفر المنصور القاضي أحد أركان الملك الأربعة فقال: "ما كان أحوجني إلى أن يكون على بابي أربعة نفر، هم أركان الملك ولا يصلح الملك إلا بهم، كما أن السرير لا يصلح إلا بأربعة قوائم، أما أحدهم فقاضٍ لا تأخذه بالله لومة لائم..."[2]. وفي إطار هذه المقولة وحد الخلفاء العباسيون على ما يبدو سياستهم تجاه القضاء، فعندما جاء العباسيون إلى السلطة أخذ خلفائهم يعينون القضاة بأنفسهم، وهذا على عكس ما كان يحصل في عهد الأمويين[3]، ويعتبر أبي جعفر المنصور أكثر الخلفاء اهتماماً بمراقبة القضاة[4]، فقد عرف عنه شدة مراقبته للعمال والقضاة عن طريق صاحب البريد[5]، الذي كان يكتب له في بغداد عن الأمصار وما يجري فيها من أحوال الولاة والقضاة[6] وقد كان القضاء في هذه الفترة على علاقة وثيقة بالمذاهب الفقهية السائدة آنذاك وكان ميداناً عملياً لهذه المذاهب ويمثل فيه القضاة الجانب العملي للفقه[7] وعليه فقد حرص الخلفاء على توفر الشروط والمؤهلات الواجب توفرها فيمن يعين في منصب القضاء من حيث

---

(1) أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي (ت520هـ/226م)، سراج الملوك، ط1، تحقيق فتحي أبو بكر، ط1، الدار المصرية اللبنانية للكتاب، القاهرة، 1994م، ص46 (سيشار إليه تالياً: الطرطوشي، سراج)، حسين فلاح الكساسبة، السلطة القضائية في العصر العباسي، ط1، مركز زايد للتراث، الإمارات، ط1، 2001م، ص145 (سيشار إليه تالياً: الكساسبة، السلطة).

(2) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص46؛ عن مراقبة القضاة انظر EI2 Kada'.

(3) الكساسبة، السلطة، ص146.

(4) اليعقوبي، تاريخ، ج3، ص127.

(5) EI2 "BARID".

(6) الأصفهاني، الأغاني، ج19، ص147.

(7) صالح أحمد العلي، قضاة بغداد في العصر العباسي الأول، مجلة المجمع العلمي العراقي، بغداد 1969م، ج28، ص182 (سيشار إليه تالياً: العلي، قضاة).

المذهب وأن يتمتع بثقافة واسعة وعلم غزير وكان أكثر القضاة مـن رواة الحـديث والفقهاء والمحدثين[1].

ثم اتخذت السلطة العباسية خطوة كبيرة للأمام بتأسيس منصب قاضي القـضاة، ذلك المنصب الذي أعطي في الأصل لقاضي العاصمة بغداد الذي اعتاد الخليفـة أن يستشيره في الإدارة القضائية، وقد أسس هذا المنصب الخليفة هارون الرشيد[2]، من أجل الإشراف على الإدارة القضائية من خلال تسمية القضاة وتوجيههم وتعييـنهم، وكان مستشار الخليفة ويعمل تحت إمرته وكان قاضي القـضاة يراقـب الـسلوك الشخصي والأخلاق العامة للقضاة والموظفين في دائرة القاضـي، وكـذلك يحـدد واجبات بعض القضاة[3].

وبما أن قاضي القضاة كان يقيم في عاصمة الخلافة فقـد انتقـل صـاحب هـذا المنصب من بغداد إلى سامراء منذ عهد المعتصم بالله حتى يكون على مقربة مـن الخليفة الذي لا يستطيع الاستغناء عنه في الأمور والقضايا الفقهية والشرعية، وكان يولي من يراه لمنصب القضاء في الأمصار والأقاليم ممـن تتـوفر فـيهم شـروط وصفات القاضي[4].

القضاء في عهد الواثق بالله:

أولاً: قاضي القضاة

تولى منصب قاضي القضاة في عهد الواثق أبي دؤاد أبو عبدالله أحمد بن أبي دؤاد فرج بن جرير الأيادي[5]، وتشير المصادر إلى أن هذا القاضي قد سيطر على فكـر

---

(1) عن ثقافة القضاة انظر، الكساسبة، السلطة، ص161، 221.

(2) الخطيب، البغدادي، تاريخ، ج8، ص193؛ الكساسبة، السلطة، ص158.

(3) الكساسبة، السلطة، ص160-161.

(4) عبدالباقي، سامراء، ص422.

(5) ابن خلكان، وفيات، ج1، ص63-65؛ القرماني، أخبار، ص216؛ ابن الكازوني، مختصر، ص144؛ التنوخي، نـشوار، ج2، ص102؛ النـويري، نهايـة، ج22، ص275؛ الحكـيم البغدادي، مختار، ج14، ص15؛ البغـدادي، الفـرق، ص163؛ الطبـري، تـاريخ، ج5، ص275.

الواثق فيما يخص مذهب الاعتزال، فكان الخليفة لا يصدر عن رأيه[1]، وقد سـئل أحد الأعراب عن أبي دؤاد فقال: "هضبة لا تُرام وجبل لا يضام..."[2]. وقد امتـاز بأنه كان واسع النفس مبسوط اليدين كثير وجزيل العطاء ولا يرد سائلاً[3]. كما كان على درجة عالية من الكفاءة والخبرة[4]، وقد لمع نجم أبي دؤاد كأحد أعلام المعتزلة في زمانه، والذي كان سبباً في محاولة فرض هذا الفكر والمذهب أيام الخليفة الواثق بالله، وكانت نهاية هذا القاضي مأساوية فرغم أنه كان من أنصار بيعة المتوكل على الله بالخلافة بعد الواثق، إلا أن المتوكل عزله وسجنه حتى مات فـي سـجنه فـي بغداد[5].

وقد كان قاضي القضاة ابن أبي دؤاد يعين قضاته من المعتزلة ومن غيرهم أحياناً فقد عاتبه الخليفة على ذلك وبين ابن أبي دؤاد أن بعض المعتزلـة يـرفض تـولي منصب القضاء[6].

ثانياً: قضاة الأقاليم:

من أشهر القضاة في عهد الخليفة الواثق بالله:

1. الحارث بن مسكين أبي محمد الإمام العلامة الفقيه المحدث ولد سـنة 154هـ ـ وكان فقيهاً ثقة وقد رفض القول بخلق القرآن إبان المحنة فسجن طيلـة عهـود

---

(1) المسعودي، مروج، ج4، ص66؛ اليعقوبي، تـاريخ، ج2، ص483؛ الخطيـب البغـدادي، ج14، ص15؛ اليافعي، مرآة، ج2، ص81؛ ابن كثير، البداية، ج9، ص309؛ البكجـري، مختصر، ج27، ص120؛ السيوطي، تاريخ، ص341.

(2) المسعودي، مروج، ج4، ص66.

(3) الطرطوشي، سراج، ج2، ص518.

(4) محمد ضيف الله البطاينة، القضاء في الإسلام، مجلة المـؤرخ العربـي، بغـداد، 1987، عدد32، ص197؛ العوا، المعتزلة، ص263؛ Fawzi, aspect, p.273

(5) عصام محمد شباور، القضاء في الإسلام، ط1، دار النهضة العربيـة، بيـروت، 1983م، ص252 (سيشار إليه تالياً: شباور، القضاء).

(6) النويري، نهاية، ج22، ص275.

المأمون والمعتصم والواثق بالله حتى أطلق سراحه الخليفة المتوكل وأعاده على قضاء مصر، وكان الحارث زاهداً قوالاً للحق(1).

2. عبدالله بن محمد بن أبي يزيد الخليجي (ت253هـ/867م) هو أحد فقهاء العراق ومن أصحاب الإمام أبي حنيفة النعمان، وكان يقول بخلق القرآن وكان على علاقة طيبة بقاضي القضاة أحمد بن أبي دؤاد ولي قضاء الناحية الشرقية من بغداد في عهد الخليفة الواثق بالله، وقد اتصف بالعفة وسعة العلم، وكان على مذهب أبي حنيفة كان قاضياً على همذان في عهد المعتصم بالله ثم نقل إلى بغداد في عهد الواثق، ومن المتشددين في امتحان الناس حتى أنه فرق بين رجل وزوجته حين اشتكت زوجة عند هذا القاضي على زوجها مدعية أنه لا يقول بخلق القرآن ففرق بينهما هذا القاضي وبقي في القضاء طيلة عهد الواثق حتى عزله المتوكل(2).

3. محمد بن الحارث بن شداد أبو بكر بن أبي الليث قاضي مصر منذ سنة 226هـ/840م وبقي على قضائها حتى عزله المتوكل، وقد كان فقيهاً، أمره الخليفة الواثق بامتحان الناس في خلق القرآن وقد كتب على أبواب المساجد في القاهرة "لا إله إلا الله رب القرآن وخالقه" وقد تشدد في امتحان الناس حتى ملئت السجون(3) وضيق على الفقهاء ممن هم على مذهب مالك والشافعي(4).

4. الجهم بن بدر السامي: ولي قضاء نواحي بغداد وشرطتها معاً في عهد الواثق بالله وكان قبل ذلك يعمل والياً على بريد وطراز اليمن وهو أبو الشاعر علي بن الجهم بن بدر بن الجهم بن مسعود بن أذينة... بن فهر(5).

---

(1) الذهبي، سير، ج12، ص54-58؛ الكندي، الولاة، ص334.

(2) السبكي، طبقات الحنفية، ج1، ص290-291؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج2ن ص311؛ الخطيب البغدادي، ج10، ص13؛ وكيع، أخبار، ج3، ص290.

(3) الكندي، الولاة، ص321؛ السبكي، طبقات الحنفية، ج1، ص38-39؛

(4) الكندي، الولاة، ص322.

(5) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج7، ص240.

5. شعيب بن سهل: عينه الواثق مطلع خلافته على قضاء بغداد وسرعان ما عزله[1].

6. عبدالرحمن بن إسحاق: عينه الواثق على الجانب الغربي من بغداد وسرعان ما عزله في سنة 228هـ[2].

7. الحسن بن علي بن الجعد بن عبيد الجوهري وهو مولى أم سلمة المخزومية ولي قضاء بغداد سنة 228هـ ثم عزله الواثق[3] وكان على خلاف مع أحمد بن حنبل حيث كان القاضي الحسن ممن يقولوا بخلق القرآن[4].

8. أبو حسان الزيادي عين على قضاء شرق بغداد منذ 228هـ طيلة عهد الواثق بالله حتى عزله الخليفة المتوكل سنة 243هـ[5].

9. عبيدالله بن أحمد بن غالب مولى الربيع الحاجب، ولي على قضاء الشرقية سنة 227هـ-228هـ وكان فقيهاً على مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان وقد توفي سنة 243هـ وقد كانت سيرته مذمومة قبيحة بسبب امتحانه الناس[6].

10. عبد الصمد بن رزق الله عينه الواثق على قضاء الأهواز[7]

11. علي بن الحسن بن الأشقر عينه الواثق على القضاء في الأهواز بعد عزل عبد الصمد[8].

12. أحمد بن يعقوب الظفري من نسل زيد بن الخطيم كان قاضياً على المدينة منذ عهد المأمون حتى عزله المتوكل سنة 236هـ وهو من حملة العلم[9].

---

(1) اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص479؛ الخطيب البغدادي، ج10، ص73.

(2) الخطيب البغدادي، ج10، ص73.

(3) وكيع، أخبار، ج3، ص283؛ الخطيب البغدادي، تاريخ، ج7، ص364؛ التنوخي، نشوار، ج5، ص227؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج11، ص297.

(4) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج7، ص364.

(5) المصدر نفسه، ج7، ص364.

(6) المصدر نفسه، ج10، ص318، ج13، ص153؛ كرد علي، الإدارة، ص166، 170.

(7) وكيع، أخبار، ج3، ص320.

(8) المصدر نفسه، ج3، ص320.

(9) المصدر نفسه، ج1، ص260.

13. عبدالرحمن بن زيد بن محمد بن عباد بن جعفر المخزومي، كان قاضياً على مكة منذ عهد المأمون حتى عزله المتوكل وقد وصفه وكيع بأنه "خبيث الرأي يمتحن الناس ويخيفهم ويقيم كل جمعه –رجل- أسود ينادي حول المسجد الحرام القرآن مخلوق وكلاماً غيره"، كما كان قليل العلم شديد العصبية لخلق القرآن عزله المتوكل عن قضاء مكة سنة 238هـ/852م[1].

14. أحمد بن رباح: عينه المأمون على قضاء البصرة وبقي عليها حتى عزله المتوكل سنة 239هـ وكانت علاقته سيئة وعلى عداء مع المحدثين[2].

15. غسان بن محمد المروزي عينه المأمون على قضاء الكوفة وبقي قاضيا عليها طيلة عهد المعتصم بالله ثم عهد الواثق بالله حتى عزله المتوكل سنة 239هـ/853م[3].

يلاحظ من العرض السابق لأسماء القضاة الذين ذكرتهم المصادر أن هؤلاء القضاة كانوا من المعتزلة الذين يؤمنون بخلق القرآن، وهذا شيء منتظر أن يكون قضاة هذا العهد من المعتزلة وذلك بتأثير قاضي القضاة والخليفة نفسه، وقد أشار النويري إلى ذلك صراحة إذ أن الخليفة الواثق بالله طلب من قاضي قضاته أحمد بن أبي دؤاد أن يعين قضاة ممن يؤمنون بفكر المعتزلة[4].

ويلاحظ أن أغلب هؤلاء القضاة تم عزلهم في عهد الخليفة المتوكل الذي أبطل مذهب الاعتزال كما أن أكثر هؤلاء القضاة كانوا عربا مع أن الواثق عين قضاة من الموالي ولكن نسبتهم كانت قليلة فمن خمسة عشر قاضياً كان الموالي منهم اثنان هم الحسن بن علي بن الجعد مولى مخزوم وعبيدالله بن أحمد بن غالب مولى الربيع الحاجب.

---

(1) وكيع، أخبار، ج1، ص268-269.
(2) المصدر نفسه، ج2، ص179.
(3) المصدر نفسه، ج3، ص194.
(4) النويري، نهاية، ج22، ص275.

وقد لعب القضاة في عهد الواثق دوراً في امتحان الناس وحملهم على القول بخلق القرآن كما أنهم ضيقوا على العلماء والفقهاء من أصحاب المذاهب الأخرى كأبي حنيفة ومذهب الإمام مالك(1).

كان بعض هؤلاء القضاة من الفقهاء والعلماء وأهل الحديث العارفين بالأمور الشرعية كما سبق الإشارة إليهم.

7.1.4 الجيش:

كان العباسيون أول من أوجد مصطلح (جيش) بمعناه المنظم، وقبل ذلك في صدر الإسلام كانت الأمة الإسلامية كلها مقاتلة مستعدة للجهاد تنفر للحرب إذا دعت الضرورة إلى ذلك، وفي العصر الأموي استمر لم يتغير الحال كثيراً حيث كان العرب المستقرون في الأمصار يزاولون أعمالهم وحرفهم في أوقات السلم وينفرون للحرب حين تعلن الدولة النفير العام لقمع حركة داخلية أو مواجهة عدو خارجي(2).

فقد اتخذ العباسيون جيشاً نظامياً ثابتاً بدل الجيش القبلي وكان ولاؤه للدولة التي تعنى بتدريبهم وتموينهم وتجهيزهم فكان هذا الجيش على درجة كبيرة من التنظيم(3) وكان الجيش العباسي يتكون من عدة فئات هي:

1. الجيش النظامي وهم الجند المثبتون في الديوان وتدفع لهم الرواتب من بيت المال ويستوجب التسجيل في بيت المال شروط منها الذكورة، الحرية، الإسلام، السلامة الجسمية الإقدام ومعرفة القتال(4).
2. جيش المتطوعة: وهم المقاتلة الخارجون عن الديوان من المتطوعة الذين ينضمون إلى القتال بجانب الجيش النظامي في النفير تلبية لواجب الجهاد أو

---

(1) الكندي الولاة، ص322.

(2) أحمد بدر "التنظيم العسكري عند العرب المسلمين، فترة النشأة والتكوين، مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق 1981، ج4، ص110 (سيشار إليه تالياً: بدر، التنظيم).

(3) الكساسبة، المؤسسات، ص115.

(4) الماوردي، الأحكام، ص254؛ الخوارزمي، مفاتيح، ص63.

رغبة في القيمة[1] وكان باستطاعة هؤلاء المتطوعة العودة إلى ديارهم عنـد انتهاء الحملة التي رافقوا الجيش فيها أو عندما لا تناسبهم الظروف[2].

وقد تكون الجيش العباسي من صنفين:

1. الفرسان: وهم الخيالة[3] وكان أغلبهم من العرب الذين يتـسلحون بالـسيوف والحراب والرماح والسهام[4].
2. المشاة (الرجالة): وهم الذين يقاتلون راجلين أو مشاة[5] ويؤلفون القسم الأكبر من الجيش العباسي[6].

أما أسلحة الجيش العباسي فكانت تتكون من السيف المـصنوع مـن الحديـد[7] والرمح، وهو عود طويل في رأسه حربة يطعن بها وله أنـواع وأشـكال عديـدة؛ القوس ويصنع من الخشب المرن القوي أو من الحديد، ومن أسلحة الجيش العباسي الترس الدرع، الذي كان الجند يستخدمونه لوقاية أنفسهم من ضربات العـدو سـواء كانت الضربات بالسيوف أو الرماح أو السهام.

أما المنجنيق فهو أعظم الآلات الحربية نكاية وأشدها ويتألف من عامود طويـل قوي موضوع على عربة ذات عجلتين في رأسها حلقة أو بكرة يمر بها حبل متـين في طرفه الأعلى شبكة توضع فيه الحجارة أو المواد المشتعلة فيندفع من الشبكة ما وضع فيه من حجارة أو مواد مشتعلة فيقتل ويحرق جيوش الأعداء[8].

أما أرزاق الجند فقد روعي في تقديرها عدة اعتبارات منها الفضل والسابقة فـي خدمة الدعوة العباسية إضافة إلى الاعتبارات القبلية كما كان العطاء يتأثر في بعض

---

(1) المناصير، الجيش، ص134.

(2) المسعودي، مروج، ج3، ص138.

(3) ثابت، العسكرية، ص119.

(4) القرة غولي، العقلية، ص161.

(5) المناصير، الجيش، ص146.

(6) القرة غولي، العقلية، ص164.

(7) القرة غولي، العقلية، ص184.

(8) ثابت، العسكرية، ص155.

الأحوال في مناطق خدمة الجنود ففي المناطق المتاخمة للعدو كان عطاء الجند يزيد عن عطاء غيرهم في المناطق الداخلية، وقـد كـان رزق الفـارس ضـعف رزق الراجل[1] وقد كانت الأرزاق تدفع بداية كل شهر[2] وقد سكتت المصادر عن قيمـة أرزاق الجند الشهرية في عهد الخليفة الواثق بالله، علماً بأن أرزاق المشاة الرجالـة في عهد المعتصم بالله كانت دينارين شهريا[3].

عناصر الجيش العباسي:

أ. العرب: لقد كان الجيش الإسلامي الذي قام بالفتوحات يعتمد علـى العنـصر العربي بشكل رئيسي في عهد الخلفاء الراشدين وحتى العصر الأموي فكـان يتكون من العرب اليمنية والمضرية، ولما آلت الخلافة إلى العباسـيين دخـل الجيش العباسي عناصر جديدة؛ وقد كان الجيش العباسي في عهد أبي جعفـر المنصور يتكون من اليمنية والمصرية[4] وتـابع الخليفـة المهـدي الاهتمـام بالعنصر العربي في الجيش العباسي فقد اختـار خمـسمائة مـن الأنـصار اصطفاهم لنفسه وأجرى عليهم الأرزاق الواسعة وجعلهم حرسـه الخـاص[5] وبقي عماد الجيش العباسي في العصر العباسي الأول من العرب، فقادة الجيش في عهد المأمون كانوا عرباً، ومنهم هرثمة بن أعين وعجيف بن عنبسة، ثـم بدأ المأمون يفقد ثقته بالعرب[6] فذهبت مكانة العرب بنهاية عصر الأمين وبدأ يحل محلهم عناصر أخرى[7].

---

(1) الكساسبة، المؤسسات، ص120-121.

(2) مؤلف مجهول، الإمامة والسياسة، ج2، ص153.

(3) اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص376.

(4) القرة غولي، العقلية، ص155.

(5) الكساسبة، المؤسسات، ص115.

(6) المناصير، الجيش، ص101.

(7) صالح أحمد العلي، سامراء دراسة في النشأة والبنية السكانية، شركة المطبوعـات للنـشر، بيروت، (د.ت)، ص40، (سيشار إليه تالياً: العلي، سامراء).

ب. الفرس: لقد ساعدت العناصر الفارسية الخليفة المأمون في صراعه مع أخيه الأمين فكان أول من أدخل الفرس في ديوان الجند[1] فبدأ دور العرب يتقلص في الجيش العباسي ويظهر العنصر الفارسي وبقيت العناصر الفارسية في الجيش العباسي حتى عهد المعتصم حيث نجد الشاكرية فرقة عسكرية مسجلة في الديوان في عهد المعتصم[2].

لقد لعب الفرس دوراً في ظهور الدولة العباسية وكان لهؤلاء الموالي شأناً عظيماً في الدولة العباسية[3].

ج. الترك:

دخول الترك الجيش العباسي:

اعتمد الخلفاء العباسيون الأوائل على جيش عماده أبناء خراسان[4]، ثم حدث التنافس بين العرب والفرس في العصر العباسي الأول، فبدأت مكانة العرب تقل بنهاية عصر الأمين وبدأ تسلط الخراسانيون أنصار المأمون واستبدوا في الدولة، فكر المعتصم بالاعتماد على قوة عسكرية جديدة وهم الترك، وأول من استخدم الأتراك في الجندية، من خلفاء بني العباس هو أبو جعفر المنصور، ولكن عددهم كان قليل فلم يكن لهم أثر وشأن[5]، وفي عهد الخليفة المهدي لعب الترك دوراً في قتال الخوارج[6]، وأياً كان أول من استخدمهم في الدولة فإن بني العباس أول من أدخل الترك في الجيش[7] سواء كان ذلك منذ أيام المنصور أو بعده.

---

(1) المجالي، عصر ص382.

(2) ابن واردان، ص275.

(3) الكساسبة، المؤسسات، ص117.

(4) صالح أحمد العلي، سامراء دراسة في النشأة والبنية والسكانية، شركة المطبوعات للنشر، بيروت، (د.ت)، ص40. (سيشار إليه تالياً: العلي، سامرا).

(5) زيدان، التمدن، ج2، ص450؛ Albert Hoarani, p.125.

(6) خليفة بن خياط (ت240هـ/854م)، تاريخ خليفة بن خياط، مراجعة مصطفى نجيب، دار الكتب العلمية، بيروت 1995م، ج2، ص475. (سيشار إليه تالياً: ابن خياط، تاريخ).

(7) Taha Tarawneh , The Province of Damascus during the second Mamluk period, Amman, 1994, p.11.

ولكن الخليفة المعتصم بالله عرف بإكثاره من استخدام الأتراك الذين سكنوا في البلاد الواقعة وراء الصغد، وفرغانه وأشروسنة والشاس[1]، وقد امتازوا بنمط حياة البداوة في معيشتهم[2]، وكانت مصادر جلب الأتراك إلى الدولة العباسية تتم من خلال الحروب فوقع بعضهم أسرى في مناطق ما وراء النهر، وتم شراء البعض كرقيق أبيض وكثيراً ما كان المماليك الأتراك يرسلون إلى الخليفة العباسي كجزء من الضريبة السنوية المفروضة على مناطقهم الجغرافية من قبل الخلفاء العباسيون ومنهم من تم تجنيده منذ عصر المأمون[3]، وعلى العموم فقد كان هؤلاء الترك يمتازون بقوة الشكيمة والخشونة والجرأة والصبر على شظف العيش لأنهم أهل بداوة[4]، وكثيراً ما كانوا يجلبون صبياناً صغاراً تتم تربيتهم تربية إسلامية[5] بعدما كانوا يدينون بالوثنية والمجوسية[6] السائدة في مناطق ما وراء الصغد[7].

ويمكن أن يطرح السؤال التالي: لماذا استخدم الخليفة المعتصم بالله هؤلاء الأتراك في الجيش؟ لقد تعددت الأسباب التي دعت هذا الخليفة إلى الاستكثار من الأتراك والتي يمكن إجمالها بما يأتي:

---

(1) أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت279هـ/892م)، فتوح البلدان، تحقيق رضوان محمد، ط1، دار الكتاب، بيروت، 1978م، ج5، ص606 (سيشار إليه تالياً: البلاذري، فتوح).

(2) عمرو بن بحر الجاحظ (ت255هـ/868م)، مناقب الترك، تحقيق عبدالسلام هارون، القاهرة، 1964م، ص60. (سيشار إليه تالياً: الجاحظ، مناقب)؛ جبر، الجاحظ، ص136؛ J.Sandres, A history of Medieval Islam, London, 1982, p.112.

(3) فوزي، محاضرات، ص24؛ كرد علي، الإدارة، ص165؛ Brockelman, History, p.129.

(4) زيدان، التمدن، ج2، ص452.

(5) ثابت، العسكرية، ص177-179؛ العلي، سامراء، ص52.

(6) ثابت، العسكرية، ص239.

(7) هي المناطق الواقعة بين بلاد المغول المحاذية للصين وبلاد الصغد المحاذية لخراسان، انظر المسعودي، مروج، ج1، ص141؛ المسعودي، التنبيه، ص57، 77؛ الثعالبي، لطائف المعارف، ص24، 153.

1. علاقة النسب التي كانت تربط المعتصم بالترك كون أمه ماردة تركية[1]، وهذا مما دفعه إلى الإكثار منهم والعطف عليهم كونهم أخواله[2]، وفيه كثير من طبائعهم[3].
2. خوف المعتصم من تمكن العناصر الفارسية من أهل خراسان وغيرهم، الذين كثروا في الجيش العباسي وزاد تمكنهم في الدولة فبدأ المعتصم يكثر من الأتراك للاعتماد عليهم في إقصاء الفرس الذين قتلوا أخيه الأمين[4] كما سعى المعتصم إلى تخفيف سطوتهم[5].
3. لم يعد المعتصم يثق بالعرب بسبب التفاف كثير منهم حول العباس بن المأمون سنة 218هـ ومناداتهم له بالخليفة بدل المعتصم فكرة العرب[6].
4. أن أهل العراق تعودوا الرفاهية والدعة فحدث عدم توافق بين الخليفة المعتصم الشديد غليظ الطباع المحترف للعسكرية والفروسية، وبين المجتمع العراقي المحتضر[7]، في الوقت الذي كان المعتصم بالله يشعر بتقارب ذهني مع هؤلاء الترك الذين تغلب عليهم الشدة والغلاظة[8].

توسع المعتصم في الاستكثار من جلب الأتراك إلى الجيش العباسي، وفي ذلك يقول المسعودي (ت346هـ/957م): "كان المعتصم يحب جمع الأتراك وشراءهم من أيدي مواليهم"[9] وقد كان يوجه من يشتريهم ويجلبهم إليه منذ أيام خلافة أخيه

---

(1) الطبري، تاريخ، ج5، ص271.
(2) اليوزبكي، الوزارة، ص120.
(3) زيدان، التمدن، ج2، ص450.
(4) ثابت، العسكرية، ص173.
(5) محمد ضيف الله البطاينة، الجيش الإسلامي بنشأته وتطوره، مجلة المؤرخ العربي، عدد33، بغداد، 1987، ج33، ص176 (سيشار إليه تالياً: البطاينة، الجيش)؛ J. Sandres, p.112.
(6) الكروي، نظام، ص212-213؛ صادق جودة، الرحلة المتوكلية إلى دمشق، دار عمار، عمان، 1985م، ص10. (سيشار إليه تالياً): جودة، الرحلة).
(7) فوزي، محاضرات، ص31.
(8) عبدالباقي، سامراء، ص467.
(9) المسعودي، مروج، ج4، ص53.

المأمون[1]، يذكر اليعقوبي (ت284هـ/897م) في معرض حديثه عن اهتمام المعتصم بتوفير متطلبات الحياة الكريمة للجند الأتراك ما نصه "كان المعتصم قد أقطع الترك مواضع خاصة بهم بعيدة عن الأسواق ليس معهم في قطائعهم ودروبهم أحد من الناس لا يختلط بهم تاجر ولا غيره، ثم اشترى لهم الجواري فأزوجهم منهن ومنعهم أن يتزوجوا أو يصاهروا إلى أحد من المولدين إلى أن ينشأ لهم ولد فيتزوج بعضهم من بعض وأجرى للجواري الأتراك أرزاقاً قائمة وأثبت أسمائهن في الدواوين، فلم يكن أحد منهم يطلق امرأته ولا يفارقها"[2]. ويظهر من هذه الرواية أن المعتصم سعى للحفاظ على النقاء العرقي للأتراك وأنه بعزلهم بأحياء خاصة بهم كان يهدف أن يحافظ هذا العنصر على طباعه وخشونته وألا يتأثروا بالمدينة التي ستفقدهم كثيراً من طباعهم وخشونتهم كما حدث للعرب الذين أُسقطوا من المؤسسة العسكرية في عهده، وانصرفوا للأنشطة الاقتصادية والإدارية.

وكان الخليفة يتخير عند شرائهم من يتوسم فيهم الشجاعة وقوة الجسم، حيث اعتمد عليهم وميزهم باللباس الخاص بهم وقربهم[3]، ولما كثر هؤلاء الجند وزادت شوكتهم وقويت زاد حظرهم على أهل بغداد، وصاروا يؤذون الشيوخ والنساء والصبيان، اشتكى الناس إلى الخليفة ورحل معهم وبنى مدينة سامراء[4].

---

(1) أحمد بن أبي يعقوب بن واضح المعروف باليعقوبي (ت284هـ/798م)، كتاب البلدان، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1988م، ص27 (سيشار إليه تالياً: اليعقوبي، البلدان)؛ انظر الأزدي، أخبار، ج2، ص352؛ السيوطي، التبري، ص104؛ كرد علي، الإدارة، ص165.

(2) اليعقوبي، البلدان، ص29، 32؛ انظر مع بعض الاختلاف، الحميري، الروض، ص301.

(3) المسعودي، التنبيه، ص307؛ المسعودي، مروج، ج4، ص53؛ انظر خالد الجنابي (الجيش)، موسوعة حضارة العراق، بغداد، 1986م، ج6، ص241. (سيشار إليه تالياً: الجنابي، الجيش).

(4) اليعقوبي، البلدان، ص27؛ المسعودي، مروج، ج2، ص349؛ محمد بن علي طباطبا المعروف بابن الطقطقا (ت709هـ/1309م)، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، ط1، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ص231 (سيشار إليه تالياً: ابن طباطبا،=

إلا إن قوة شكيمة المعتصم قد حدت من نفوذ الأتراك وقصرت فعـاليتهم علـى النواحي العسكرية[1]، وعزلهم في سامراء[2]، وقد استفاد الخليفة المعتصم من قـوة وإمكانات الجند الأتراك وحقق من خلالهم انتصارات ساحقة على الثوار والأعـداء مثل ثورة الزط وحركة بابك الخرمي إضافة إلى انتصاره على الدولـة البيزنطيـة وفتح عمورية سنة (223هـ/838م)[3].

الترك في عهد الواثق:

استمر الخليفة الواثق بالله في سياسة والده المعتـصم فـي اصـطناع الأتـراك وإعطائه لقادتهم صلاحيات واسعة حتى توج أشناس واستخلفه على الـسلطة فكـان أول خليفة يستخلف سلطاناً[4]، واتسع نفوذهم في عهده وتكاثر عددهم كثيراً[5]؛ لأنه كان يبعث من يشتريهم[6]، فبدأ نفوذ الأتراك يزداد في عهده على عكس مـا كـانوا عليه زمن والده المعتصم الذي عرف بقوة شكيمته التي حدت مـن نفـوذ الأتـراك فاقتصرت فعاليتهم على النواحي العسكرية[7]، أما في عهد الخليفة الواثق فقد فتح لهم باباً جديداً في مجال السياسة العامة، ولم يعد دورهم يقتصر على الجانب العـسكري بل أصبحوا يتدخلون في إدارة الدولة، ففي سنة 228هـ/842م عقد الواثـق لقائـده

= الفخري)؛ أحمد مختار العبادي، تاريخ الدولة العباسية، ط1، مؤسسة شـباب الجامعـة، الإسكندرية، 2005م، ص23 (سيشار إليه تالي: العبادي، تاريخ).

(1) الزهراني، النفقات، ص317؛ السرجاني، موسـوعة، ص286؛ الجنـابي، الجـيش، ج6، ص240؛ Albert, p.35-36.

(2) العلي، سامراء، ص62-65.

(3) عن هذه الأحداث، انظر ابن الأثير، الكامل، ج6، ص25-35، ص38-45.

(4) المناصير، الجيش، ص477؛ محمود، العالم، ص257؛ عبدالجبار، الدولة، ص163.

(5) ابن العمراني، الأنباء، ص113؛ عبدالعزيز اللميلم، نفوذ الأتراك فـي الخلافـة العباسـية، جامعة الإمام، الرياض، ص983، ج1، ص379، سيـشار إليـه تاليـاً: اللمـيلم، نفـوذ؛ الروضان، موسوعة، ص302.

(6) الطبري، تاريخ، ج5، ص258.

(7) الكروي، نظام، ص217.

أشناس التركي (ت230هـ/844م)[1] وولاه جميع الولايات الواقعة إلى الغرب من سامراء وتوجه وألبسه وشاحين من ذهب[2]، وولّى إيتاخ الجانب الشرقي من الدولة[3].

ويبدو أن سبب إجراء الواثق بإشراك الأتراك في الإدارة يرجع لعدم قيامه بعمليات عسكرية كبرى على الجبهة البيزنطية التي شهدت حالة من الهدوء والفداء[4]، فقام بإشراكهم بإدارة الدولة ولكنهم كانوا يرسلون من ينوب عنهم في إدارة تلك الأقاليم، وبالتالي لعلها كانت محاولة من الخليفة الواثق بالله تهدف إلى إبعاد القادة الترك عن العاصمة سامراء إلى الأقاليم البعيدة شرقاً وغرباً.

ومن الجدير ذكره أن الخليفة الواثق بالله قد أفاد من طاقات وإمكانات الجند الأتراك، وحاول توجيههم إلى قمع الثورات وترسيخ أقدام الدولة في الأقاليم المضطربة في بلاد الشام والجزيرة العربية، وبالتالي فقد كان الجند الأتراك في عهد الخليفة الواثق بالله لا يزالون تحت سيطرة مؤسسة الخلافة.

القادة الأتراك:

1. أشناس:

هو أحد القادة الأتراك، كان يكنى بأبي جعفر[5]، وهو في الأصل مملوكاً لأبي هارون نعيم بن خازم[6]، يعود تاريخ هذا القائد في الجيش العباسي منذ أيام الخليفة المأمون وقد صحبه في إحدى غزواته ضد البيزنطيين، وعرف بالشجاعة والبأس[7].

---

(1) انظر (القادة الأتراك) من هذا الفصل

(2) اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص476.

(3) المصدر نفسه، ج2، ص479.

(4) انظر الفصل السادس.

(5) القرماني، أخبار، ج2، ص106.

(6) اليعقوبي، البلدان، ص27.

(7) عبدالسلام الترمانيني، أحداث التاريخ الإسلمي بترتيب السينين، ط1، طلاسدار، دمشق، 1988، ج1، ص1297 (سيشار إليه تالياً: الترمانيني، أحداث).

كما صحب الخليفة المعتصم بالله في فتح عمورية وأبلى بلاءاً حسناً، فأعجب به المعتصم فقدمه وولاه حجابته، ولما حج أشناس في سنة 226هـ/840م ولاه الخليفة على كل بلدة يدخلها فدعى له على جميع المنابر في البلدان بين سامراء ومكة(1)، ثم أناط إليه قيادة الجيش(2)، وقد اشتهر أشناس بأنه كان جوداً وشاعراً(3).

زاد نفوذ أشناس في عهد الخليفة الواثق بالله فقد زاد نفوذ أشناس، ففي سنة 228هـ/842م توجه الخليفة وشاحين مرصعين بالجواهر(4)، وأقطعه هو وأصحابه الموضع المعروف بالكرخ(5)، وإلى هذا يشير اليعقوبي (ت284هـ/897م) إلى أن أشناس "كان أول من عقد له الواثق فولاه من بابه إلى آخر عمل المغرب"(6) علق السيوطي (ت911هـ/1515م): على ذلك "وأظن أنه أول خليفة استخلف سلطاناً (يعني أشناس)"(7).

وقد بالغ الخليفة الواثق بالله في إكرام أشناس وتقديم المال له، حيث أعطاه صلة مالية مقدارها أربعين مليون درهم لاعتماده عليه في تصريف كثير من الأمور العسكرية والمدنية(8)، وتوفي أشناس في سنة 230هـ/844م، وخلفه في مرتبته وأكثر أعماله إيتاخ(9)، ويجدر هنا أن يوضح أمرين: الأول: أن هذا القائد التركي أشناس ليس من صنع الخليفة الواثق بالله وأن ما وصل إليه من مكانة عسكرية

---

(1) القرماني، أخبار، ج2، ص106.

(2) ثابت، العسكرية، ص188.

(3) كنعان، تاريخ، ص142.

(4) الطبري، تاريخ، ج5، ص274؛ أبو الفداء، المختصر، ج2، ص35؛ ابن الأثير، الكامل، ج5، ص269؛ شلبي، موسوعة، ج3، ص199؛ الترمانيني، أحداث، ج1، ص915.

(5) اليعقوبي، البلدان، ص29؛ الحميري، الروض، ص301.

(6) اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص479؛ انظر مع بعض الاختلاف تقي الدين أحمد بن علي المقريزي (ت845هـ/1450م)؛ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، بيروت، د.ت)، ج2، ص88 (سيشار إليه تالياً: المقريزي، الخطط).

(7) السيوطي، تاريخ، ص340.

(8) الزهراني، النفقات، ص331.

(9) اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص481؛ ابن الوردي، تاريخ، ج1، ص306.

وإدارية كان قد وصلها منذ أيام الخليفة المأمون والمعتصم، والثاني: أن الخليفة الواثق بالله أفاد من قدرات الترك ومنهم أشناس في توطيد أركان الدولة، وقمع كثير من حركات التمرد على الدولة.

2. إيتاخ:

يلقب بأبي منصور[1]، وهو في الأصل غلام تركي من الخزر، اشتراه سلام الأبرش[2]، حيث عمل عنده طباخاً وفي سنة 199هـ/814م اشتراه الخليفة المعتصم وضمه إلى جيشه، ويبدو أنه أُعجب بإمكاناته العسكرية وشجاعته[3]، فولاه قيادة فرقة عسكرية في جيشه سنة 223هـ/837م، ولم يزل قائداً عسكرياً كبيراً في جيش المعتصم بالله[4]، وقد اعتمد عليه الخليفة المعتصم عندما غزا الروم في عمورية، فقد عهد إليه بقيادة ميمنة جيشه، كما كان يعتمد عليه في الأمور الهامة والخاصة كالتخلص من أعدائه فمن أراد حبسه أو قتله، وعند إيتاخ يحبس وبيده يقتل وهو الذي قتل العباس بن المأمون وعجيف بن عنبسة عندما تآمرا على الخليفة إبان فتح عمورية، وقد احتفظ بمركزه طيلة عصر المعتصم[5].

حافظ إيتاخ في عهد الخليفة الواثق على مكانته في الجيش وأكرمه الخليفة بأن أقطعه أرضاً على نهر القاطول[6]، كما أشركه في إدارة الدولة فقد عهد إليه بولايات خراسان والسند وكور دجلة، وبلغ ذروة منزلته في عهده عندما عهد إليه بالحجابة

(1) القضاعي، عيون، ص449.

(2) سلام الأبرش، هو أحد رجال البلاط العباسي، حيث عمل خادماً للخليفة هارون الرشيد ثم عمل بعده خادماً عند الخليفة المأمون، انظر عبدالباقي، سامراء، ص470.

(3) ابن خلدون، العبر، ص751.

(4) ثابت، العسكرية، ص188.

(5) عبدالباقي، سامراء، ص471.

(6) اليعقوبي، البلدان، ص34؛ الزهراني، النفقات، ص325.

في دار الخلافة[1]، ومما زاد في منزلته ولمعان نجمه أكثر أنه بعد وفاة أشناس عهد إليه الخليفة الواثق بالله بكافة أعماله[2].

إلا أن نهايته كانت مأساوية على يد الخليفة المتوكل على الله الذي أمـر رجالـه باعتقاله سنة 235هـ/849م، ثم حبسه وقطع عنه الماء فمات عطشاً[3].

3. بغا الكبير:

أحد القادة الأتراك وكان يلقب بأبي موسى، وكان الخليفة المعتصم بالله قد اشتراه وهو غلام صغير[4]، وقد شارك في حملات عسكرية عديدة، حيث بعثـه الخليفـة المعتصم على رأس جيش كبير لإمداد القائد الافشين أثناء حربه مع بابك الخرمـي، كما أرسله الخليفة فيما بعد لاعتقال الافشين عندما نقم عليه الخليفة المعتصم[5].

أما في عهد الخليفة الواثق بالله فقد أرسله في حملات عسكرية لإخضاع القبائـل العربية التي قامت بحركات تمرد في الجزيرة العربية من قبائل بني سـليم وبنـي نمير، حيث التقى بهم وهزمهم وعاد إلى سامراء منتصراً[6].

مات بغا الكبير سنة 248هـ وقد تجاوز عمره التسعين عاماً كان قد خاض بهـا الكثير من الحروب واتصف بتدينه[7].

4. وصيف:

هو أحد مماليك الخليفة المعتصم الذين انخرطوا في جيشه، وقد كان في الـسابق يعمل زراداً لآل النعمان[8]، ثم اشتراه المعتصم فأصبح من كبار القادة العسكريين لِما

---

(1) محمود، العالم، ص257؛ الكردي، نظام، ص218.

(2) نجدت خماش، التنظيم الإداري في العصر العباسي، المؤتمر الخامس لتاريخ بـلاد الـشام، منشورات الجامعة الأردنية، 1990م، ص5 (سيشار إليه تالياً: خماش، التنظيم).

(3) القضاعي، عيون، ص449؛ الأزدي، أخبار، ص180.

(4) ثابت، العسكرية، ص188؛ Fawzi, aspect, p.237

(5) الطبري، تاريخ، ج5، ص260.

(6) انظر الفصل الثالث. (ثورات الجزيرة العربية).

(7) عبدالباقي، سامراء، ص476.

(8) اليعقوبي، البلدان، ص27.

كان يتمتع به من جرأة وشجاعة، وقد اتّخذه المعتصم بالله عندما تولى الخلافة حاجباً له[1].

وبقي قائداً بارزاً في الجيش العباسي، وقد اهتم به الخليفة الواثق بالله وقربه منه، وأكرمه حيث أقطعه أراضي ودور في سامراء[2]، ثم عينه حاجباً له[3]، اسـتخدمه الواثق بالله في مهمات عسكرية، ففي سنة 231هـ/845م عاد من مناطق أصـبهان والجبال وفارس بعد أن قمع تمرد للأكراد هناك، فأكرمه الواثـق وأعطـاه خمـس وسبعين ألف دينار، وقلده سيفاً وكسوة[4]، وعندما توفي الخليفة الواثق بالله من غير أن يعهد بالخلافة لأحد من بعده، اشترك وصيف في اختيار من يخلفه[5]، ولمـا تـم اختيار المتوكل على الله تولى وصيف حجابته، ولكن العلاقة سـاءت بينـه وبـين الخليفة الجديد فقُتل وصيف في سنة 253هـ/861م[6].

دور الترك في السياسة العامة:

بدأ نفوذ الأتراك يزداد في عهد الخليفة الواثق بالله لعدة أسباب منها أن عصره لم يشهد صدامات عسكرية على الجبهة البيزنطية كما سيتضح لاحقاً، وكما مر سـابقاً فإن الترك استخدموا في أول أمرهم كجند في الجيش العباسي وخاصة فـي عـصر الخليفة المعتصم بالله الذي أفاد من مواهبهم وقدراتهم الحربية لخدمة الدولة العباسية وقد اقتصر نفوذهم وفعالياتهم على الجوانب العسكرية، غير أنه من المنصف القول أن الخليفة الواثق بالله استفاد من قدراتهم في قمع بعض الثورات التي شهدها عهـده كما مر سابقاً.

ومما زاد في نفوذ القادة الأتراك هو فتح الخليفة باب الإدارة على مصراعيه أمام هؤلاء، وبالتالي بدأ دورهم يتحول تدريجياً من عسكري إلى التدخل فـي الـسياسة

---

(1) عبدالباقي، سامراء، ص473.

(2) اليعقوبي، البلدان، ص34.

(3) الصابي، رسوم، ص33.

(4) الطبري، تاريخ، ج5، ص284.

(5) مسكويه، تجارب، ج4، ص106؛ Brockelman, History, p.132

(6) عبدالباقي، سامراء، ص473.

العامة للدولة، يرى بعض الدارسين المحدثين إلى أن الواثق ارتكب خطأ في تعظيم شأن الأتراك على حساب العرب والفرس خاصة عندما عين أشناس التركي سلطاناً على الدولة وقلّده سيفاً وحِزاماً مطعمين بالجواهر[1]، وهذا الأجراء جعل الجيش يتدخل في ميدان السياسة والإدارة رغم عدم معرفتهم الكافية في هذه المجالات[2].

ومن الأسباب التي أدت إلى زيادة نفوذ الأتراك في عهد الواثق بالله هو انعزالهم عن العناصر السكانية الأخرى، حيث أنهم أفردوا بقطائع وأحياء سكنية خاصة بهم منعزلة عن باقي السكان حتى في الصلاة كانت لهم مساجدهم الخاصة في سامراء ولهم شوارعهم ومنعوا من مصاهرة غيرهم فجلبت لهم الجواري التركيات، ومنعوا من التزاوج مع باقي السكان، وبقيت هذه التقاليد في عصر المعتصم وابنه الواثق بالله[3].

إن مثل هذه الإجراءات قد جعلت الأتراك يحافظون على خشونة الطبع والقسوة، ويحملون القيم والتقاليد التي جلبوها معهم من موطنهم الأصلي، وهذا ما جعلهم يشعرون بذاتهم ويعتزون بدورهم وأهميتهم ما دامت الدولة تعطيهم كل هذه الامتيازات والأهمية، مما أوجد لهم دور ومكانة على حساب العرب الذين بدأوا يكنون مشاعر الكره والغضب من هؤلاء الأتراك؛ ويمكن أن نلمح ذلك من مخاطبة بعض القبائل العربية كبني نمير في الجزيرة العربية لجيش بغا الذي جاء لقمعهم بالقول: "هؤلاء العبيد والعلوج"[4]. ويعتبر فاروق عمر فوزي أن سبب قيام الثورات في الحجاز والشام جاءت ردة فعل وتذمر من تزايد نفوذ الأتراك"[5].

---

(1) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص269؛ صفاء حافظ عبدالفتاح، نظم الحكم في الدولة العباسية، ط، دار الفكر، القاهرة، 1985م، ص25 (سيشار إليه تالياً: صفاء، نظم).

(2) المناصير، الجيش، ص477؛ شلبي، التاريخ، ج3، ص199.

(3) اليعقوبي، البلدان، ص29؛ الحميري، الروض، ص301.

(4) الطبري، تاريخ، ج5، ص323.

(5) فوزي، محاضرات، ص32-33.

وقد عبر الشاعر العربي دعبل الخزاعي عن المشاعر العربية المليئة بالكُره للأتراك وتقريبهم ورفع مكانتهم ودورهم في الحياة العامة، فلما مات المعتصم وتولى الخلافة من بعده الواثق بالله أنشد هذا الشاعر قائلاً:

الحمد لله لا صبر ولا جلد ... ولا رقاد إذا أهل الهوى رقدوا

خليفة مات ولم يحزن عليه ... وآخر قام لم يفرح به أحد

فمر هذا ومر الشر يتبعه ... وقام هذا فقام الويل والنكد

لقد ضاع أمر الناس حيث يسوسهم ... وصِيفٌ وأشناس وقد عظم الخطب

ومن أسباب تنامي نفوذ الأتراك الإداري والسياسي في عصر الخليفة الواثق بالله عدم تعيينه ولياً للعهد من بعده، وكانت هذه الخطوة غير حكيمة في التعامل مع ولاية العهد، وقد تناولت إحدى الدراسات الحديثة هذا الموضوع بتحليل ومعالجة للموضوع وخلصت إلى أن من أسباب عدم تعيين الواثق بالله ولياً لعهده إدراكه أن لا فائدة من تولية عهده مادام أن الأمر لا يتم إلا بموافقة القادة الأتراك بسبب تسلطهم على الأمور وهذا ما أثبته مجريات الأحداث فيما بعد.

ويرى الباحث أنه وللإنصاف يمكن القول أن الخليفة الواثق بالله لم يكن هو المسؤول، ولم يكن هو المسبب المباشر والرئيس لتنامي نفوذ الأتراك بقدر ما كان عاملاً مساعداً، فالخليفة المعتصم بالله هو المسؤول عن جلب الأتراك واصطناعهم وبناء عاصمة جديدة له ولهم وهي سامراء[1]، وهو الذي جعل عِماد ملكه وجيشه منهم.

ولما جاء للخلافة من بعده ابنه الواثق وجد نفسه محاطاً بجموع كثيرة منهم، فلم يكن أمامه خياراً غير التكيف معهم، والاستفادة منهم ودرء ما يمكن درأه من شرور تسلطهم وشرورهم التي تكشفت فيما بعد، والتي كان لها أسوأ الأثر على الدولة العباسية فيما بعد.

---

(1) "Samara" El2.

2.4 الأوضاع الاقتصادية:

1.2.4 الأنشطة الاقتصادية:

1.1.2.4 التجارة:

إن الحديث عن النواحي الاقتصادية يتطلب دراسة فترة زمنية طويلة نسبياً كانت قد شهدت أحداثاً وطرأ فيها متغيرات اقتصادية كبيرة تركت آثاراً على الدولة وحياة الناس، عندئذٍ يمكن أن نتناول الأوضاع الاقتصادية، كالتجارة طيلة العصر العباسي الأول، أما تناول التجارة أو الزراعة خلال فترة زمنية قصيرة كعهد الخليفة الواثـق بالله، فإن الأمر لا يخلو من العسر، وذلك لأن المصادر لا تسعفنا وتمدنا بمعلومـات كافية لتكوين تصور عام عن الفعاليات الاقتصادية باستثناء النتف المتفرقة المصادر.

لقد شهدت الدولة العباسية منذ عصر الخليفة أبـي جعفـر المنـصور (136-158هـ/774م) تبادلاً تجارياً واسعاً، ولما كان العراق يتمتع بموقع جغرافي متميز تمتد عبره طرق المواصلات البرية والبحرية فقد أدى ذلك إلى اتساع نطاق التبـادل التجاري ليشمل المغرب الأقصى وشرق إفريقيا حتـى حـوض الباطيـق والهنـد والصين[1]، ثم أصبحت بغداد في العصر العباسي الأول مستودعاً رئيسياً للتجارة مع العالم المعروف آنذاك بسبب توفر الطرق الآمنة للتجـارة وجهـود الخلفـاء فـي تطويرها[2]، حيث احتوت بغداد على كل ضروب التجارة، كما أنه ولغرض تسهيل المعاملات التجارية فقد أقيمت أماكن للصيارفة في بغداد منذ عصر الخليفة المهـدي واستمر ذلك طيلة العصر العباسي الأول[3].

---

(1) عبدالعزيز الدوري، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربـي، ط1، دار الطليعـة، بيـروت، 1969م، ص68 (سيشار إليه تالياً: الدوري، مقدمة)؛ طه الطراونة، حركة التجارة في بلاد الشام والبلاد الإسلامية في العصر العباسي، المؤتمر الولي الخامس لتاريخ بلاد الشام فـي العصر العباسي، الجامعة الأردنية، 1990م، ص4، 6 (سيشار إليه تالياً: الطروانة، حركـة التجارة).

(2) Brockelman, History, p.112.

(3) حمدان عبدالمجيد الكبيسي، أسواق بغداد حتى بداية العصر البويهي، ط1، بغـداد، (د.ت)، ص107 (سيشار إليه تالياً: الكبيسي، أسواق).

أما في عصر الخليفة الواثق بالله فقد توفرت مجموعة من الإجراءات والعوامـل التي عملت على تطوير التجارة آنذاك، ويمكن إجمالها بما يلي:

1. إن تخطيط وبناء مدينة سامراء عاصمة الدولة العباسية أيام المعتصم والواثق بالله واهتمامه بالتجارة كان له أكبر الأثر في تطوير التجارة، يذكر اليعقوبي (ت284هـ/897م) نصوصاً تعطي الباحث صـورة دقيقـة عـن أسـواق سامراء، فالمدينة كانت مليئة بأنواع التجارات والـصناعات "فاتـسع أهـل الأسواق والمهن والصناعات في تلك الحوانيت والأسـواق... وزاد الواثـق بالأسواق وتوسع فيها وعظمت الغرض التي تردها السفن من بغداد وواسـط والبصرة والموصل والأهواز..."[1] وفي هذا دلالة على حركة تجارية داخلية بين العاصمة سامراء وباقي مدن العراق.

كما أن البضائع التجارية ترد من كافة الأنحاء ، وهذا ما دفع إلى تقسيم مدينـة سامراء إلى عدة أسواق بحيث جعلت كل تجارة منفردة، وذلك لأن الخليفة المعتصم كان قد استقدم من كل بلد من يحترف صناعة من الصناعات أو من يمتهن مهنـة، حيث "حمل من مصر من يعمل القراطيس وحمل من البصرة من يعمـل الزجـاج والخزف والحصر وحمل من الكوفة من يعمل الخزف والأدهان ومن سائر البلـدان من أهل كل مهنة وصناعة فأنزلوا بعيالهم هذه المواضع فأقطعوا فيها وجعل هنـاك أسواقاً لأهل المهن بالمدينة[2]".

2. نتج عن هذا النشاط الواسع في صناعات سامراء وحِرفها حركـة تجاريـة داخلية وخارجية قامت على تصدير الفائض من السلع مثل صناعة القاشـاني

(1) اليعقوبي، البلدان، ص34-36.

(2) اليعقوبي، البلدان، ص29، 34؛ انظر الحميـري، الـروض، ص301؛ نـاجي، الدولـة، ص152؛ أندريه كلو، هارون الرشيد ولعبة الأمم، ط1، ترجمة صادق الموسوي، المؤسسة العربية للنشر، بيروت، 2005م، ص250 (سيشار إليه تالياً: كلو، الرشيد)؛ صباح الشيخلي، الأصناف في العصر العباسي نشأتها وتطورها، بغداد، (د.ت)، ص38-39 (سيـشار إليـه تالياً: الشيخلي، الأصناف)؛ أنور الرفاعي، تاريخ الفن عند العرب والمسلمين، دار الفكـر، دمشق، 1977م، ص35-36 (سيشار إليه تالياً: الرفاعي، تاريخ).

التي اشتهرت وتطورت فقد كان ما ينتج في العراق يفيض عن حاجته لدرجة أن كمية منه أرسلت من بغداد إلى القيروان لتزيين المساجد هناك سنة 228هـ/842م[1].

3. اهتم الخليفة الواثق بالله بحركة التجار والمسافرين، فقد حفر لهم الآبار وأصلح لهم الطرقات كبئر الواثق[2]، كما شجع التجارة فوصل التجار في عهده من العراق إلى باب المندب وزنجبار وجنوب أفريقية[3]، يعلق عبدالعزيز الدوري على الأوضاع التجارية في سامراء واصفاً إياها بالقول: "لقد بلغت سامراء أوجهاً من الازدهار خلال القرن الثالث الهجري حيث كانت عاصمة الدولة العباسية إلا أن عامة تجارها كانوا عراقيين..."[4].

4. قدم الخليفة الواثق بالله دعماً نقدياً للتجار من أجل تشجيعهم على تطوير تجارتهم، يقول اليعقوبي (ت284هـ/897م) "وفرق على قوم من التجار أموالاً جمة..."[5]. وعندما تعرضت الأسواق في بغداد إلى الحريق فتركها أهلها صرف لهم الخليفة مبلغ مليون درهم معونة لهم على إصلاحها[6].

---

(1) حمدان الكبيسي، مقال الصناعة، مجلة حضارة العراق، بغداد، 1986م، ج5، ص293 (سيشار إليه تالياً: الكبيسي، الصناعة)؛ انظر العلي، سامراء، ص100.

(2) صالح درادكة، طرق الحج الشامي، منشورات الجامعة الأردنية، 1992م، ص223، 249 (سيشار إليه تالياً: درادكة، طرق).

(3) خليل مطران، مرآة الأيام في ملخص التاريخ العام، دار مأمون عبود، بيروت، (د.ت)، ص240 (سيشار إليه تالياً: مطران، مرآة).

(4) عبدالعزيز الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1995م، ص160 (سيشار إليه تالياً: الدوري، تاريخ).

(5) اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص483.

(6) الأربلي، خلاصة، ص224؛ البلخي، البدء، ج6، ص120؛ الترمانيني، أحداث، ص1291؛ علي، موسوعة، ص217؛ ناجي، الدولة، ص99؛ عبدالحسين علي أحمد، بيت المال في بغداد خلال العصر العباسي الأول، 132-232هـ، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة عين شمس، القاهرة، 1989م، ص116 (سيشار إليه تالياً: عبدالحسين، بيت).

5. ومن أهم الإجراءات التي قام بها الخليفة لدعم التجار ومساعدتهم هو إلغـاء الضرائب، وقد ذكر بعض المصادر هذا العمـل بإكبـار فـأورد اليعقـوبي (ت284هـ/897م) ما نصه "وأسقط ما كان يؤخذ ممن يرد في بحر الصين من العشر"[1]. وكما ذكر الطبري (ت310هـ/922م) فـي أحـداث سـنة 232هـ/846م "أمر الواثق بترك جباية أعشار السفن"[2]، وقد كانـت هـذه الضريبة تدر على الدولة العباسية أموالاً عظيمة[3]، وهي الرسوم التي تؤخذ على أموال وعروض التجارة لأهل الحرب وأهل الذمة المارين بهـا علـى ثغور الإسلام، وقد ساعد هذا الإجراء على تيسير حركة التجارة والتموين[4]، أما الأعشار المتعلقة بالتجارة البحرية والسفن فقد كانت الضريبة التي تـرد إلى بيت المال من التجارة البحرية والتي تشير إلى اتساع التجارة بين العراق وسائر الأقطار من الصين وغيرها في ذلك الوقت[5].

6. من إجراءات الخليفة الواثق بالله لدعم حركة التجارة وتنشيط التجارة البحرية هو إنشاء ميناء على ضفاف نهر دجلة قرب سامراء حتى تدخل فيه الـسفن الواردة إليها من بغداد[6]، حيث عمل على تعميق المرسى ليـصلح لـدخول السفن من أجل تسهيل حركة الاستيراد والتصدير[7].

---

(1) اليعقوبي، تاريخ، ج4، ص483.

(2) الطبري، تاريخ، ج5، ص290.

(3) ابن الأثير، الكامل، ج5، ابـن كثيـر، البدايـة، ج9، ص308، النـويري، نهايـة، ج22، ص275؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج11، ص176؛ الدوري، تاريخ، ص138؛ كرد علـي، الإدارة، ص170.

(4) محمد ضياء الدين الريس، الخراج والنظم المالية للدولـة الإسـلامية، ط1، دار التـراث، القاهرة، 1985م، ص127، 460 (سيشار إليه تالياً: الريس، الخراج).

(5) الدوري، العصر، ص280؛ زيدان، التمدن، ج1، ص340.

(6) كي لسترانج، بلدان الخلافة الشرقية، ط1، ترجمة فرنسيس وكـوركيس عـواد، مؤسـسة الرسالة، بيروت، 1985م، ص78 (سيشار إليه تالياً: لسترانج، بلدان).

(7) عبدالحسين، بيت، ص177.

7. تصدي الخليفة الواثق بالله لحركات التمرد التي قامت فـي أنحـاء الدولـة العباسية[1] فكان ذلك من العوامل الإيجابية التي انعكس أثرها علـى حركـة التبادل التجاري بين الأقاليم وذلك لأن الأعراب كانوا قد أفـسدوا وقطعـوا الطريق في الحجاز[2].
8. ومن الأسباب التي أدت إلى ازدهار التجارة هو الهدوء الذي شهدته الحـدود الشمالية للخلافة العباسية مع الدولة البيزنطية[3]،فكان هذا السلم الذي حققـه الواثق جاء عنواناً للنشاط التجاري وتشجيعاً له، وتمكنت التجارة الإسـلامية من النمو السريع ونشطت خطوط التجارة حتى مع البيزنطيين أنفسهم في ذلك العهد[4].

2.1.2.4 الزراعة:

قامت الدولة العباسية في عهد الخليفة المعتصم وابنه الواثق ببعض الإصـلاحات الزراعية التي انعكست إيجاباً على الدولة والرعيـة، ويمكـن ذكـر أبـرز هـذه الإصلاحات والإجراءات بما يلي:

1. حفر الأنهار: فقد استغاث الناس بالخليفة الواثق بالله مـن سـكان المنـاطق الشرقية يسألوه إعانتهم على حفر نهر؛ فقد دخل عليه ابن أبـي دؤاد ومعـه ورقة مكتوبة فقال له الخليفة: "يا أبا عبدالله قد أطلقت منذ لك المال، وتـسأل هذا عقيبه؟! فقال له: إنك تسأل عن أهل فرغانة كما تسأل عن أهـل بغـداد وبحسب ذلك فينبغي أن يعم إحسانك من بعد كما يشمل من قرب فوقع بمـا التمسوه"[5].

---

(1) طقوش، تاريخ، ص152.

(2) اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص480.

(3) انظر الفصل الخامس (العلاقات في عهد العباس).

(4) عثمان، الحدود، ج1، ص16؛ صقر، السلم، ص169.

(5) الأربلي، خلاصة، ص224.

2. عمل الواثق بالله على كري الأنهار أي تنظيفها وتوسيع حوافها، ولم يكلف المزارعين أية نفقات ترتبت على ذلك، حيث تحملها بيت المال[1].
3. قام بتوفير المياه لكل المناطق حتى يقوم أهلها بزراعتها[2]، ومن أعماله في هذا السياق أن أمر الخليفة بإقامة فوارة مياه في سامراء لا ينقطع ماؤها[3].
4. الاهتمام بجر المياه وحفر الأنهار، فعندما بنيت سامراء تم جر المياه من نهر دجلة لأطرافها فكثرت المياه وأُقيمت البساتين وزرعت الثمار[4]، فاستفاد الناس في عصره من هذه الخدمات الزراعية والمائية.
5. استقدام المزارعين المحترفين في زراعة النخيل والغروس والزروع من كل بلد، وكان ذلك منذ أيام الخليفة المعتصم واستمر في عصر الواثق[5].
6. جلب الأشجار والغروس المحسنة من بغداد والبصرة والجزيرة والشام، وزكت الثمار وحسن الريحان والبقل وزرع الناس أصناف الزروع فزكا كل ما زرع فيها[6].
7. جلب الحبوب والبذور من الموصل وديار ربيعة بواسطة السفن عبر نهر دجلة إلى سامراء[7]، ويبدو أن الناس في عصره قد عرفوا أنواع جديدة من الفواكه التي تم جلبها من خوارزم إلى العراق، فكان لذلك أثر طيب في تنويع وتطوير الزراعة، ومن أنواع الفاكهة التي جلبها إلى سامراء البرتقال، البطيخ، التفاح، الليمون وأنواع أخرى[8].

---

(1) المصدر نفسه، ص244.
(2) عبدالحسين، بيت، ص3.
(3) اليعقوبي، البلدان، ص35.
(4) المصدر نفسه، ص34.
(5) اليعقوبي، البلدان، ص34.
(6) الحميري، الروض، ص301؛ Hitti, History, p.351
(7) اليعقوبي، البلدان، ص32.
(8) Hitti, History, p.351

8. التشجيع على إقامة ما يعرف في وقتنا الحاضر بالمزارع المتكاملة. بحيث يتم تربية الحيوانات والطيور فيها إلى جانب الزراعة، فقد احتوت بعض المزارع في سامراء على الظباء والحمير الوحش والأيائل والأرانب والنعام[1].
9. سعى الخليفة الواثق بالله إلى تخفيف المعاناة عن الفلاحين، فهدف إلى دعمهم من خلال أمره بتخفيف الخراج عن أهل الكرخ[2].

3.1.2.4 الصناعة:

شهدت أقاليم العراق في العصر العباسي الأول قيام نشاط صناعي خلال تلك الفترة فقد اشتهرت البصرة بصناعة الصابون والزجاج لا سيما في عهد الخليفة المعتصم بالله الذي أنشأ مصانع للورق وجلب لها الصناع من مصر، كما أقيمت صناعات أخرى في العصر العباسي الأول منها مصانع الطراز في أهم مدن فارس وكذلك تفوق العباسيون في صناعة المنسوجات في فارس والعراق واشتهرت بلاد الشام بصناعة الزجاج والخزف، وقد كانت بغداد تحوي عدد كبير من دور الصناعة وكان لكل حرفة سوق خاصة بها كسوق الحدادين والنجارين والبزازين[3].

وقد اشتهر العراق بتصدير الثياب القطنية والحريرية والمناديل والعمائم والأواني الزجاجية والخزفية والمعدنية التي كانت تصنع في بغداد أما البصرة فقد اشتهرت بصناعة الحناء وماء الورد وكانت الكوفة مركزا لصناعة الخزف والديباج والعمائم والطيب، كما كانت الموصل تشتهر بصناعة الجلود وخاصة جلود البغال والمنسوجات والعسل والجبن والسماق والحديد والسلاسل[4].

---

(1) اليعقوبي، البلدان، ص32.

(2) أحمد، بيت المال، ص56.

(3) حسن، تاريخ، ج2، ص309-310.

(4) مروان عارف الضلاعين، التجارة في بغداد في العصر العباسي الأول (145-247هـ/ 762-861م)، رسالة دكتوراة غير منشورة، الجامعة الأردنية، 2006م، ص215. (سيشار إليه تاليا: الضلاعين، التجارة).

كما أنتجت أقاليم أخرى القطن والرصاص والموازين وحجر الزجاج خاصة الجزيرة الفرائية التي اشتهرت كذلك بصناعة الصابون والزيت والأقلام وقد استمرت هذه السلع طيلة العصر العباسي الأول؛ ولما انتقلت عاصمة الدولة العباسية من بغداد إلى سامراء في عهد المعتصم بالله فإن النشاط الصناعي ظل قائما في العاصمة الجديدة يذكر اليعقوبي أن المعتصم عندما أمر ببناء سامراء جعل أسواقها على غرار أسواق بغداد حيث كتب "في أشخاص أهل المهن من الحدادين والنجارين وسائر الصناعات"[1]. وحمل من مصر من يجيد صناعة الورق وأقام لهم مصانع في سامراء لإنتاج القراطيس، كما أمر بجلب الصناع الذين يجيدون صناعة الزجاج والخزف والحصر من البصرة والكوفة وجعل لهذه الصناعات سوقا خاصا بها بحيث أنه أقطع هؤلاء الصناع وأسرهم الأرض والبيوت حتى يستقروا فيها ويبدعوا في إنتاجهم[2].

وقد تتابعت هجرة الصناع والعمال إلى سامراء لأن الإعمار تتابع في عهد الواثق بالله والمتوكل من بعده وكان انتقاء هؤلاء الصناع حرا غير مقيد وانحصر عملهم بحرفهم فلم يسهموا في الأحداث السياسية ولم يخلقوا مشاكل أمنية نظرا لازدهار الحياة الاقتصادية والمعاشية وقوة الخليفة القائمة على مكانة الخلافة المثبتة وعلى الجيش الموالي الذي لم تكن له صلة قوية بالكسبة والصناع من العناصر المدينة التي جاءت من بغداد والمناطق المجاورة لسامراء[3].

فقد كانت أسواق هؤلاء الصناع تشتمل على حوانيت لبيع السلع وإصلاح ومعالجة بعضها كما قام الخليفة الواثق بالله بزيادة الأسواق والصناعات في سامراء[4] حيث تم تصدير الفائض من بعض هذه الصناعات مثل صناعة القاشاني الذي تم تصديره إلى شمال أفريقيا[5].

---

(1) الضلاعين، التجارة، ص215.

(2) اليعقوبي، البلدان، ص29.

(3) العلي، سامراء، ص100.

(4) اليعقوبي، البلدان، ص34؛ الحميري، الروض، ص301.

(5) الكبيسي، الصناعة، ص293.

وملخص القول أن سامراء منذ تأسيسها شهدت صناعات عديدة بسبب إجراءات الواثق التي تتلخص بما يلي:

أ. منذ تخطيط المدينة أفردت أسواق للحرفيين والصناع.

ب. تم جلب أصحاب هذه الحرف والصناعات من مختلف الأقاليم.

ج. اهتم الخلفاء بتوفير سبل الراحة لهؤلاء الحرفيين حتى يبدعوا في إنتاج السلع من حيث إقطاعهم الأراضي والبيوت في أحياء خاصة بهم.

د. كان هؤلاء الحرفيين مهتمين بتطوير صناعاتهم وسلعهم في المقام الأول ولم يشتركوا بالأحداث السياسية والقلاقل التي حدثت في أيامهم.

2.2.4 الإدارة المالية:

إن من غير الممكن دراسة الأوضاع المالية في عصر الخليفة الواثق بـالله دون أن ينظر إليها في إطار السياسة العامة للعباسيين في هذا المجال، فقد ركز العباسيون منذ وصولهم إلى الحكم على إجراء تغييرات في الأسس المتبعة في جمع الضرائب والموارد المالية؛ فالخليفة أبو جعفر المنصور اهتم بإصلاح جهـاز جبايـة واردات الدولة، وذلك باختيار رجال أكفاء لهذا العمل، كما أشرف شخصياً وبـشكل مباشـر على هذا الأمر، وضبط كميات الخراج وراقب الأسعار حرصاً على مصالح النـاس وتابع من جاء بعده من الخلفاء هذه السياسة بشكل منسجم ومكمـل لـسياسته فـي العصر العباسي الأول[1].

وقد اعتمدت السياسية المالية في العصر العباسي الأول على أساس جديـد فـي جباية الخراج، فقد كانت ضريبة الخراج تؤخذ في عصر المنصور ومن سبقه نقـداً حسب المساحة للأرض زرعت أم لم تزرع[2]، ودون النظر إلى حالة المحصول أو طرق زراعته أو غير ذلك من الاعتبارات، ومنذ عصر الخليفة المهـدي اسـتحدث

(1) مصطفى، دولة، ص580-583؛ الشواورة، سياسة، ص97.

(2) يعقوب بن إبراهيم أبو يوسف (ت182هـ/897م)، كتاب الخراج، المطبعة السلفية، القاهرة 1936، ص38 (سيشار إليه تالياً: أبو يوسف، الخراج)؛ الشواورة، سياسة، ص98.

نظام جديد في جباية الخراج يقوم على نظام المقاسمة[1]، وذلك لأن نظام المساحة كان مجحفاً بحقوق الناس[2]، خصوصاً عندما تنقص الأسعار ولم تعد الغلال تفي بخراجها[3]، فقام الخليفة المهدي بتعديل نظام الخراج على المساحة واستبدله بنظام المقاسمة باقتراح من وزيره أبي عبدالله معاوية[4]، ولكن هذا التعديل لم يشمل النخل والشجر والكروم، إذ بقي على خراج المساحة وروعي في تقدير ضريبته قربه من الأسواق[5]، وذلك لأنه أدرك الآثار المدمرة التي يقاسي منها أهل الخراج[6].

وهي آثار نجمت عن انخفاض أسعار الغلال التي تنتجها الأرض الخراجية، وخاصة أنهم كانوا يطالبون بمبالغ ثقيلة، ولذلك قدم الوزير للخليفة المهدي تقريراً عن أوضاع المزارعين، فإذا غلت الأسعار حصل الجور على المزارعين وإذا رخصت الأسعار عاد الضرر على المزارعين من نقص المال وسوء المعاملة، وبقي هذا الإجراء معمولاً به طيلة العصر العباسي الأول[7]، وبالتالي طبق نظام المقاسمة وفق اعتبارات بما يتناسب مع الجهد المبذول في الري ونوعية المنتوجات الزراعية والنفقات التي تلزم لإنتاج كل صنف من الأصناف وقرب الأرض أو بعدها عن

---

(1) القاضي أبو يعلى الفراء، الأحكام السلطانية، تحقيق محمد عبدالقادر فارس، مؤسسة الرسالة، بيروت 1980، ص185 (سيشار إليه تالياً: أبو يعلى، الأحكام).

(2) أبو عبدالله محمد بن عبدوس الجهشياري (ت331هـ/942م)، الوزراء والكتاب، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، ط2، مكتبة إلياس، القاهرة،

(3) الصابي، الوزراء، ص368.

(4) هو أبو عبيدالله معاوية بن يسار الأشعري، وزير الخليفة المهدي (158-163هـ)، كان بارعاً في الوزارة والإدارة، للمزيد انظر، أبو علي المحسن بن علي التنوخي (ت384هـ/994م)، الفرج بعد الشدة، تحقيق عبود الشالجي، دار صادر، بيروت، 1978م، ج2، ص344.

(5) الدوري، العصر، ص265.

(6) خليل السامرائي، تطور ملكية الأرض في العصور العباسية، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإنسانية، مؤسسة آل البيت، عمان، 1986م، ج2، ص495 (سيشار إليه تالياً: السامرائي، تطور).

(7) المرجع نفسه، ص495.

الأسواق ومدى صعوبة الأرض، فأشار بان تجعل أرض الخراج مقاسمة بالنصف إن سقيت سيحاً والثلث إن سقيت أرضها بالدواليب[1].

وظل هذا التقليد متبعاً حتى عهد الخليفة العباسي الواثق بالله كمصدر دخل لبيت المال، وعند الحديث عن موارد الدولة في عهده ينبغي معرفة قيمة ما تركه والده المعتصم بالله في بيت المال لتكوين صورة عن الوضع المالي في عصر الواثق بالله، يشير الرشيد بن الزبير إلى أن المعتصم خلف من الأموال "ثمانية آلاف ألف دينار وثمانية آلاف ألف درهم"[2] وهي تعادل مئة وثمان وعشرون مليون درهم[3]، وترك من الخيل ثمانين ألف فرس ومن الجمال والبغال مثل ذلك، ومن المماليك ثمانية آلاف مملوك وثمانية آلاف جارية وثمانية قصور[4] أما في عصر الخليفة الواثق بالله فلم يحدث تغييراً يذكر في السياسة المالية[5]، يذكر احد الباحثين أن الواثق لم يبتدعا شيئاً يتعلق بالأمور المالية، فلم يترك المنصور والرشيد أمراً في الإصلاح الاقتصادي والمالي إلا عالجاه[6].

وقد عانت الدولة في عهد الواثق من تسلط بعض رجال الإدارة وجمع الأموال كثيرة في عهده[7]، ومنهم أحمد بن الخطيب كاتب أشناس الذي حاز أموالاً عظيمة،

---

(1) حسام الدين السامرائي، مجالات الضرائب على الأرض والإنتاج الزراعي، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، مؤسسة آل البيت، عمان 1990، ج3، ص85 (سيشار إليه تالياً: السامرائي، مجالات).

(2) القاضي الرشيد بن الزبير (ت ق5هـ/12م)، كتاب الذخائر والتحف، ط1، تحقيق محمد حميد الله، الكويت 1984م، ص213 (سيشار إليه تالياً: ابن الزبير: الذخائر).

(3) الزهراني، النفقات، ص83.

(4) اليافعي، مرآة، ج2، ص71؛ الذهبي، العبر،/ ج1، ص315؛ صالح أحمد العلي، الخراج في العراق في العهود الإسلامية الأولى، ط1، المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1990م، ص339 (سيشار إليه تالياً: العلي، الخراج).

(5) خليل إبراهيم السامرائي، الإدارة المالية في الإسلام، منشورات مؤسسة آل البيت، عمان 1989، ج2، ص501 (سيشار إليه تالياً: السامرائي، الإدارة).

(6) الزهراني، النفقات، ص35.

(7) انظر سابقاً (نكبة الكتاب).

فسخط عليه الواثق وصادر أمواله وأموال أخيه[1]. ويبدو أن هذه المصادرات المالية كانت من وسائل دعم بيت المال في العصر العباسي الأول، حيث بدأت الأمور المالية تزداد خطورة بسبب انعدام الثقة فيمن يدبر زمام الحكم من الكتاب والأعوان، حيث كان همهم الوحيد ابتزاز أموال الجباية وأصبحت بمرور الأيام سنة يلجأ إليها الوزراء والخلفاء فانتشرت الرشوة وضاعت الحقوق وانتشرت الاضطرابات في الدولة[2]، وأصبحت المصادرات المالية وسيلة إرهاب وتخويف لمن تسول له نفسه اختلاس أموال الدولة[3].

قام الخليفة الواثق ببعض الإجراءات المالية التي دعمت اقتصاد الدولة في عهده، حيث قام بسك النقود أكثر من مرة فكان له طرازان من النقد الأول ضربه سنة 228هـ/842م، وعام 231هـ/845م، كما أمر بسك طراز نقدي آخر سنة 229هـ/843م، وآخر سنة 232هـ/846م[4]، حيث أصبحت الدراهم التي سكها الخليفة الواثق بالله مطابقة للوزن الشرعي للدرهم الإسلامي وهي ما بين 2.9 إلى 3 غرامات[5]، وكان حاصل بيت المال في أواخر أيام الخليفة الواثق بالله خمسة آلاف آلف دينار، ومن الدراهم خمسة عشر ألف ألف درهم[6].

ليكون المجموع تسعين مليون درهم[7]، معنى ذلك أن بيت المال في عهد الواثق شهد عجزاً مالياً بلغ ثمان وثلاثون مليون درهم، ولعل هذا يعلل قيام الخليفة الواثق بالله بمصادرة الكتاب الذين يبدو أنهم اختلسوا أموال الدولة، كما أن قيام الخليفة بإلغاء ضريبة أعشار السفن قد قللت من إيرادات بيت المال. وقد أورد ابن خرداذبة

---

(1) اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص481.

(2) الزهراني، النفقات، ص35؛ اليوزبكي، الوزارة، ص141.

(3) الزهراني، النفقات، ص35.

(4) خلود يحيى ملكاوي، الدراهم العباسية المضروبة في سر من رأى، رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة الأردنية 1990م، ص19 (سيشار إليه تالياً:ملكاوي، الدراهم).

(5) ملكاوي، الدراهم، ص34؛ الحياري، الدواوين، ص79.

(6) ابن الزبير، الذخائر، ص268.

(7) المصدر نفسه، ص268.

قائمة للخراج تعود إلى سنة 232هـ/846م أي أواخر عهد الخليفة الواثق بـالله[1]، والتي بلغت قيمتها بالدرهم 840، 855، 334[2].

وقد وردت قائمة الخراج مفصلة على النحو التالي:

أسماء الأقاليم	مقدار الجباية بالأموال	نوع العملة
السواد	108.679.840	درهم
مدينة السلام	130.000	درهم
المستغلات ببغداد	1.500.000	درهم
الأهواز	30.000.000	درهم
فارس	33.000.000	درهم
شهرزور والصامغان	3.750.000	درهم
ماسبذان ومهرجان	3.500.000	درهم
الدينور	3.800.000	درهم
أصبهان	7.000.000	درهم
قم	2.000.000	درهم
خرسان نواحيها	600.000+44.846.000 درهم أموال أخرى	درهم
أذربيجان	2.000.000	درهم
قزوين	1.200.000	درهم
ديار مضر	5.600.000	درهم
الموصل	4.000.000	درهم
ديار ربيعة	7.700.000	درهم
السند	1.000.000	درهم
أرمينية	4.000.000	درهم
المجموع العام	**263.305.840**	**درهم**
قنسرين	400.000	دينار
حمص	340.000	دينار
دمشق	400.000	دينار
الأردن	350.000	دينار
فلسطين	500.000	دينار
مصر	2.180.000	دينار
اليمن	600.000	دينار
المجموع	**4.770.000**	**دينار**

---

(1) عبدالله بن خرداذبة (ت300هـ/912م)، المسالك والممالك ويليه نبذ من كتاب الخراج لقدامة بـن جعفر، تحقيق دي خويه، ليدن 1967م، ص7-9 (سيشار إليه تالياً: ابن خرداذبه، المسالك).

(2) الريس، الخراج، ص504.

ليكون المجموع العام (334.855.840) درهم[1]. بعد تحويل الدنانير إلى دراهم بسعر الصرف الذي ذكره قدامة بن جعفر[2].

لم تشر المصادر إلى أن عمال الخراج كانوا قد استخدموا وسائل التعذيب أو القسوة عند جمع الخراج على غرار ما كانوا يقومون به إبان عهد أبي جعفر المنصور[3]، كما أن الخليفة الواثق بالله لم يقم بأي إجراء لاستحداث ضرائب جديدة، بل على العكس من ذلك، ألغى بعض الضرائب كأعشار السفن، أما النفقات في عهد الخليفة الواثق بالله فقد كانت على نوعين: النفقات العامة وهي التي صرفها على المشاريع العامة، وعلى موظفي الدولة كالرواتب، إضافة إلى المشاريع العمرانية وغيرها والمعلومات عنها قليلة، غير أننا يمكن أن نتلمس أبرز قنوات الإنفاق العام فقد وصف الخليفة الواثق بأنه كان من الخلفاء العباسيين الذين أسرفوا في الإنفاق[4]، فقد أمر قاضيه ابن أبي دؤاد بتنفيذ مضمون توقيعه القاضي بإخراج نصف مليون درهم، وإنفاقها على عامة الناس[5]، ومن مظاهر إنفاقه على المشاريع العامة أنه عندما احترقت الكرخ في عهده عجز أهلها عن عمارة أملاكهم ورحلوا عنها، ففرق عليهم مليون درهم من أجل إصلاحها[6]، كما ساعد أهل فرغانة بالأموال من أجل إصلاح أحد الأنهار التي أضرتهم جراء اندثارها[7].

---

(1) انظر ابن خرداذبة، المسالك، ص7، 8، 9.

(2) ضيف الله يحيى الزهراني، موارد بيت المال في العراق خلال العصر العباسي الأول، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك عبدالعزيز، السعودية، 1981م، ص185.

(3) الجهشياري، الوزراء، ص143.

(4) زيدان، التمدن، ج1، ص385.

(5) الأزدي، أخبار، ج2، ص356.

(6) خفاجي، تطور، ص258؛ ريجارد كوك، بغداد مدينة السلام، ط1، ترجمة فؤاد جميل، منشورات جامعة بغداد، 1962م، ص66 (سيشار إليه تالياً: كوك، بغداد).

(7) السامرائي، تأريخ، ص98-99؛ غثيان بن علي بن جريس، بحوث في التاريخ والحضارة الإسلامية، ط1، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1993، ص112 (سيشار إليه تالياً: غثيان، بحوث).

كما اهتم بالعلويين وأهل الحرمين وأكثر فيهم العطاء والإحسان إليهم، حيث فرق فيهم أموالاً لا تحصى حتى انقطع السائل منهم[1]، وأنفق على القادة والعسكر أموالاً كثيرة، حيث يذكر الطبري (ت310هـ/922م)، أنه عندما هزم وصيف الأكراد في أصبهان وفارس أمر له بخمس وسبعين ألف دينار[2]، وقد فرق أموالاً عظيمة على أهل بغداد وسامراء والكوفة والبصرة والمدينة، حتى وصل الأمر إلى خلو هذه المناطق من الفقراء [3]، وقد اهتم بحركة الترجمة وأنفق عليها أموالاً كثيرة[4].

أما بالنسبة لرواتب الموظفين والعمال في عصره، فقد أهملتها المصادر ولم تعط عنها أي معلومات وقد أفادت إحدى الدراسات إلى عدم العثور على معلومات عن الأجور والرواتب في عهد الواثق بالله علماً بان رواتب الجند في عام 203هـ/818م كانت بمقدار خمسين درهماً شهرياً للجندي وبلغت في عام 251هـ/865م ستة دنانير شهرياً؛ أي ما يعادل خمسة وسبعين درهما وفق إحدى الدراسات الحديثة[5]، أما مقدار ما أنفقه الواثق لا تتوفر عنه معلومات في المصادر[6].

أما النفقات الخاصة فهي التي صرفها الخليفة الواثق بالله على قصره والمقربين إليه، ولم تسعفنا المصادر بمعلومات عن نفقات قصر الخليفة وأهله إلا ما ورد عن أن جاري أولاده بلغ ما جملته خمسمائة دينار شهرياً[7].

أما الهبات والهدايا على الشعراء والعلماء والمغنين فيوضحها الجدول رقم (7).

---

(1) عبدالحسين، بيت، ص233.

(2) الطبري، تاريخ، ج5، ص284.

(3) عبدالحسين، بيت، ص284.

(4) الضمور، التربية، ص325.

(5) دريد عبدالقادر نوري، الأجور والرواتب في العصر العباسي الأول، مجلة المؤرخ العربي، بغداد 1987، عدد32، ص51 (سيشار إليها تالياً: نوري، الأجور).

(6) الزهراني، النفقات، ص105، 187.

(7) الصابي، الوزراء، ص25؛ الدوري، تاريخ، ص289.

جدول (4)

أسماء ولاة الأقاليم في عهد الواثق بالله

الرقم	اسم الوالي	الإقليم	عصر الخليفة	معلومات
1	إسحاق بن إبراهيم	العراق	الواثق بالله	توفي الخليفة سنة 232هـ/846م وهو والي العراق[1].
2	خالد بن يزيد الشيباني	أرمينية	الواثق بالله	ولاه الواثق 231هـ/845م ولكنه مات بنفس السنة[2].
3	محمد بن خالد الشيباني	أرمينية	الواثق بالله	تولى بعد وفاة أبيه وبقي والياً حتى عهد المتوكل[3].
4	شاربامیان	اليمن	الواثق بالله	كان يتبع لقائد إيتاخ التركي[4].
5	جعفر بن دينار	اليمن	الواثق بالله	عينه الخليفة والياً نة 231هـ/845م[5].
6	إسحق بن إبراهيم	اليمامة والبحرين	الواثق بالله	ولاه الوزير محمد بن الزيات 231هـ/845م[6].
7	علي بن يحيى الأرمني	مصر	الواثق بالله	أمره الواثق على مصر ثم عزله 228هـ/842م[7].

---

(1) ابن العمراني، الأنباء، ص114؛ مسكويه، تجارب، ج4، ص93؛ ابن كثير، البداية، ج9، ص304.

(2) الطبري، تاريخ، ج5، ص284؛ عبدالباقي، سامراء، ص68؛ مصطفى، موسوعة، ج1، ص274.

(3) فتحي، عثمان، الحدود الإسلامية البيزنطية، ط1، دار الكاتب العربي، القاهرة، (د.ت)، ص215 (سيشار إليه تالياً: عثمان، الحدود)، الترمانيني، أحداث، ص1286.

(4) الطبري، تاريخ، ج5، ص276؛ ابن خلدون، العبر، ص750.

(5) الطبري، تاريخ، ج5، ص284؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج2، ص315؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج11، ص164.

(6) ياقوت الحموي، معجم، ج3، ص199؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج11، ص164؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج2، ص315.

(7) محمد بن يوسف الكندي (ت353هـ/964م)، ولاة مصر، ط1، تحقيق حسين نصار، دار صادر، بيروت (د.ت)، ص220 (سيشار إليه تالياً: الكندي، ولاة)؛ القلقشندي، مآثر، ج1، ص227؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج2، ص306.

الرقم	اسم الوالي	الإقليم	عصر الخليفة	معلومات
8	عيسى بن منصور	مصر		عينه الواثق سنة 232هـ/846م وبقي حتى عهد المتوكل[1].
9	محمد بن إبراهيم بن مصعب	فارس	الواثق بالله	ولاه الواثق سنة 232هـ/846م[2].
10	عبدالله بن طاهر بن الحسين	خراسان وما والاها	الواثق بالله	كان الوالي قبل عصر الواثق وأقره عليها حتى سنة 230هـ[3].
11	طاهر بن عبدالله بن طاهر	خراسان وما والاها	الواثق بالله	ولاه الواثق بعد وفاة أبيه سنة 230هـ/844م[4].
12	محمد بن صالح العباسي	المدينة المنورة	الواثق بالله	من أفراد البيت العباسي، تولى حتى سنة 229هـ/843م، ثم عزل[5].
13	عبدالله بن أحمد بن داوود	المدينة المنورة	الواثق بالله	عينه الخليفة والياً سنة 231هـ/845م[6].
14	محمد بن داود بن عيسى	مكة المكرمة	الواثق بالله	عينه الخليفة وضم إلى ولايته المدينة المنورة[7].

(1) محمد بن يوسف الكندي (ت353هـ/964م)، كتاب الولاة والقضاة، ط1، تحقيق محمد إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م، ص221 (سيشار إليه تالياً: الكندي، الولاة)؛ القضاعي، عيون، ص450؛ جلال الدين السيوطي (ت911هـ/1505م)، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1976م، ج1، ص594 (سيشار إليه تالياً: السيوطي، حسن)؛ النويري، نهاية، ج22، ص275؛ زامباور، معجم، ص41؛ محمد بن أحمد بن إياس الحنفي (ت930هـ/1523م)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ط1، تحقيق محمد مصطفى، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1982م، ج1، ص152 (سيشار إليه تالياً: ابن إياس، بدائع)، مصطفى، موسوعة، ص251.

(2) الطبري، تاريخ، ج5، ص290؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج11، ص176؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج2، ص319.

(3) اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص480؛ المسعودي، مروج، ج4، ص77؛ اليافعي، مرآة، ج2، ص74.

(4) اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص480؛ مسكوية، تجارب، ج4، ص93؛ الذهبي، دول، ج1، ص107؛ The Cambridge Encyclopidia of the middle east, London, 1992, p.45; Albert Hourani, A history of the Arab, British Library, London, 1991, p.60.

(5) ابن خلدون، العبر، ص750؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج2، ص311؛ مصطفى، موسوعة، ج1، ص247.

(6) الطبري، تاريخ، ج5، ص280.

(7) ابن خلدون، العبر، ص750؛ القلقشندي، مآثر، ج1، ص227؛ زامباور، معجم، ص29.

الرقم	اسم الوالي	الإقليم	عصر الخليفة	معلومات
15	إسحاق بن يحيى الختلي	دمشق	الواثق بالله	كان والياً على دمشق من قبل أشناس[1].
16	عبدالرحمن بن حبيب القرشي	دمشق	الواثق بالله	عينه أشناس والياً عليها بعد عزل إسحاق[2].
17	عبدالرحمن بن حبيب القرشي	دمشق	الواثق بالله	جمع له الخليفة دمشق والأردن في ولاية واحدة[3].
18	أبو المغيث الرافقي	دمشق	الواثق بالله	عزله الخليفة عندما ثار عليه أهل دمشق وهزموه[4].
19	رجاء بن أيوب الحضاري	دمشق	الواثق بالله	عينه الواثق على دمشق حتى سنة 232هـ/846م[5].
20	عجيف بن عنبسه	البصرة	الواثق بالله	كان ذو كفاءة عالية، ولي على البصرة 219-232هـ/846م[6].
21	أبو عيسى محمد بن المنصور العباسي	الكوفة	الواثق بالله	بقي والياً على الكوفة من 204-233هـ/847م[7].
22	غانم بن حميد الطوسي	الموصل وربيعة	الواثق بالله	عين والياً على الموصل منذ 224-235هـ/849م[8].
23	أبو سعيد محمد بن يوسف	ديار ربيعة وحلب	الواثق بالله	تم فصل ولاية الموصل عن ديار ربيعة في ولايته[9].
24	أحمد بن سعيد الباهلي	الثغور والعواصم	الواثق بالله	جمعت له ولاية الثغور والعواصم وحلب[10].
25	محمد بن عبدربه بن جبله	برقة	الواثق بالله	عينه المعتصم والياً عليها ثم أمره الواثق على ولايته[11].
26	عنبسه بن إسحاق الطبي	السن	الواثق بالله	عين عليها من قبل القائد التركي[12].

(1) مصطفى، موسوعة، ج1، ص255؛ جميل محمود بني سلامة، دمشق في العصر العباسي خـلال الفترة 232-264هـ/749-877م، رسالة دكتوراة غير منشورة، الجامعـة الأردنيـة، 2003م، ص127. سيشار إليه تالياً: (بني سلامه، دمشق)؛ مصطفى، موسوعة، ج1، ص255.

(2) بني سلامة، دمشق، ص227؛ مصطفى، موسوعة، ج1، ص255.

(3) بني سلامة، دمشق، ص127.

(4) الذهبي، العبر، ج1، ص312.

(5) زامباور، معجم، ص43.

(6) صلاح عبدالهادي، البصرة في العصر العباسي الأول، موسوعة البـصرة الحـضارية، جامعـة البصرة، 1989، ص57-71. (سيشار إليه تالياً: عبدالهادي، البصرة).

(7) مصطفى، موسوعة، ج1، ص268.

(8) سعيد الديوه جي، تاريخ الموصل، منشورات المجمع العلمـي العراقـي، بغـداد، 1982، ص84. (سيشار إليه تالياً: الجيوه جي، تاريخ).

(9) اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص483.

(10) الطبري، تاريخ، ج5، ص285؛ مصطفى، موسوعة، ج1، ص259؛ زامباور، معجم، ص249.

(11) اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص480.

(12) المصدر نفسه، ج2، ص479.

جدول (5)

أسماء القضاة في عهد الواثق بالله

اسم القاضي	المكان	التخصص	أصله ووفاته ونسبه	عهد الخليفة
الحارث بن مسكين	مصر	فقيه ومحدث	عربي (ت250هـ)	الواثق بالله(1)
عبدالله الخليجي	بغداد الشرقية	فقيه	عربي (ت253هـ)	الواثق بالله(2)
محمد بن الحارث بن أبي الليث	مصر	فقيه	عربي (ت241هـ)	الواثق بالله(3)
الجهم بن بدر السامي	بغداد	-	عربي	الواثق بالله(4)
شعيب بن سهل	بغداد	-	عربي	الواثق بالله(5)
عبد الرحمن بن إسحاق	بغداد الغربية	-	عربي	الواثق بالله(6)
الحسن بن علي بن الجعد	بغداد	-	مولى أم سلمة المخزومية(7). توفي سنة 242هـ	الواثق بالله(8).
أبو حسان الزيادي	بغداد الغربية	فقيه	عربي	الواثق بالله(9)
عبيد الله بن غالب	بغداد الشرقية	فقيه	مولى الربيع الحاجب	الواثق بالله(10)
عبدالصمد بن رزق الله	الأهواز	فقيه	عربي	الواثق بالله(11)
علي بن الحسن بن الأشقر	الأهواز	-	عربي	الواثق بالله(12)

(1) الذهبي، سير، ج12، ص54-58؛ الكندي، الولاة، ص334.

(2) السبكي، طبقات الحنفية، ج1، ص290؛ الخطيب البغدادي، تـاريخ، ج10، ص13؛ ابـن تغري بردي، النجوم، ج2، ص311.

(3) الكندي، الولاة، ص321؛ طبقات الحنفية، ج1، ص38.

(4) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج7، ص240.

(5) اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص479؛ الخطيب البغدادي، تاريخ، ج10، ص73.

(6) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج10، ص73.

(7) وكيع، أخبار، ج3، ص283.

(8) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج7، ص364.

(9) المصدر نفسه، ج7ن ص364.

(10) المصدر نفسه، ج10، ص318، ج13، ص153.

(11) وكيع، أخبار، ج3، ص320.

(12) المصدر نفسه، ج3، ص320.

اسم القاضي	المكان	التخصص	أصله ووفاته ونسبه	عهد الخليفة
أحمد بن يعقوب	المدينة	من حملة العلم	عربي (ت236هـ)	الواثق بالله[1]
عبدالرحمن بن زيد المخزومي	مكة	قليل العلم	عربي (236هـ)	الواثق بالله[2]
أحمد بن رباح	البصرة	-	عربي	الواثق بالله[3]
غسان المروزي المولى	الكوفة	-	مولى	الواثق بالله[4]

(1) وكيع، أخبار، ج1، ص260.

(2) المصجر نفسه، ج1، ص268-269.

(3) عن مكانة الكتاب، انظر الجهشياري، الوزراء، ص74-75.

(4) المصدر نفسه، ص197.

جدول (6)

المصادرات

الرقم	اسم الموظف	قيمة الأموال المصادرة	عقوبة أخرى
1	أحمد بن إسرائيل	80.000 دينار	أمر بضربه كل يوم عشرة أسواط[1].
2	سليمان بن وهب كاتب إيتاخ	400.000 دينار[2]	
3	الحسن بن وهب	14.000 دينار[3]	
4	أحمد بن الخصيب	1000.000 دينار[4]	
5	إبراهيم بن رباح	100.000 دينار[5]	
6	نجاح	60.000 دينار[6]	
7	أبو الوزير صلح	140.000 دينار[7]	

(1) الطبري، تاريخ، ج5، ص275؛ مسكوبة، تجارب، ج4، ص91-92.

(2) الطبري، تاريخ، ج5، ص275؛ ابن الأثير، الكامل، ج5، ص269-270.

(3) الطبري، تاريخ، ج5، ص275؛ النويري، نهاية، ج22، ص263.

(4) الطبري، تاريخ، ج5، ص275؛ شلبي، التاريخ، ج3، ص201؛ الترمانيني، أحداث، ص1296.

(5) اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص481.الطبري، تاريخ، ج5، ص275.

(6) الطبري، تاريخ، ج5، ص275؛ ابن خلدون، العبر، ص750.

(7) الطبري، تاريخ، ج5، ص275.

جدول (7)

النفقات الخاص

الرقم	الاسم	الصفة	مقدار العطاء
1	أبو عثمان المازني	شاعر ونحوي	خمسمائة دينار[1].
2	غير معروف	حافظ للشعر	يحفظ مئة قافية لمئة شاعر مشهور، فأمر له الواثق بمئة ألف دينار[2].
3	قلم الصالحية	مغنية جميلة	عشرة آلاف دينار[3].
4	الحسين بن الضحاك	شاعر ومغني	خمسين ألاف درهم[4].
5	إسحاق بن إبراهيم	مغني الخليفة	أربعمائة ألف درهم[5].
6	محمد بن إبراهيم	مغني	مئة ألف درهم[6].
7	أبو تمام حبيب بن أوس	شاعر	خمسمائة ألف درهم[7].
8	عمارة بن عقيل	شاعر ونحوي	ثلاثين ألف درهم[8].
9	أبو ملجم	شاعر ولغوي	مئة ألف درهم[9].
10	أبو دلف العجلي	أديب وشاعر ومغني	عشرين ألف دينار[10].
11	فريدة	مغنية الخليفة	أهداها عقد جوهر وعشرة آلاف درهم[11].

(1) الريس، الخراج، ص460.

(2) السيوطي، تاريخ، ص343.

(3) الأصفهاني، الأغاني، ج13، ص348.

(4) المصدر نفسه، ج7، ص143، 156.

(5) ابن العمراني، الأنباء، ص112؛ الأصفهاني، الأغاني، ج9، ص277.

(6) الأصفهاني، الأغاني، ج9، ص271.

(7) الأصفهاني، الأغاني، ج7، ص156؛ الزهراني، النفقات، ص239.

(8) الزهراني، النفقات، ص239.

(9) السيوطي، تاريخ، ص343.

(10) النويري، نهاية، ج22، ص226.

(11) المصدر نفسه، ج22، ص274.

الفصل الخامس

العلاقة بين العباسيين والبيزنطيين

1.5 تمهيد:

لقد كانت الحدود المشتركة بين أراضي الدولة الإسلامية, والدولة البيزنطية منـذ عصر الخلفاء الراشدين عاملاً هاماً في تأجيج الحروب والصراعات بين الطـرفين، إضافة إلى الخلافات العقائدية بين الدولتين. فالمسلمون يدفعهم الجهاد في سـبيل الله إلى غزو الدولة البيزنطية في عقر دارها بعدما اندحرت من بلاد الشام ومصر منذ صدر الإسلام، وهذا ما أغضب الدولة البيزنطية وأجج الصراع بين الطـرفين ثـم حاول المسلمون فتح القسطنطينية في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه[1].

وقد استمر الصراع بين المسلمين والدولة البيزنطية في عصر بني أميه، حيـث جهز الخليفة معاوية بن أبي سفيان (41-60هـ/661-680م) جيشاً كبيـراً لفـتح القسطنطينية سنة 48هـ/668م من البر والبحر فانطلق الجيش حتى وصل المدينـة وجرت معركة حامية بين الطرفين لم يتمكن الجيش الأمـوي مـن فتحهـا لمتانـة أسوارها ومنعة موقعها وفتك النار الإغريقية بسفن المسلمين[2]، وفتح الخليفة معاوية حصون سمسياط ومرعش والحدث، وأعاد تحصين حصن زبطـرة[3]. ثـم حـاول المسلمون فتح القسطنطينية مرة ثانية في العصر الأموي في عهد الخليفة عبـدالملك بن مروان (65-86هـ/685-705م) سنة 81هـ/700م ولكنهم فشلوا، ثم عـادت

---

(1) الطبري، تاريخ، ج4، ص329؛ عبدالوهاب النجار، الخلفاء الراشـدون، ط1، دار الكتـب العلمية، بيروت (د.ت)، ص81-97، 191 -204 (يشار إليه تالياً: النجار، الخلفاء).

(2) الطبري، تاريخ، ج5، ص232؛ سعيد عبدالفتاح عاشور، أوروبا العصور الوسطى، ط10، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة 1986، ص147 (سيشار إليه تالياً: عاشور، أوروبا) عرف النار الإغريقية بأنها مركبات تشتعل عندما تصيب الهدف.

(3) البلاذري، فتوح، ص160.

الغزوات الإسلامية إلى بلاد الروم وتم فتح قيسارية[1] وقليقية، وفي سنة 84هـ/700م فتح المسلمون المصيصة، أما الخليفة الأموي سليمان بن عبدالملك (96-99هـ/715-717م) فقد جهز جيش بقيادة أخاه مسلمة بن عبدالملك وأرسله لفتح القسطنطينية وأمره أن يقيم على المدنية حتى يفتحها فحاصرها مدة طويلة دون أن يتمكن من فتحها وبسبب البرد الشديد عاد الجيش الإسلامي[2]، ولم تنقطع الغزوات الإسلامية على الجبهة البيزنطية فالطبري (ت310هـ/922م) يطالعنا في تاريخه في أحداث السنوات من 81هـ إلى 98هـ/716م بأخبار غزو أرض الروم"[3].

وفي سنة 122هـ حاول المسلمون فتح القسطنطينية في عهد الخليفة هشام بن عبدالملك (105-125هـ/724-743م) فوصل الجيش عمورية وخاض فيها معركة أخفق فيها الجيش الأموي الذي لم يستطع إكمال مسيره إلى بيزنطة[4].

فشل الأمويون بفتح القسطنطينية، بل صمدت الدولة البيزنطية وأصبحت درعاً يحمي أوروبا من خطر الفتح الإسلامي[5].

---

(1) قيسارية: بالفتح ثم السكون مدينة عظيمة في بلاد الروم. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص421.

(2) الطبري، تاريخ، ج6، ص331؛ انظر محمد الخضري بك، الدولة الأموية، دار المعرفة، بيروت 2001، ص314 (سيشار إليه تالياً: الخضري، الدولة).

(3) الطبري، تاريخ، ج4، ص11، 21، 26.

(4) Finlay, History of the Byzantine Empire, London, 1981, p.20.

(5) عاشور، أوروبا، ص149.

1.1.5 العلاقة بين العباسيين والبيزنطيين قبل الواثق بالله (132-226هـ/749-840م):

أما في العصر العباسي فقد بقيت الغزوات مستمرة على الجبهة البيزنطية ولكن حدث ما يمكن تسميته تحولاً في النظرة إلى الصراع مع الدولة البيزنطية، فالأمويون فكروا فعلياً بفتح العاصمة البيزنطية ووصلوا مشارفها، أما في العصر العباسي فقد اختلف الأمر كما سيوضح لاحقاً.

فتنطلق بعض الدراسات الحديثة عند تناول العلاقات الحربية بين الدولة العباسية والدولة البيزنطية من أن الحروب التي قامت بين الطرفين كانت بصفة عامه غزوات للتخريب والسلب والسبي لإرهاب كل دولة للأخرى[1] حيث أصبح النشاط الحربي العباسي على هذه الجبهة مجرد غارات الغرض منها إظهار القوة وتخويف العدو والرد على ما قد يقوم به من نشاط مماثل[2] وقد كانت الدولة البيزنطية هي المبادرة بالهجوم على أطراف الدولة العباسية[3]، وهذا يختلف عما كان عليه الحال في عصر الدولة الأموية التي كانت لها سياسة مرسومة لمحاربة الدولة البيزنطية ابتغاء فتح القسطنطينية، والسبب في ذلك يرجع إلى أن أهالي بلاد الشام كانوا مناوئين للعباسيين وبقوا على ولائهم لبني أمية فلم يشاركوا في الفتوحات على الجبهة البيزنطية؛ كما أن العباسيين لم يهتموا بإنشاء أسطول بحري قوي في البحر المتوسط واعتمدوا على الجيوش البرية دون البحرية[4].

كما أن الدولة العباسية كانت قد اتسعت اتساعاً عظيماً يستلزم جهداً كبيراً للسيطرة عليها وتأمين حدودها ثم أن العباسيين رأوا أنهم فقدوا الأندلس وأن بلاد شمال إفريقيا تثير التمرد عليهم بين الحين والآخر، فرأوا أن من الخير أن يتجهوا إلى السيطرة على ما في أيديهم والمحافظة على إمبراطوريتهم، بدل أن يوجهوا قوتهم إلى التوسع فتضعف شوكتهم في الداخل ويعرضهم ذلك إلى فقدان أجزاء

---

(1) فوزي، الخلافة، ج1، ص178.

(2) شلبي، التاريخ، ج3، ص256

(3) انظر الجدول رقم (8).

(4) شلبي، التاريخ، ج3، ص257.

أخرى من الإمبراطورية، هذا إلى كثرة الحركات الداخلية التي شغلت العباسيين في عصرهم الزاهر الذي كان يمكن أن يكون عصر فتوح[1] وقد كانت الحروب علـى الجبهة البيزنطية تسخن وتبرد تبعاً للظروف المتعلقة في الدولتين[2].

ويلاحظ أن الهجمات البيزنطية على حدود الدولـة العباسـية هـي اسـتغلال للظروف الداخلية في الدولة العباسية التي كانت مشغولة في بداية أمرهـا بتوطيـد أركانها وقمع المتمردين[3].

في سنة 133هـ/750م قام البيزنطيون بمهاجمة الحدود الإسـلامية وهـدموا الحصون والثغور[4] وسبب هذا الهجوم هو أن الضغط الإسلامي على أراضي الدولة البيزنطية في العصر الأموي، كان قوياً وشديداً بسبب قرب بلاد الشام، ولكن اتجـاه العباسيين نحو العراق ونقلهم العاصمة من الشام إلى العراق جعلهم أكثر بعداً عـن الدولة البيزنطية وأراضيها مما أدى إلى ضعف الضغط الإسلامي على الحدود بـين الدولتين[5]، إضافة إلى انشغال العباسيين بتثبيت أركان دولتهم في هذه الأوقات.

كما عاود البيزنطيون الهجوم على الثغور الإسلامية في عهد المنصور (136-158هـ/753-774م)، وفي مطلع سنة 138هـ/755م. يذكر الطبـري: "دخـول قسطنطين طاغية الروم ملطية[6] عنوة وقهراً لأهلها وهدمه سورها"[7].

تنبهت الدولة العباسية للخطر على الجبهة البيزنطية وقامت بغزوات متتالية على الجبهة البيزنطية وكثيراً ما عرفت باسم الصوائف والشواتي وهي حملات عسكرية تُنسب إلى الموسم الذي تتم فيه سواء كان في الصيف أو في الشتاء[8].

---

(1) شلبي، التاريخ، ج3، ص256

(2) مصطفى، دولة، ص300

(3) انظر الجدول رقم (8).

(4) الطبري، تاريخ، ج4، ص344؛ فوزي، الخلافه، ج1، ص28.

(5) سعيد عبدالفتاح عاشور، أوروبا العصور الوسطي التاريخ السياسي، ط10، مكتبة الأنجلو مصريه، القـاهرة 1986، ص49.

(6) ملطية: بفتح أوله وثانيه، هي بلدة من بلاد الروم، وتتاخم بلاد الشام. ياقوت الحموي، معجم البلـدان، ج5، ص192.

(7) الطبري، تاريخ، ج4، ص391؛ فوزي، الخلافة، ج1، ص71.

(8) شلبي، التاريخ، ج3، ص258.

ففي عهد الخليفة أبو جعفر المنصور غزا الجـيش العباسـي ثمـان صـوائف وشواتي، وكانت أول غزوة صـائفة فـي عهـد أبـي جعفـر المنـصور سـنة 139هـ/756م والتي جاءت كردة فعل على هجوم البيزنطيين سنة 138هـ/755م ثم توالت الغزوات في عهده، كما قام بمجموعة من التدابير والإجراءات لمواجهـة الدولة ومنها أنه قام بالزيادة في العطاء لكل مقاتل عشرة دنانير إضافية كمـا أنـه خصص معونة مقدارها مئة دينار لكل واحد منهم وقام ببناء بيوت خاصة لإقـامتهم مع عوائلهم وعلى هذا الأساس كان يقسمهم إلى جماعات صغيرة تحيط بالحـصن، وبهذا الصدد فقد اقتطع الأراضي للمقاتلة لكي يزرعوها في أوقات الـسلم وبـذلك استكمل التحصينات[1]، وجعل لمناطق الحصون حكما إدارياً مستقلاً وحـشد فيهـا آلاف المقاتلين[2]. كما قام الخليفة المنصور بترتيب الثغور الإسلامية إلـى قـسمين الأولى الثغور الجزرية التي خصصت للدفاع عن الجزيرة وشمال العـراق ومـن حصونها طرسوس وادنه[3].

سار الخليفة المهدي على سياسة والده المنصور في تعميـر الثغـور وشـحنها بالمجاهدين[4] وبدأت في عهدة مرحلة جديدة في الجهاد ضد البيزنطيين. فقـد ورث المهدي عن والدة دولة موطدة الأركان مستقرة الأحوال[5]، فكان لـذلك انعكاسـات ايجابية على الجبهة البيزنطية لصالح الدولة العباسية.

في سنة 159هـ/775م أرسل الخليفة المهدي صائفة لغزو بيزنطة ورافق هـذا الجيش حتى الشام ثم تابع هذا الجيش مسيره حتى وصل انقره وفـتح كثيـر مـن حصونها ثم عاد هذا الجيش سالماً غانماً[6]، وفي عام 162هـ/778م قاد الحسن بن قحطبة صائفه من ثلاثين ألف جندي فدخل حصون الـروم وأمعـن فيهـا تحريقـاً

---

(1) الطبري، تاريخ، ج4، ص392.

(2) الطبري، تاريخ، ج4، ص392.

(3) السامرائي، تأريخ، ص75.

(4) اليعقوبي، تأريخ، ج2، ص396.

(5) القرماني، أخبار، ج2، ص75-78.

(6) الطبري، تاريخ، ج4، ص548.

وتخريباً فسماه البيزنطيين التنين[1] وكانت أشهر الحملات في عهد المهدي هي الحملة التي قادها هارون الرشيد في عهد أبيه سنة 163هـ/779م ورافقها الخليفة المهدي حتى الجزيرة وضم لابنه هارون كبار القادة العسكريين ففتحوا حصوناً كثيرة[2] ثم قاد هارون الرشيد حملة أخرى في عهد أبيه سنة 165هـ وتوغلت في أراضي الدولة البيزنطية وقتل من البيزنطيين أربعة وخمسين ألفاً[3] ووصل حتى بحر البسفور[4] فأجبر البيزنطيين على الصلح ودفع فديه سنوية مقدارها تسعين ألف درهم وذبح من الغنم والبقر مئة ألف رأس حتى بيع البغل بأقل من عشرة دراهم وعشرين سيفاً بدرهم[5].

وبالمقابل هاجم البيزنطيون بعض الحصون الإسلامية وهدموها، ففي سنة 162هـ/778م وكذلك في عام 169هـ/785م هاجم الروم حصن الحدث فهرب الوالي والجند وأهل الأسواق[6].

ومما يميز عهد المهدي في صراعه مع البيزنطيين هو كثرة الغزوات التي بلغ عددها تسع غزوات. ولعل السبب في ذلك يعود إلى عدة عوامل منها تأكيد الخليفة على الصبغة الدينية للخلافة وأهم ما يعمق هذه الصبغة هو الجهاد في سبيل الله[7] وإن عهده شهد فترة استقرار نسبي مكن له من شن الغزوات على الدولة البيزنطية كما كان الخليفة يريد إظهار دوره كمهدي منتظر لهذه الأمة[8].

---

(1) الطبري، تاريخ، ج4، ص564؛ أمينة البيطار، دراسات، ص245 (سيشار إليه تالياً: البيطار، دراسات).

(2) مجهول، العيون، ج3، ص278.

(3) الطبري، تاريخ، ج4، ص572.

(4) عاشور، أوروبا، ص37.

(5) الطبري، تاريخ، ج4، ص572-582.

(6) الطبري، تاريخ، ج4، ص564.

(7) فوزي، الخلافة، ج1، ص326.

(8) المطهر بن طاهر المقدسي، البدء والتاريخ المنسوب لأبي زيد البلخي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة (د.ت)، ص95 (سيشار إليه تالياً: المقدسي، البدء)؛ فاروق عمر فوزي، ألقاب=

وفي عهد الخليفة الهادي (169-170هـ/785-786م)، فقد أرسل سنة 169هـ صائفة رداً على هجوم الروم على حصن الحدث[1] واستطاع قائد الحملة معيوف بن يحيى دخول حصون الروم فأسر وسبى منهم الكثير[2].

أما الخليفة هارون الرشيد فقد اهتم بالجبهة البيزنطية إدارياً وعسكرياً، حيث نظم المنطقة الحدودية من الناحية الإدارية تنظيماً جديداً، ففي سنة 170هـ/786م فصل منطقة الثغور عن ولاية الجزيرة وجعلها ولاية واحدة مستقلة سنة 170هـ/786م[3] وعين عليها ابنه القايم، وسماها العواصم[4]؛ لأن المسلمين كانوا يعتصمون بها في حالة مهاجمتهم فتعصمهم وتحميهم[5] كما أمر بشحن الحصون الحدودية مع الدولة البيزنطية بالجند حتى بلغ عددهم أكثر من ستة آلاف مقاتل[6].

بلغ عدد الحملات العسكرية في عهد الرشيد عشرة غزوات حتى أن الطبري (ت310هـ/922م) كثيراً ما يذكر في السنة الواحدة أن الخليفة هارون الرشيد كان يحج ويغزو في نفس السنة كما حدث في سنة 170هـ/786م، 175هـ/791م، وكان في بعض الأعوام يرسل غزوتين في السنة نفسها كما حدث عام 178هـ/794م[7].

= الخلفاء العباسيين ودلالاتها الدينية والسياسية، مجلة كلية الآداب جامعة بغداد، دار المعارف 1970، ج13، ص376 (سيشار إليه تالياً: فوزي، ألقاب).

(1) الحدث: قلعة حصينة بين ملطية والثغور، كان هذا الحصن قد فُتح في عهد عمر بن الخطاب. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص227.

(2) الطبري، تاريخ، ج4، ص603.

(3) المصدر نفسه، ج4، ص620؛ ناجي، الدولة، ص153.

(4) العواصم: جمع عاصم؛ أي المانع، وهي حصون بين حلب وإنطاكية، فصلها هارون الرشيد عن الثغور، وسميت بذلك؛ لأن المسلمين كانوا يعتصمون بها من الروم. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص165.

(5) ابن الأثير، الكامل، ج6، ص109.

(6) الطبري، تاريخ، ج4، ص668؛ فتحي عثمان، الحدود، ج2، 158.

(7) المصدر نفسه، ج4، ص625، 627، 644.

وهناك غزوات مشهورة للخليفة هارون الرشيد منها غزوة سنة 187هـ/802م، عندما نقض ملك بيزنطة نقفور الصلح مع الدولة العباسية والذي كـان قـد عقدتـه الملكة إيريني من قبل وقطع الجزية وأرسل رسالة إلى هارون الرشيد مهدداً للخليفة وطالباً منه إعادة الأموال (الجزية) التي أخذها من إيريني وجاء في رسالته للخليفـة "فاردد ما حصل من أموالها وافتد نفسك... وإلا فالسيف بيننا"[1] وعندما قرأ الرشيد الكتاب غضب وكتب على ظهر الرسالة "من هارون الرشيد أمير المـؤمنين إلـى نقفور كلب الروم فقد قرأت كتابك يا ابن الكـافرة والجـواب مـا تـراه دون مـا تسمعه"[2]، فتحرك الرشيد على رأس حملة عسكريه وصلت إلى مدنية أنقرة وهـي تخترق وتفتح الحصون الواحد تلو الآخر فطلب نقفور الصلح فقبل الرشيد ذلك مقابل بناء الحصون الإسلامية المهدمة ودفع نقفور الجزية[3].

لكن البيزنطيون سنة 190هـ/805م هاجموا حصن عين زربة فأسروا كثير من المسلمين[4] رداً على الحملة السابقة.

في عهد الخليفة الأمين (193-198هـ/808-813م) يبدوا أن الأوضاع الداخلية في عهده وخلافه مع أخيه المأمون قد جمد النشاط الحربي على الجبهة البيزنطيـة، كما أن الأوضاع الداخلية في الدولة البيزنطية قد شهدت أحداثاً هامـة مثـل مـوت نقفور سنة 193هـ/808م وقيام ثورة داخلية تم على أثرها عزل الملك ميخائيل.

إلا أن الخليفة الأمين قام بتغيير إداري لوالي الجزيرة حيث عزل أخاه القاسم عن منطقة الجزيرة وأقره على قنسرين والعواصم وعين على الجزيرة والى جديد هـو خازم بن خزيمة[5] وقد استمرت فترة الهدوء على الجبهتين منذ سنة 193هـ/808م إلى سنة 215هـ/830م بسبب الاضطرابات الداخلية في كل من الـدولتين ونظـراً

---

(1) الطبري، تاريخ، ج4، ص668.

(2) المصدر نفسه، ج4، ص668.

(3) المصدر نفسه، ج4، ص669.

(4) المصدر نفسه، ج4، ص677؛ عين زربي: بلد رومي من نواحي المصيصة وأهلهـا مـن الأرمن. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص177-178.

(5) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص137، 142.

لدعم كل من الدولتين للثورات الداخلية عند الأخرى فقد دعم البيزنطيون ثورة بابك الخرمي[1] وبالمقابل دعم العباسيون ثـورة تومـاس الـصقلي بمختلـف الوسـائل والأساليب[2].

وكان للمأمون جهود كبيرة على الجبهة البيزنطية ففي سنة 215هـ/830م قـاد الخليفة المأمون بنفسه حملة عسكرية فتح فيها كثير من الحصون البيزنطية عنـوةً، فطلب تيوفيل البيزنطي الصلح وعقد الهدنة فرفض المأمون الصلح وواصل القتال[3] وفي سنة 218هـ/833م غزا المأمون أراضي الدولة البيزنطيـة يـساعده أخيـه المعتصم ففتح أكثر من ثلاثين حصناً[4]، فرد البيزنطيون بمهاجمة مدينة طرسـوس سنة 218هـ/833م حيث قتلوا أكثر من ألف وخمسمائة مسلم[5]، ويكفي المـأمون فخراً في ميدان الجهاد ضد الدولة البيزنطية أنه توفي سنه 218هـ ـ/833م قـرب طرسوس أثناء سيره على رأس جيش لغزو الأراضي البيزنطية[6].

وكانت ذروة الصراع بين الدولتين العباسية والبيزنطية قد بلغت أوجها في عهد الخليفة المعتصم الذي عرف عنه أنه رجل حرب وقائداً عسكرياً من الطـراز الأول ولذلك كان من الطبيعي أن يشهد عهده زخماً جديداً على هذه الجبهة خاصة عنـدما شدد البيزنطيون هجماتهم على هذه الجبهة وتعاونوا مع ثورة بابك الخرمي فـشنوا هجمات على الثغور العباسية وكانت قمة نشاطهم في هـذا الاتجـاه هـو احـتلال زبطرة[7]، ولما علم المعتصم بذلك أعلن الجهاد "ونودي في الأمـصار بـالنفير...

---

(1) الطبري، تاريخ، ج5، ص235.

(2) انظر السامرائي، تاريخ، ص81.

(3) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص219-220.

(4) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص220.

(5) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص220.

(6) ابن العمراني، الأبناء، ص102.

(7) زبطرةُ: مدينة بيزنطية بين ملطية وسمسياط والحدث في طرف بلد الـروم سـميت باسـم زبطرة بنت الروم بن اليغز بن سام بن نوح عليه السلام، يـاقوت الحمـوي، معجـم، ج3، ص130، فوزي، الخلافة، ص354.

فسارت إليه العساكر والمطوعة"[1]، وكان شرارة هـذه الموقعـة أنـه فـي سـنة 223هـ/837م أغار البيزنطيون بقيادة تيوفيل على حصون المسلمين فقتل وسـبى النساء المسلمات فلما وصل خبر ذلك إلى المعتصم استكبر الأمر وخاصة عندما بلغه أن إمرأة هاشمية صاحت وهي أسيرة في أيدي البيزنطيين وامعتصماه فأجابها وهو جالس على سريره (لبيك لبيك)[2] فسار على رأس جيش متوجهاً إلى أراضي الدولة البيزنطية ففتح الحصون الواحد تلو الآخر حتى وصل عمورية وفتحها وقد أسـهب ابن الأثير بالحديث عن فتح عمورية ووصف الأحداث وصفاً دقيقاً[3].

فقد قسم المعتصم جيشه إلى ثلاث فرق وأمرهم أن يحرقوا القرى الواقعة بـين أنقرة وعمورية وأن يخربوها، وبنى المعتصم خيمته بجوار أحد أسـوار عموريـة، وأشرف شخصياً على ضربها بالمناجيق حتى هدمها، فأمسك الـروم عـن القتـال، واحتمى بعضهم بكنيسة كبيرة في المدينة، فأشعل المسلمون بها النار فهلكوا جميعاً، واستباح الجيش العباسي عمورية فأسر وسبى أعداداً لا تُحصى، ثم أمـر الخليفـة المعتصم بأن تهدم المدينة وتحرقت كاملة[4].

ثم بدأ يفكر بغزو والقسطنطينية وفتحها إلا أن الأحداث الداخلية التـي شـهدتها الدولة العباسية منعته عن القيام بهذا العمل يذكر الذهبي (ت748هـ) ولمـا افتـتح عمورية صمم على غزو القسطنطينية فأتاه ما أزعجه من أمر العباس بن المـأمون وأنه قد بويع وكاتب طاغية الروم، فقفل المعتصم وقبض علـى العبـاس ومتبعيـه وسجنهم"[5].

---

(1) المسعودي، مروج، ج4، ص14.

(2) ابن أعثم، الفتوح، ج8، ص488؛ سالم، العصر، ص220.

(3) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص247-250؛ عثمـان، الحـدود، ص212؛ نـاجي، الدولـة، ص157-159؛ السامرائي، تاريخ، ج1، ص84؛ حسن، تـاريخ، ج2، ص249؛ فـوزي، الخلافة، ج1، ص356.

(4) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص250.

(5) الذهبي، تاريخ، ص14. (حوادث سنة 223هـ).

من المعلومات الواردة في الجدول رقم (9) يمكن ملاحظـة واسـتنتاج الأمـور التالية:

أولاً: إن عدد الغزوات الإسلامية في العصر العباسي والتي عرفت بالـصوائف والشواتي يفوق عدد الهجمات البيزنطية فقد بلغت غزوات المسلمين حوالي ثـلاث وثلاثون غزوة في حين كان عدد الهجمات البيزنطية ستة هجمات مما يعني التفوق العباسي في هذا الإطار.

ثانياً: قاد الخلفاء العباسيون في بعض الحملات الجيوش بأنفسهم لغـزو الدولـة البيزنطية ومنهم الخلفاء هارون الرشيد والمأمون والمعتصم، ومن الخلفاء من رافق الجيوش في جزء من طريقها كما فعل الخليفة المهدي؛ وهذا التصرف من الخلفـاء كان له أكبر الأثر في شحذ الهمم ورفع معنويات الجند فـي جهـادهم مـع العـدو البيزنطي. وهذا له دلالته في سياسة العباسيين الدينية في أن يقود الخلفاء الحمـلات ضد الأعداء.

ثالثاً: استفاد المسلمون من الظروف الداخلية والاضطرابات التي كانت تحدث في الدولة البيزنطية كما سيتضح لاحقاً[1].

رابعاً: نتج عن غزوات الدولة العباسية ضغط كبير على الدولة البيزنطيـة ممـا أدى في بعض الأحيان إلى جنوح الدولة البيزنطية لطلب الصلح والهدنة الذي كـان الخلفاء العباسيون يوافقون عليه ويضعوا الشروط الملائمة لمصلحتهم وفـي نفـس الوقت كان البيزنطيون ينقضون الهدنة عندما يرحل الجيش العباسي وعندما تتحسن ظروفهم الداخلية.

خامساً: توالي وتتابع الغزوات العباسية على الدولة البيزنطية ففي عهد أبي جعفر المنصور شن خمسة صوائف وشواتي متتابعة منـذ 153هـ ـ/770م حتـى سـنة 158هـ/774م وأرسل ابنه الخليفة المهدي ثمان غزوات متتاليـة فـي الـسنوات 159هـ/775م حتى سنة 166هـ/782م، كما بعث في عهـد الخليفـة الرشـيد غزوتين في سنة 178هـ/794م وغزوتين في سنة 182هـ/798م.

---

(1) انظر تالياً، ص 161.

سادساً: فرضت الدولة العباسية هيبتها وقوتها باعتبارها أعظم قوة في تلك الحقبة التاريخية على دولة كبرى وقوية هي الدولة البيزنطية وإجبارها على دفع الجزيـة السنوية.

سابعاً: تكرار أسماء بعض القادة المشاهير في الغزوات العباسية مثل العباس بن محمد بن علي العباسي الذي خدم في الجيش العباسي وقاد حملات عدة ضد الدولـة البيزنطية منذ عصر أبي جعفر المنصور إلى عصر الخليفة المهدي ومعيـوف بـن يحيى.

ثامناً: عدم بروز أو ذكر أسماء لقادة أتراك في الجيوش العباسـية حتـى عهـد المعتصم على هذه الجبهة.

تاسعاً: إنه بالنظر إلى العلاقة بين الدول العباسية والبيزنطية فقد بدأت -علاقـة عدائية بين الدولتين فكانت الدولة البيزنطية هي المبادرة في الهجوم علـى الدولـة العباسية في السنة الأولى من عمرها، فقد قام الإمبراطور البيزنطي بالهجوم مستغلاً فترة الاضطرابات في السنة الأولى من تأسيس الدولة العباسية، فقد هدد كل الثغور الإسلامية فدمر حصون الفرات والحدث وزبطرة وملطية، كما حاصـر سمـسياط وكمخ وقلوذية وهدمها في سنة 133هـ/750م[1]. ومن الجدير ذكره أن البيزنطيين قد استغلوا فترات الاضطرابات الداخلية عند العباسيين، فكـانوا يقومـون بغـارات وهجمات على أطراف الدولة العباسية والمناطق الحدودية.

عاشراً: أن انقطاع الهجمات البيزنطية في الأعوام الممتدة من 138-169هـ/ 755-785م؛ أي بعد ستة سنوات من عمر الدولة العباسية يفيد بأن بني العباس قـد تنبهوا لهذا الخطر المحدق بهم حيث بدأوا بالقيام بمجموعة من الإجـراءات أولهـا المبادرة بالهجوم على الدولة البيزنطية بل وأحياناً التوغل في أراضيها حتى مشارف عاصمتهم القسطنطينية[2]، فقد قام الخليفة أبو جعفـر المنـصور بمجموعـة مـن الإجراءات مبكراً والتي يمكن إجمالها بقيام الخليفة بتقديم وسائل الإغراء لحث الجند على العمل، كما زاد في العطاء لكل مقاتل عشرة دنانير مخصـصه لهـم معونـة

(1) الطبري، تاريخ، ج7، ص460؛ فوزي، الخلافة، ج1، ص322.

(2) الطبري، تاريخ، ج4، ص390-603.

مقدارها مئة دينار كما بنى البيوت الخاصة بهم للإقامة مع عوائلهم واستكمل بنـاء التحصينات العسكرية[1]، كما قام أبو جعفر المنصور بتقسيم الثغور إلـى قـسمين: الثغور الجزرية الفراتية التي خصصت للدفاع عن الجزيرة وشمال العـراق ومـن حصونها ملطية ومرعش، ومنطقة الثغور الشامية وتقع إلى الغـرب مـن الثغـور الجزرية وخصصت للدفاع عن الشام ومن حصونها طرسوس وادنة وبهذه الأعمال وضع أبي جعفر المنصور حداً لتجاوزات البيزنطينين[2].

2.1.5 العلاقات في عهد الواثق بالله (227-232هـ/841–846م)

1.2.1.5 تبادل الأسرى

تسببت الحروب والغارات العسكرية المتبادلة بين الدولة العباسية والبيزنطية في وقوع عدد كبير من الأسرى لدى كل من الطرفين، فالدولة العباسـية كانـت تـشن حملات عسكرية على الجبهة البيزنطية، فيقع في أيديها أسرى وسبايا[3]، وفي مقابل ذلك كان البيزنطيون يأسرون كل من يقع في أيديهم أو يجدونه من المسلمين أثنـاء غاراتهم على المناطق الحدودية فاجتمع لدى كل من الطرفين مجموعة كبيـرة مـن الأسرى[4] وجراء ذلك سعت كل من الدولتين إلى تخلـيص أسـراها حـذراً مـن الاسترقاق[5].

لم تكن العلاقات العباسية البيزنطية علاقات حربية ومناوشات عـسكريه دائمـاً خلال العصر العباسي، فقد حدثت أكثر من هدنه بين الطرفين، وجـرت عمليـات تبادل للأسرى بين الطرفين وهي:

(1) فوزي، الخلافة، ج1، ص323.

(2) السامرائي، تاريخ، ص75.

(3) انظر تالياً، جدول رقم (9).

(4) الجنابي، تنظيمات، ص133.

(5) الخضري، محاضرات، ص344.

1. في سنة 139هـ/756م حدث في عهد أبي جعفر المنصور عملية تبادل أسـرى بين الدولة العباسية والدولة البيزنطية حيث فك المنصور جميع الأسرى المسلمين من أيدي البيزنطية[1].
2. في سنة 181هـ/797م كان الفداء الثاني في عصر الخليفة هارون الرشيد حين بعث الخليفة ابنه القاسم لإدارة عملية تبادل الأسرى وتم فك سراح ثلاثـة آلاف وسبعمائه أسير مسلم وقد احتفل المسلمون بإطلاق سراح هؤلاء الأسرى وحضر هذا الفداء العلماء والأعيان وسكان المناطق الحدودية من المسلمين وفرح الناس بهذا الحدث[2].
3. في سنة 189هـ/804م تمت عمليـة تبـادل الأسـرى، ويتحـدث الطبـري (ت310هـ/922م) عن هذا الفداء مبيناً أهميته بالقول "وفي هذه السنة كان الفداء بين المسلمين والروم فلم يبقَ بأرض الروم مسلم إلا فودي به"[3].
4. في سنة 192هـ/807م حدثت ثاني عملية فداء في عهد الخليفة هارون الرشـيد حيث أدار عملية الفداء هذه ثابت بن نصر بن مالك[4].

معنى ذلك أن الدولة العباسية في أزهى عصورها وخلال عهود أشهر خلفائهـا قبلت بالسلم وتبادل الأسرى؛ فكيف في عهد الخليفة الواثق بالله الذي شـهد عهـده أحداثاً جسام وثورات وفتن واضطرابات واحتقان اجتماعي بسبب محاولـة فـرض مذهب الاعتزال على عامة الناس وكل ذلك من الأحداث إضافة إلى قصر فترة حكم الخليفة ووفاته وهو في مقتبل العمر كل هذه الأمور أليست عوامل هامة في خلق جو من الهدوء بين الدولتين؟

---

(1) الطبري، تاريخ، ج4، ص492؛ ثابت، العسكرية، ص62.
(2) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص106؛ ثابت، العسكرية، ص63.
(3) الطبري، تاريخ، ج4، ص675.
(4) المصدر نفسه، ج5، ص1.

أما الأوضاع الداخلية في الدولة البيزنطية خلال الحقبة 227-232هـ ـ/341-846م كانت قد شهدت أحداث داخليه واضطرابات دينية وفكرية وسياسية ساعدت على خلق جو عام هادئ على الجبهة البيزنطية العباسية التي شهدت لعقود طويلة صراعات عسكرية وأحداثاً. تتمثل هذه الصراعات الداخلية فيما عرف باسم عبادة الأيقونات وهي الصور التي تجسد السيد المسيح علية السلام والسيدة مريم العذراء فحدث جدل وخلاف حول صحة عبادة هذه الصور والتماثيل[1]، وكانت عبادة الأيقونات (Icons)[2] قد ظهرت منذ عهد الإمبراطور جستينان (527-561م) الذي شهد عهده إقبالاً شديداً على عبادة هذه الأيقونات وبسبب إطلاق العامة العنان لخيالهم فقد حولوا هذه الصور والتماثيل إلى معبودات يسجدون لها ويوقدون الشموع ويحرقون البخور أمامها وكانوا يضمون الصور في كل مكان في الكنائس والأديرة والبيوت والحوانيت والحلي والملابس لاعتقادهم بأنها تأتيهم بالمعجزات[3] وبقي هذا الاعتقاد سائداً حتى جاء عهد الإمبراطور ليو الثالث 726م/108هـ الذي أصدر مرسوماً بتحريم عبادة الأيقونات فيما عرف بـ اللايقونية (Iconoclasm)[4]، ومنذ ذلك الوقت حدث صراع داخلي بين طرفين مؤيد ومعارض لعبادة الأيقونات، فقد أيد الرهبان ورجال الدين عبادة هذه الصور والتماثيل (الأيقونات) في حين عارض الأباطرة ورجال السياسة عبادتها فمثل الفريق المؤيد ديني أيقوني والمعارض سياسي لا أيقوني[5] وبسبب هذا الخلاف حدثت ثورات واضطهادات عادت على الدولة البيزنطية بأسوأ الأثر في النواحي السياسية والاقتصادية[6].

---

(1) عاشور، أوروبا، ص129.

(2) K. Ostrogorsky, History of the Byzantine state, Oxford press, London, 1982, p.160-162 (Ostrogorsky, History).

(3) نوري، العلاقات، ص114؛ Ostrogorsky, History. P.163

(4) السيد الباز العريني، الدولة البيزنطية 323-1081م، ط1، دار النهضة العربية، بيروت 1982، ص179-190 (سيشار إليه تالياً: العريني، الدولة)؛ عاشور، أوروبا، ص133.

(5) عاشور، أوروبا، ص133، سالم، العصر، ص245.

(6) صقر، السلم، ص90.

كما أن الدولة البيزنطية كانت تعاني من صدمة ضربات الجيش العباسي وتوغله في أراضيها خلال عهد المأمون والمعتصم الذي فتح عمورية في قلب الدولة البيزنطية، إذ تركت معركة عمورية جرح عميق في جسم الدولة البيزنطية فنتج عنها ميل البيزنطيين إلى إقامة علاقات سلمية مع الدولة العباسية[1]، وقد اضطربت الدولة البيزنطية وهبطت الروح المعنوية وخشيتهم من هزائم جديدة دعتهم إلى إيثار السلم في عهد الواثق بالله[2].

كما أن الدولة البيزنطية بهذه الآونة كانت جيوشها تحارب على جبهة أُخرى هي منطقة البلقان وقد منيت جيوشها بهزائم على يد البلغار في هذه المناطق[3]، وفقدانها لأغلب قواعدها في البحر المتوسط مثل جزيرتي كريت وصقلية فأدى ذلك إلى زيادة الرغبة في الصلح والسلام مع الدولة العباسية[4].

ورغم كل هذه الأسباب ينبغي أن يطرح التساؤل التالي: من المبادر في طلب تبادل الأسرى، هل كان العباسيون أم البيزنطيون؟ تذكر المصادر أن البيزنطيين أرسلوا وفداً إلى الخلافة العباسية طالبين تبادل الأسرى سنة 231هـ/845م[5] وهذا يبين أن البيزنطيين هم المبادرون لطلب تبادل الأسرى[6]. فقد أرسل الإمبراطور البيزنطي ميخائيل الثالث بن تيوفيل وفداً إلى الخليفة العباسي الواثق بالله يطلب فيه

---

(1) عثمان، الحدود، ص217-218.

(2) فازليف، العرب والروم، ترجمة محمد عبدالهادي شعيره، دار الفكر، القاهرة (د.ت)، ص175 (سيشار إلية تالياً: فازليف، العرب).

(3) عاشور، أوروبا، ص137.

(4) محمود، العالم، ص139.

(5) الطبري، تاريخ، ج5، ص280، 285؛ مسكوية، تجارب، ج4، ص98؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج11، ص164؛ ابن الأثير، الكامل، ج5، ص275؛ الذهبي، تاريخ، ص6؛ ابن كثير، البداية، ج9، ص303؛ النويري، نهاية، ج22، ص269.

(6) مسكويه، تجارب، ج4، ص98؛ عثمان، الحدود، ج2، ص218؛ الجنابي، تنظيمات، ص134؛ ثابت، العسكرية، ص63؛ .Hasan, History, p.226

تبادل الأسرى[1]، حيث جرت مفاوضات بين الطرفين حول هذا الأمر ويبدو أنها مفاوضات شاقة حيث يفهم مما أورده مسكوية أنه حدث خلاف بين الطرفين في أول الأمر حول عملية تبادل الأسرى حيث رفض البيزنطيون تبادل الأسرى من كبار السن فقالوا: "لا نأخذ عجوزاً أو شيخاً..." وبعد إصرار من قبل الطرف العباسي على إطلاق سراح جميع الأسرى بالتبادل وافقوا على إطلاق (سراح نفس بنفس)[2]، ويبدو أن الطرف العباسي كان مهتماً بأسراه أكثر من الطرف البيزنطي وبعد المفاوضات تم تحديد زمان ومكان تبادل الأسرى[3]، فجرت عملية تبادل الأسرى على نهر اللامس عند مدينة طرسوس[4]، وكان رئيس وفد المفاوضات من الجانب العباسي الوزير محمد بن عبدالملك بن الزيات[5]، وقد عهد الخليفة الواثق إلى خاقان الخادم بالإشراف على عمليات الفداء[6]. فأرسل خاقان رسولاً إلى الدولة البيزنطية وهو أحمد بن أبي قحطبة لمعرفة عدد الأسرى المسلمين لدى الدولة البيزنطية[7].

ويبدو أن عدد الأسرى المسلمين في أيدي البيزنطيين كان أكثر ممن هو عند المسلمين بدليل ما تورده المصادر من قيام الواثق بإجراءات بهذا الشأن ويمكن إجمالها بما يلي:

---

(1) اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص482؛ الطبري، تاريخ، ج5، ص285؛ البيطار، دراسات، ص269؛ نوري، العلاقات، ص316، 320.

(2) مسكوية، تجارب، ج4، ص99.

(3) المصدر السابق، ج4، ص99؛ Masudul Hasan, History of Islam, London, 1994, p.226 (Hasan, History).

(4) الطبري، تاريخ، ج5، ص285؛ ابن العبري، تاريخ، ص141؛ ابن كثير، البداية، ج9، ص307؛ Akbarshah Najeebabady, The History of Islam, Darussalm, Riyadh, 2001. p.458 (Akbarshah, The history)؛ طرسوس: كلمة عجمية رومية، وهي مدينة بثغور الروم بين أنطاكية وحلب. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص28.

(5) الطبري، تاريخ، ج5، ص285، عن الوزير ابن الزيات انظر الفصل الرابع (الوزارة).

(6) خاقان هو خادم الخليفة الرشيد وهو من الترك نشأ في مدينة طرسوس، الطبري، تاريخ، ج5، ص285.

(7) الطبري، تاريخ، ج5، ص285.

1. جمع أكبر عدد من الروم من خلال شراء من هو موجود منهم في بغداد والرقة وغيرها من المدن[1].
2. إخراج من هم في قصره من الروم حتى أنه (أخرج عجائز روميات من قصره)[2] وذلك لإطلاق سراح أكبر عدد من الأسرى المسلمين.

ورغم اهتمام الخليفة الواثق بالله بإطلاق أكبر عدد من الأسرى المسلمين لدى الطرف البيزنطي من خلال هذه الإجراءات، إلا أن هناك أمراً ينبغي أن لا يغرب عن البال وهو التساؤل الذي يثير الاستغراب والتعجب وهو أن الخليفة الواثق بالله قد أرسل لجنة لامتحان الأسرى فمن قال أن القرآن مخلوق أطلق سراحه ومن رفض هذا القول بقي في الأسر فلماذا قام الخليفة بهذا الإجراء؟ لقد أجابت الدراسة عن جزء من هذا السؤال وهو رغبة الخليفة في فرض مذهبه وفكره على العامة[3]؛ مع أنه لا بد من وجود أسباب أُخرى لعل أبرزها تاثير الحاشية ورجال الإدارة في أيامه إضافة إلى تقليد أبيه وعمه المأمون في كل شيء، وهذا ما جعل بعض المؤرخين يسمون الواثق بالمأمون الأصغر، وبالتالي يفتح المجال أمام دراسات جديدة حول هذا الموضوع لباحثين آخرين.

وقد جرت عملية تبادل الأسرى بين الطرفين وفق نظام معين بحيث اجتمع الطرفان على نهر اللامس قرب مدينة طرسوس فيذكر اليعقوبي (ت276هـ/889م) أنه حضر عملية تبادل الأسرى جيش عباسي كبير قُدر بسبعين ألف جندي[4] مما يعني عدم ثقة المسلمين بالطرف البيزنطي وتوجسهم خاصة إذا ما تذكرنا أن البيزنطيين عقدوا أكثر من هدنه مع العباسيين ما لبثوا أن نقضوها إذا ما تحسنت أو تغيرت ظروفهم.

وقف المسلمون على الجانب الشرقي لهذا النهر، أما الروم فقد وقفوا على الجانب الغربي وتم نصب جسر فوق ذلك النهر فيطلق المسلمون سراح أسيراً ويطلق

---

(1) الطبري، تاريخ، ج5، ص285؛ النويري، نهاية، ج22، ص269.

(2) مسكوية، تجارب، ج4، ص269.

(3) انظر الفصل الثالث.

(4) اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص482.

البيزنطيون مقابله أسيراً فيسير كل منهما حتى يلتقيان على وسط الجسر وعندما يصل الأسير المسلم إلى الطرف العباسي من النهر تنطلق صيحات التكبيرة والتهليل وكذلك عندما يصل الأسير البيزنطي كانت تُسمع صلواتهم، وقد استمرت عمليات تبادل الأسرى هذه أربعة أيام تم خلالها إطلاق سراح أربعة آلاف وأربعمائة وستين أسيراً مسلماً وأكثر من مئة من أهل الذمة وبذلك تم فك أسر كل من كان بأيدي البيزنطيين من أسرى الدولة العباسية(1).

وهنا لا بد من تسليط الضوء على اهتمام الدولة العباسية بإطلاق سراح أهل الذمة من الأسر البيزنطي ما يدل دلالة لا ريب فيها على تسامح الإسلام وعلى اهتمام الخليفة الواثق بالله برعاياه سواء أكانوا مسلمين أو ذميين.

ويبدو أن إجراءات الواثق بشراء الروم من الرقة في الشام وإخراج الروم من قصره قد وفر عدداً أكثر من المطلوب، حيث زاد عدد الأسرى البيزنطيين وبقي منهم مئة أسير أمر خاقان الخادم بإطلاق سراحهم حتى يكون لهم الفضل على البيزنطيين(2).

2.2.1.5 الحملة العسكرية

على الرغم من الأحداث الخطيرة التي شهدها عهد الخليفة الواثق بالله التي سبق شرحها أنفاً، ورغم تبادل الأسرى الذي جرى بين الدولة العباسية والدولة البيزنطية في هذه الحقبة 227–232هـ/841-846م إلا أن ذلك لم يمنع الخليفة الواثق بالله من إرسال حملة عسكرية في شتاء سنة 231هـ/845م بقيادة أحمد بن سعيد بن

---

(1) ابن خياط، تاريخ، ج2، ص482؛ الطبري، تاريخ، ج5، ص286؛ ابن العبري، تاريخ، ص41؛ ابن الأثير، الكامل، ج5، ص275؛ الروضان، موسوعة، ص304؛ المناصير، الجيش، ص423؛ البيطار، دراسات، ص269؛ نوري، العلاقات، ص320؛ ثابت، العسكرية، ص63.

(2) الطبري، تاريخ، ج5، ص286؛ ابن كثير، البداية، ج9، ص307.

قتيبة بن مسلم الباهلي الذي عينه الخليفة والياً على العواصم[1]، يذكر ابـن الأثيـر (ت630هـ/1232م): "غزا أحمد بن سعيد بن مسلم الباهلي شاتياً فأصاب الناس ثلج ومطر فمات منهم مائتا نفس وأسر نحوهم وغرق .... خلق كثير فوجد الواثق على أحمد"[2] فقد كانت الظروف الجوية من برد وثلج قد وقفت عائقاً أمام نجـاح هـذه الحملة العسكرية كما أن أحد قادة الروم كان قد فاوض قائد هـذه الحملـة وخوفـه وأنذره من مغبة الاستمرار بهذه الغزوة وبعد تردد من أحمد بن سعيد بدأ يتشاور مع جيشه حول الاستمرار بالحملة أو الرجوع فقال الجند لأحمد: "إن عسكراً فيه سـبعة ألاف لا تتخوف عليه فإن كنت كذلك فواجه القوم وأطرق بلادهم ففعل وغنم نحـواً من ألف بقره وعشرة ألاف شاه وخرج"[3].

وهنا يلحظ تردد من قائد الشاتيه أحمد بن سعيد الذي عانى من الظروف الجوية ومن تهديدات القائد البيزنطي الذي تفاوض معه ولكن الجند أيدوا أو أصروا علـى إكمال الغزوة وفي هذا رد كبير على بعض الدراسات الاستشراقية التي كانت تـرى أن الدافع وراء كثير من غزوات وحركات الفتح الإسلامي لدوافع اقتصادية فالجهاد والرغبة في إحدى الحسنين كانت في كثير من الأحيان هي المحركة لعجلـة الفـتح الإسلامي حتى هذا العهد.

ويبدو أن ما أصاب الجيش العباسي في هذه الحملة وتردد قائد هذه الشاتية كـان قد وصل إلى مسامع الخليفة الواثق بالله الذي غضب على أحمد بن سعيد فعزله عن ولاية الثغور والعواصم[4]، وعين مكانه نصر بن حمزة الخزاعي[5] على الرغم من معاودتة الهجوم وتحقيقه الغنائم في هذه الغزوة.

---

(1) الطبري، تاريخ، ج5، ص287؛ ابن العبري، تاريخ، ص141؛ ابن خلـدون، الـعبر، ص751؛ النويري، نهاية، ج22، ص269؛ أحمد، موسوعة، ص151؛ المناصير، الجيش، ص424.

(2) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص275.

(3) المصدر نفسه، ج5، ص275.

(4) الطبري، تاريخ، ج5، ص287؛ ابن الأثير، الكامل، ج5، ص275؛ ابن العبري، تاريخ، ص141؛ عثمان، الحدود، ج2، ص218؛ السامرائي، تاريخ، ص85.

(5) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص275.

وعليه يمكن القول أن عهد الخليفة الواثق بالله لم يكن كله عهد هدوء وسلام مع الدولة البيزنطية بل تخلله عملية عسكرية على هذه الجبهة إضافة إلى وفاة الخليفة في سنة 232هـ/846م قد أسدل الستار على عهدٍ كان مرشحاً لإمكانية حدوث اشتباكات عسكرية على الجبهة وتكون المبادرة من الدولة العباسية.

وينبغي القول أن عملية تبادل الأسرى مع الدولة البيزنطية لم تكن من ابتكار الخليفة الواثق بالله بل كان هذا الفداء الذي تم بعهده هو الفداء الأول والفداء الخامس بعدما سبقه أربع عمليات تبادل للأسرى تمت في عهود خلفاء كبارهم أبو جعفر المنصور وبعده هارون الرشيد.

إن عملية تبادل الأسرى في عهد الخليفة الواثق بالله كانت نتاجاً طبيعياً لأحداث داخلية في عهده إضافة لتكدس آلاف الأسرى المسلمين عند الدولة البيزنطية وحاجة الدولة لمثل هؤلاء من أجل بناء الجيش ودعمه ربما لمناوشات وحروب مستقبلية كما أنه من الجدير ذكره أن عدد الأسرى البيزنطيين كان أكثر عند المسلمين ما يعني حاجتهم إلى المسكن شتاء أو الطعام والشراب والرعاية مما قد يثقل كاهل الاقتصاد العباسي في الوقت الذي بدأت فيه الموارد المالية تنقص عما كانت عليه في عهد أبيه المعتصم.

جدول رقم (8)

جدول يؤرخ الهجمات البيزنطية على أطراف الدول العباسية

الرقم	تاريخ الوجود البيزنطي	عهد الخليفة العباسي	الإمبراطور البيزنطي	الإحداث الداخلية في الدولة العباسية
1	هجوم سنة 133هـ/ 750م.	أبو العباس السفاح	قسطنطين الخامس[1]	السنة الأولى في عمر الدولة العباسية (مرحلة تأسيس الدولة)[2].
2	هجوم سنة 138هـ/755م.	أبو جعفر المنصور	قسطنطين الخامس	ثورة الملبد الخارجي في الموصل فأرسل إليه الخليفة ثمانية ألاف جندي لقمعه[3].
3	هجوم سنة 169هـ/785م.	محمد المهدي	قسطنطين السادس	أخر سنة من عهد المهدي الذي أنهكته حركات التمرد[4].
4	هجوم سنة 190هـ/805م.	هارون الرشيد	نقفور الأول	شهد هذا العام ثورة في سمرقند وثورة للخوارج[5].
5	هجوم سنة 218هـ/833م.	أبو العباس المأمون	ثيلوفلوس	عاث الزط في البصرة فساداً[6] فقطعوا الطريق واستمر أمرهم في عهد المعتصم[7] إضافة إلى انشغاله في المحنة خلق القران[8].
6	هجوم سنة 223هـ/837م.	محمد المعتصم	ثيلوفلوس	الاستمرار في فرض مذهب الاعتزال[9] القضاء على بعض حركات التمرد[10]

(1) عن أسماء أباطرة الدولة البيزنطية انظر سعيد عاشور، أوروبا العصور الوسطى، ص663-664.

(2) الطبري، تاريخ، ج4، ص344؛ فوزي، الخلافة، ج1، ص28-36.

(3) الطبري، تاريخ، ج4، ص391؛ فوزي، الخلافة، ج1، ص71-112.

(4) عن حركات التمرد التي قامت في عهده انظر فوزي، الخلافة، ص117؛ الخضري، الدولة، ص79؛ الشواورة، سياسية، ص32-61.

(5) الطبري، تاريخ، ج4، ص676-677؛ حسن، تاريخ، ج2، ص51–52.

(6) الطبري، تاريخ، ج5، ص ؛ شبلي، التاريخ، ج3، ص176؛ الخضري، الدولة، ص170.

(7) الخضري، الدولة، ص170.

(8) الشيخ كمال الدين الدميري (ت808هـ/1405م)، تاريخ الخلفاء، ط1، تحقيق محمد الفاضلي، مؤسسة المعارف للمطبوعات، بيروت 2001، ص97 -98 (سيشار إليه تالياً: الدميري، تاريخ).

(9) الدميري، تاريخ، ص100-106.

(10) السامرائي، تأريخ، ص 66. انظر الفصل الثاني.

جدول رقم (9)

جدول يؤرخ غزوات الدولة العباسية على الدولة البيزنطية

	تاريخ الغزوات	عهد الخليفة	عدد الغزوات	قادة الغزوات	نتائج الغزوات
1	139هـ/756م، 146هـ/763م، 149هـ/766م، 152هـ/769م، 153هـ/770م، 155هـ/773م، 156هـ/772م، 157هـ/773م، 158هـ/774م.	أبو جعفر المنصور	ثمان غزوات	العباس بن محمد بن علي العباسي، جعفر بن حنظله، معيوف بن يحيى، زفر بن عاصم الهلالي، يزيد بن أسيد السلمي، عبدالوهاب بن إبراهيم.	تهديم الحصون البيزنطية وسبي وأسر المقاتلين البيزنطين وصدامات عسكرية كان المسلمون هم المنتصرين(1).
2	159هـ/775م، 160هـ/776م، 161هـ/777م، 162هـ/778م، 163هـ/779م، 164هـ/780م، 165هـ/781م، 166هـ/782م، 169هـ/785م.	محمد المهدي	تسع غزوات	هارون الرشيد (ابن الخليفة المهدي العباس بن محمد بن علي بن العباس ثمامه بن الوليد القبيسي الحسن بن قحطبة، عبدالكبير بن عبدالحميد، علي بن سليمان).	فتح بعض حصون الدولة البيزنطية والتوغل في أراضيها وإجبار البيزنطيين على طلب الصلح والهدنة ومنها هدنة سنة 165هـ التي قبل بها العباسيون بقيادة الخليفة المهدي(2).
3	169هـ/785م.	الهادي	واحدة	معيوف بن يحيى.	استرداد حصن الحدث العباسي واسر العباسيون من الروم وسبوا وغنموا(3).
4	170هـ/786م، 174هـ/790م، 175هـ/791م، 176هـ/792م، 177هـ/793م، 178هـ/794م (غزوتين)، 180هـ/796م، 181هـ/797م، 182هـ/798م (غزوتين)، 187هـ/802م، 188هـ/803م، 190هـ/805م، 191هـ/806م.	هارون الرشيد	اثناعشر غزوة	الخليفة هارون الرشيد بنفسه، سليمان بن عبدالله البكائي، عبدالرحمن بن عبدالله بن صالح، عبدالرزاق بن عبدالحميد التغلبي، معاوية بن زفر بن عاصم سليمان بن أسد، إبراهيم بن جبريل، يزيد بن مخلد الهبيري.	فتح كثير من الحصون البيزنطية عنوة، وتوغل في أراضي البيزنطية حتى وصل مدينة أنقرة أكثر من مرة، اضطرت الملكة ايريني لطلب عقد هدنة فوافق عليها الرشيد بشروط ثم نقض نقفور الهدنه سنة 187هـ، هدم كنائس في الحصون البيزنطية وسبى وغنم وأسر(4).

---

(1) الطبري، تاريخ، ج4، ص390، 481، 503-515؛ السامرائي، تأريخ، ص73–79.

(2) الطبري، تاريخ، ج4، ص564–572؛ البيطار، دراسات، ص245–255.

(3) الطبري، تاريخ، ج4، ص603.

(4) الطبري، تاريخ، ج4، ص620-627؛ ص635-646، ص668–677، ج5، ص3-10.

	تاريخ الغزوات	عهد الخليفة	عدد الغزوات	قادة الغزوات	نتائج الغزوات
5	215هـ/830م، 218هـ/833م.	المأمون	اثنتان	قادها الخليفة بنفسه.	توغل في أراضي الدولة البيزنطية وهدم كثير من حصونهم وفتح أكثر من ثلاثين حصناً عنوة،كما سبى وأسر وغنم الكثير من البيزنطين[1].
6	223هـ/837م	المعتصم	واحدة	قادها الخليفة بنفسه[2]	فتح عمورية[3] وهزيمة البيزنطين[4].

(1) ابن العمراني، الأنباء، ص102؛ ابن الأثير، الكامل، ج5، ص219-220؛ السامرائي، تاريخ، ص79-82؛ ناجي، الدولة، ص154؛ الرفاعي، عصر، ص290-292.

(2) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص247–250؛ حسن، تاريخ، ج2، ص249؛ عثمان، الحدود، ص212؛ ناجي، الدولة، ص157–159؛ سالم، العصر، ص220.

(3) عمورية: بلد من بلاد الروم يقال إنها سميت بعمورية بنت الروم بن العز بن سام بن نوح علية السلام، ويعتبرها الروم أهم وأشرف من القسطنطينية، وهي الآن مدينة بروسا في تركيا المعاصرة. انظر ياقوت الحموي، معجم، ج4، ص158؛ القرماني، أخبار، ص465؛ فوزي، الخلافة، ج1، ص355؛ ثابت، العسكرية، ص465.

(4) عن فتح عمورية انظر مؤلف مجهول، العيون والحدائق في أخبار الحقائق من خلافة الوليد إلى خلافة المعتصم، تحقيق دي خورية، مكتبة المثنى، بغداد (د.ت) ج3، ص396-397 (سيشار إليه تالياً: مجهول، العيون).

جدول (10)

الأحداث الداخلية في عهد الخليفة الواثق بالله

الرقم	السنة	عهد الخليفة	أهم الأحداث الداخلية في الدولة العباسية 227-232ه/841-846م[1].
1	227هـ/841م	الواثق بالله	1. التشدد في مذهب الاعتزال على العامة وموظفي الدولة فـأدى ذلك لحدوث ثورة في بغداد في هذه السنة. 2. ثورة القيسية في دمشق. 3. ثورة المبرقع اليماني في الشام.
2	228هـ/841م	الواثق بالله	1. التشدد في فرض مذهب الاعتـزال ومخاطبـة القـضاة وولاة الأمصار في امتحان العامة في خلق القرآن وعرض ذلـك باسـم المحنة. **2.** تزايد نفوذ الأتراك وتتويج أشناس وشاحين.
3	229هـ/843م	الواثق بالله	**1.** حدوث فساد إداري نتج عنه ما عرف باسم نكبة الكتاب.
4	230هـ/844م	الواثق بالله	**1.** ثورة بني سليم في إقليم الحجاز. **2.** قيام حركة تمرد في أرمينيا. **3.** السطو على بيت المال.
5	231هـ/845م	الواثق بالله	1. ثورة بنو فزارة في الجزيرة العربية. 2. قيام الأكراد بحركة تمرد. 3. اكتشاف حركة أحمد بن نصر الخزاعي وقتله واضطهاد اتباعه في بغداد.
6	232هـ/846م	الواثق بالله	1. ثورة بني نمير في الجزيرة العربية. 2. وفاة الخليفة في هذا العام.

(1) عن هذه الأحداث، انظر الفصل الثاني (الحركات المناوئة).

الخاتمة:

تحرت هذه الدراسة الكشف عن السياسة الداخلية والخارجية للدولـة العباسـية خلال عهد الواثق بالله (227-232هـ/841-847م).

1. أظهرت هذه الدراسة أن الخليفة الواثق بالله كان يمتلك رؤية واضحة حركت عجلة الثقافة في الدولة العباسية في عهده، وكان لثقافته الواسعة أثرها علـى الحركة العلمية والأدبية في عهده، فقد عج بلاطه ومجالسه بأعداد كبيرة من العلماء.
2. كشف البحث أن الواثق بالله انتهج سياسة صارمة تجاه الحركات المناوئة، فقد أرسل الجيوش لقمع أي حركة تمرد سواء كانت في أرمينية وجبال فـارس شرقاً، أو كانت في برقة بأقصى غرب الدولة، وبذلك فقد جعـل المـساس بسلامة الدولة هو الحد الفاصل الذي يعاقب من يتجاوزه عقاباً صارماً.
3. بينت الدراسة أن عهده هو امتداد لعهد أبيه المعتصم مـن الناحيـة الفكريـة المتعلقة بالاعتزال، وأن ما قام به الخليفة الواثق بالله من إجـراءات لتثبيـت أركان هذا المذهب لم تكن نابعة من قناعته، بل كانت تقليـداً لأبيـه علـى الأغلب، وقد تحرت الدراسة الكشف عن دور رجـال الإدارة فـي عهـده وأشهرهم وزيره محمد بن عبدالملك بن الزيات، وقاضي قضاته أحمـد بـن أبي دؤاد اللذين لعبا دوراً كبيراً في حمل الخليفة على التشدد في فرض هـذا المذهب على العامة، ولكنه لم يفلح بذلك لأن أئمة وعلماء كبار كأحمـد بـن حنبل قاوموا هذا الفكر الفلسفي الدخيل، وبعضهم دفع روحه ثمناً لمقاومة ما اعتبره مخالفاً للشرع.
4. أثبتت هذه الدراسة أن الخليفة الواثق بالله لم يكن مسؤولاً عن تسلط الأتـراك على مؤسسة الخلافة العباسية في العهود التالية له، فقد كانوا تحت سـيطرته وسخر قدراتهم لخدمة الدولة وقمع المناوئين لها.
5. كشفت الدراسة عن أن الخليفة الواثق بالله كان قصير النظر فيما يتعلق بولاية العهد، فكان تصرفه بعدم تولية عهده قد عكس فشلاً في إرساء قاعدة ثابتـة تحكم أسلوب انتقال السلطة داخل أسرة الخليفة نفسه.

وهو ما ترك أثره السلبي على الدولة العباسية بعد عصره، وبالتالي فإنه يتحمـل جزءاً من مسؤولية فتح المجال أمام الجيش للتدخل في شؤون إدارة الدولة وأخطرها تدخل الترك في منصب الخلافة.

6. تحرت الدراسة توضيح أن الواثق تبنى سياسة داخلية أبعدتـه عـن العامـة وأحدثت فجوة بينه وبينهم، حيث عزل نفسه عن الناس واضـطهد العلمـاء المخالفين له في الفكر، وأصبح تبني فكر الاعتزال والإيمان به علامة مـن علامات المواطنة الصالحة ومؤشر على إخلاص العامة للدولة، فأدى ذلـك إلى حدوث هوة بين الخليفة والرعية، كما أنه بانـشغاله بمجـالس الـسمر والطرب قد جعلت الناس يسئمونه.

7. انتهج الواثق سياسة الإسراف في أموال الدولة من خـلال تبـذيره الأمـوال وصرفها على الشعراء والمغنيين والجواري، بما أغدقه مـن مـنح وهـدايا عليهم وتقديمها لهم بسخاء، مما ترك أثره على خزانة الدولة التي أضـحت تعاني من النقص مما حدى به إلى مصادرة أموال الكتّاب.

8. أثبتت الدراسة أن الواثق بالله استطاع أن يحقق حالة من الانسجام بين شريحة مهمة من شرائح المجتمع تمثلت بالمزارعين والتجار، وبين الدولة من خلال قيامه ببعض الإجراءات التي قام بها لدعم التجار وإلغاء بعـض الـضرائب والدعم المالي السخي الذي قدمه لهم، وقـد اهـتم بـالمزارعين وسـاعدهم بمختلف الوسائل لتطوير هذا القطاع الحيوي والهام في الدولة.

9. كشفت الدراسة عن أن الهدوء والسلم الذي ساد بين الدولة العباسية والبيزنطية كانت وراءه أسباب عديدة تمثلت بشخصية الخليفة الواثق بالله الذي كان يميل نحو الثقافة والعلم أكثر من العسكرية والحـرب، كمـا أظهـرت الأحـداث الداخلية التي شهدتها الدولة في عهده عجزه عن مواجهة الدولة البيزنطيـة، فجيوش الدولة كانت مشتتة ومنشغلة بقمع حركات التمـرد الداخليـة هنـا وهناك.

10. بينت الدراسة أن الخليفة الواثق بالله لم يكن مبتـدعاً للـسلام مـع الدولـة البيزنطية، بل كانت الدولة العباسية في أزهى عصورها من قبل تقوم بهـذه

الخطوة مع البيزنطيين، وجاءت الدراسة لتثبت أن الدولـة البيزنطيـة هـي البادئة دائماً بالهجوم على أطراف الدولة العباسية، وبنفس الوقت كانت هـي المبادرة لطلب الهدنة وتبادل الأسرى.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي. (ت454هـ/1062م). (د.ت). **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، ط1، تحقيق نزار رضا، مكتبة الحياة، بيروت.

ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني. (ت630هـ/1232م). 1986م. **الكامل في التاريخ**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن الأزرق، أبو عبدالله. (ت896هـ/1464م). 1977م. **بدائع السلك في طبائع الملك**، تحقيق علي سامي النجار، منشورات وزارة الإعلام، بغداد.

ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد. (ت579هـ/1183م)، **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، تحقيق محمد عبدالقادر عطا.

ابن الجوزي، الإمام جمال الدين أبو الفرج. (ت597هـ/1200م). **الشفاء في مواعظ الملوك والخلفاء**، تحقيق فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الحرمين، الدوحة 1982م.

ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج. (ت597هـ/1200م). **صفة الصفوة**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1989م.

ابن الجوزي، جمال الدين أبي الفرج، **مناقب الإمام أحمد بن حنبل**، ط1، القاهرة 1979م.

ابن الزبير، القاضي الرشيد. (ت ق5هـ/12م)، **كتاب الذخائر والتحف**، ط1، تحقيق محمد حميد الله، الكويت 1984م.

ابن الطقطقا، محمد بن علي بن طباطبا. (ت709هـ/1309م). **الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية**، ط1، دار صادر، بيروت (د.ت).

ابن العبري، أبو الفرج غير يغور يوس الملطي (ت685هـ/1286م). **تاريخ مختصر الدول**، دار المسيرة، بيروت (د.ت).

ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبدالحي. (ت1089هـ/1686م)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، ط1، دار أحياء التراث العربي.

ابن العمراني، محمد بن علي بن محمد. (ت580هـ). 1973م. **الأنباء في تاريخ الخلفاء**، تحقيق قاسم السامرائي، مطبعة بريل، لندن.

ابن الفقيه. (ت289هـ/901م). **مختصر كتاب البلدان**، تحقيق دي خويه، مطبعة بريل، ليدن (د.ت).

ابن الكازروني، ظهير الدين علي بن محمد. (ت697هـ/1297م) **مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس**، ط1، تحقيق مصطفى جواد، وزارة الأعلام، بغداد 1992م.

ابن النديم، 1997م. **الفهرست**، تحقيق إبراهيم رمضان، بيروت.

ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر. (ت749هـ/1348م). **تاريخ ابن الوردي**، ط1، المطبعة الحيدرية، النجف 1969م.

ابن إياس الحنفي، محمد بن أحمد. (ت930هـ/1523م). **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، ط1، تحقيق محمد مصطفى، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة 1982م.

ابن أيبك الصفدي، صلاح الدين خليل. (ت764هـ/1362م). **كتاب الوافي بالوفيات**، ط1، اعتناء ديدرينغ، دار فرانز شتاينر للنشر، فيسبادون 1914م.

ابن بكار، الزبير. (ت256هـ/869م). **الأخبار الموفقيات**، ط1، تحقيق سامي مكي، دار عالم الكتاب، بيروت 1966م.

ابن تغري بردي. (ت874هـ/1469م). **النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة**، القاهرة 1984م.

ابن جريس، غثيان بن علي. **بحوث في التاريخ والحضارة الإسلامية**، ط1، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1993م.

ابن حبيب البغدادي، أبو جعفر محمد بن أمية بن عمر الهاشمي. (ت345هـ/955م)، **كتاب المحبر**، دار الآفاق الجديدة، بيروت (د.ت).

ابن حثلين، سلطان بن خالد. **الفقهاء والخلفاء**، دار عمار للنشر، عمان 2000م.

ابن حزم الأندلسي، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد. (ت384-456هـ/1063م). **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق نخبة من العلمـاء، ط1، دار الكتـب العلميـة، بيروت، 1983م.

ابن حزم الأندلسي، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد. (ت384-456هـ/1063م). **رسائل ابن حزم**، ط2، تحقيق إحسان عباس، المؤسـسة العربيـة للدراسـات والنشر.

ابن حنبل، إسحاق. **ذكر محنة الإمام أحمد**، مطبعة سعدي، القاهرة 1983م.

ابن خلدون، عبدالرحمن. (ت808هـ). **تاريخ ابن خلدون (العبر)**، اعتنى به صهيب الكرمي، بيت الأفكار، عمان، 2006م.

ابن خلكان، أحمد بن أبي بكر. (ت681هـ/1282م). **وفيات الأعيان وأنباء أبنـاء الزمان**، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، د.ت.

ابن خياط، خليفة. (ت240هـ/854م). **تاريخ خليفة بن خياط**، مراجعة مـصطفى نجيب، دار الكتب العلمية 1995م.

ابن دقماق. (ت809هـ/1404م). **الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين**، ط1، تحقيق محمد كمال الدين، عالم الكتاب، بيروت 1985م.

ابن طيفور، أبو الفضل أحمد بن طاهر. (ت280هـ/893م)، **كتاب بغـداد**، عنايـة محمد زاهد الكوثري، مكتبة الخانجي، القاهرة 1949م.

ابن عبدالحق البغدادي، صفي الدين عبـدالمؤمن. (ت739هـ ـ/1338م). **مراصـد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، تحقيق محمـد البجـاوي، دار الجيـل، بيروت 1992.

ابن عبدربه، أحمد بن محمد. (ت328هـ/939م). **العقد الفريـد**، ط1، دار إحيـاء التراث العربي.

ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبدالله بن مسلم. (ت276هـ). **عيون الأخبـار**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م.

ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم. (ت276هـ/889م). **المعارف**، ط1، تحقيـق ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

ابن كثير، الحافظ الدمشقي. (ت774هـ_1372م). **البدايـة والنهايـة**، ط2، مكتبـة المعارف، بيروت 1990م.

ابن منظور، محمد بن مكرم. (ت630هـ). **مختصر تاريخ دمشق لابـن عـساكر**، تحقيق روحية النحاس، دار الفكر.

ابن واردان. (عاش سنة 1172هـ/1758م). **تاريخ العباسيين**، ط1، تحقيق منجـي الكعبي، الإمارات (د.ت).

أبو الشيخ الأنصاري، أبو محمد عبدالله بن محمد بن جعفر بن حيـان المعـروف. (ت274-369هـ/861-979م). **طبقات المحـدثين بأصـبهان والـواردين عليها**، تحقيق عبد الغفور البلوشي، مؤسسة الرسالة، بيروت 1988م.

أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل. (ت732هـ/1331م). **المختصر في أخبار البشر**، ط1، المطبعة الحسينية، القاهرة (د.ت).

أبو خليل، شوقي. **عمورية بقيادة المعتصم**، دار الفكر، بيروت 1988م.

أبو يعلى، القاضي أبو الحسين محمد. **طبقـات الحنابلـة**، دار المعرفـة، بيـروت 1982م.

أبو يعلى، القاضي الفراء. **الأحكام السلطانية**، تحقيق محمد عبدالقادر فارس، مؤسسة الرسالة، بيروت 1980م.

أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم. (ت182هـ /897م). **كتـاب الخـراج**، المطبعـة السلفية، القاهرة 1936م.

أحمد محمود صبحي، **في علم الكلام (المعتزلة)**، ط4، مؤسسة الثقافـة الجامعيـة، الإسكندرية 1982م.

أحمد، عبدالحسين علي. **بيت المال في بغداد خلال العصر العباسـي الأول**، 132-232هـ، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة عين شمس، القاهرة، 1989م.

أحمد، عبدالحسين علي. **موقف الخلفاء العباسيين من أئمة أهل الـسنة**، دار قطري بن الفجاءة، قطر 1985م.

أحمد، محمد توفيق. **أثر الترك السياسي والاجتماعي فـي بـلاد العـراق**، رسـالة ماجستير غير منشورة، القاهرة، 1961م.

الأربلي، عبدالرحمن بن سنبط. (ت717هـ/1317م). **خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك**، ط1، مكتبة المثنى، بغداد (د.ت).
الأزدي، الإمام جمال الدين أبو الحسن علي. (ت613هـ/1216م). **أخبار الدول المنقطعة**، ط2، تحقيق عصام هزايمة وآخرون، دار الكندي، اربد 1999م.
الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبدالله بن أحمد. (ت223هـ/837م)، **أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار**، ط1، تحقيق رشدي الصالح، دار الأندلس، بيروت 1983م.
الاسكندراني، عمر. **تاريخ مصر إلى الفتح العثماني**، مكتبة مدبولي، القاهرة 1996م.
الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت330هـ/941م)، **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، ط2، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، دار النهضة المصرية، القاهرة 1969م.
الأصبهاني، أبو نعيم. **حلية الأولياء**، دار الكتاب العربي، بيروت 1969م.
الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت356هـ/975م). **كتاب الأغاني**، ط1، تحقيق نخبة من الأدباء، دار الثقافة، بيروت 1983م.
الأصفهاني، حمزة بن يحيى. (ت360هـ/970م). **تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء عليهم السلام**، ط1، مكتبة الحياة، بيروت 1961م.
الأطرقجي، رمزية. **الحياة الاجتماعية في بغداد منذ نشأتها حتى نهاية العصر العباسي الأول**، منشورات جامعة بغداد 1982م.
أمين، أحمد. **ضحى الإسلام**، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.
أمين، أحمد. **فجر الإسلام**. مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1986م.
أمين، أحمد. **موسوعة الحضارة العربية الإسلامية**، دار نوبليس، بيروت 2006م.
أمينة البيطار، **دراسات في تاريخ الخلافة العباسية**، دار جرير، الرياض 2002م.
أيوب، إبراهيم. **التاريخ العباسي السياسي والحضاري**، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، 1989م.

أيوب، إبراهيم. **التاريخ العباسي السياسي والحضاري**، الشركة العالميـة للنـشر، بيروت، 1989م.

البسوي، أبو يوسف يعقوب بن سفيان. (ت277هـ/890م). **كتاب المعرفة والتاريخ**، تحقيق أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1981م.

البطاينة، محمد ضيف الله. الجيش الإسلامي بنشأته وتطوره، **مجلة المؤرخ العربي**، عدد33، بغداد 1987. ص ص 24-36.

البغدادي، أبو علي يحي بن جزية. (ت493هـ). **مختصر تاريخ بغداد**، تحقيق شاكر محمود، بيت الحكمة، بغداد 2003م.

البغدادي، عبدالقاهرة بن طاهر بن محمد. (ت429هـ/863م) **الفرق بين الفـرق**، تحقيق إبراهيم رمضام، دار المعرفة، بيروت 2001م.

البغدادي، محمد بن حبيب. (ت245هـ/859م). **كتاب المنمق**، ط1، تحقيق خـور شيد أحمد فاروق، دار عالم الكتاب، بيروت 1985م.

البكجري، علاء الدين بن عبدالله. (ت762هـ/1360م). **مختصر تـاريخ الخلفـاء**، ط1، دار الفجر، القاهرة 2001.

البكري، أبو عبيد. (ت487هـ). **المسالك والممالك**، ط1، تحقيق أدريان فإن ليوفن، واندري فيري، وزارة الثقافة، تونس 1992م.

البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر. (ت279هـ/892م). **فتـوح البلـدان**، تحقيـق رضوان محمد، ط1، دار الكتاب، بيروت 1978م.

البلاذري، أحمد بن يحيى. (ت279هـ/843م). **أنساب الأشراف**، تحقيق عبد العزيز الدوري، المطبعة الكاثوليكية، بيروت 1987م.

البلخي، أبو زيد أحمد بن سهل ، **كتاب البدء والتاريخ**، باريس، 1899م.

بني سلامة، جميل محمود. **دمشق فـي العـصر العباسـي خـلال الفتـرة 232-264هـ/749-877م**، رسالة دكتوراة غير منـشورة، الجامعـة الأردنيـة، 2003م.

البيهقي، الشيخ إبراهيم بن محمد. (ت320هـ/932م). **المحاسن والمـساوئ**، ط1، دار صادر، بيروت (د.ت).

الترمانيني، عبدالسلام. **أحداث التاريخ الإسلامي بترتيب السينين،** ط1، طلاس دار، دمشق 1988م.

الترمانيني، عبدالسلام. **أزمنة التاريخ الإسلامي**، تحقيق ومراجعة شاكر مصطفى، جامعة الكويت 1982.

تقي الدين الحنفي، عبدالقادر الغزي. **الطبقات السنية في تراجم الحنفية**، تحقيق عبدالفتاح الحلو، دار الرفاعي، الرياض، 1983م.

التميمي، محمد بن أحمد بن تميم. (ت333هـ/944م). **كتاب المحن**، تحقيق يحي الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1983م.

التنوخي، أبو علي المحسن بن علي. (ت384هـ/994م). **الفرج بعد الشدة**، تحقيق عبود الشالجي، دار صادر، بيروت 1978م.

ثابت، نعمان. **العسكرية في عهد العباسيين**، مراجعة حامد أحمد الورد، بغداد 1986م.

الثعلبي، محمد بن الحارث. (ت ق3هـ). **أخلاق الملوك**، ط3، تحقيق جليل العطية، دار الطليعة، بيروت 2000م.

الجاحظ. (ت255هـ/868م). **التاج في أخلاق الملوك**، ط1، تحقيق أحمد زكي باشا، المطبعة الأميرية، القاهرة. (د.ت).

الجاحظ، أبو عثمان بن عمرو بن بحر. (ت255هـ/868م). **كتاب البخلاء**، دار إحياء العلوم، بيروت 1986م.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. (ت255هـ/868م). **المحاسن والأضداد**، ط1، راجعه عاصم عيتناي، دار إحياء العلوم، بيروت 1986.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. (ت255هـ/868م). **مناقب الترك**، تحقيق عبدالسلام هارون، القاهرة 1964م.

جار الله، زهدي. **المعتزلة**، المؤسسة العربية للنشر، بيروت 1990م.

جدعان، فهمي. **المحنة بحث في جدلية الديني والسياسي في الإسلام**، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان 1989م.

الجنابي، خالد جاسم. **تنظيمات الجيش في العصر العباسي الثاني 218-334هـ/ 833-945م،** دار الشؤون الثقافية، بغداد 1989م.

الجنابي، خالد. **الجيش، موسوعة حضارة العراق،** بغداد 1986م.

الجهشياري، أبو عبدالله محمد بن عبدوس. (ت331هـ/942م)، **الوزراء والكتاب،** تحقيق مصطفى السقا وآخرون، ط2، مكتبة إلياس، القاهرة، (د.ت).

جودة، صادق. **الرحلة المتوكلية إلى دمشق،** دار عمار، عمان 1985م.

حتي، فيليب. وآخرون. **تاريخ العرب مطول،** ط4، بيروت، 1965م.

الحديثي، محمد جاسم. **وصايا الخلفاء والأمراء السياسية والإدارية في العصر العباسي،** المجمع العلمي العراقي، بغداد، 2002م.

حسن، إبراهيم حسن، **النظم الإسلامي،** القاهرة (د.ت).

حسن، إبراهيم حسن، **تاريخ الإسلامي السياسي والديني والثقافي والاجتماعي،** ط4، دار الأندلس، بيروت 1969م.

حسن، أحمد محمود؛ الشريف، أحمد إبراهيم. **العالم الإسلامي في العصر العباسي،** ط1، دار الفكر العربي، القاهرة 1995م.

الحمارنة، صالح. "**ثورة الفلاحين في فلسطين"، المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام،** الجامعة الأردنية، عمان، 1983م.

الحميري، محمد بن عبدالمنعم. **الروض العطار في خبر الأقطار،** تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان 1984م.

الحنفي، تقي الدين عبدالقادر التميمي المصري. (ت1005هـ/1596م). **الطبقات السنية في تراجم الحنفية،** تحقيق عبد الفتاح الحلو، دار الرفاعي، الرياض 1983م.

حنفي، حسن. **موسوعة الحضارة العربية الإسلامية،** المؤسسة العربية للنشر، بيروت 1986م.

الحياري، مصطفى. **الدواوين من كتاب الخراج وصناعة** الكتابة، الجامعة الأردنية، 1986م.

الخازن، وليم. **الحضارة العباسية،** دار المشرق، بيروت 1992م.

الخضري، محمد بيك. **الدولة الأموية**، دار المعرفة، بيروت 2001م.

الخضري، محمد بيك. **محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية**، القاهرة (د.ت).

الخطيب البغدادي، الحافظ أبي بكر أحمد بن علي. (ت463هـ/107م). **تاريخ بغداد أو مدينة السلام**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت).

الخفاجي، شهاب الدين أحمد. **شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل**، تعليق محمد عبدالمنعم خفاجي، ط1، القاهرة 1952م.

خماش، نجدت. **التنظيم الإداري في العصر العباسي**، المؤتمر الخامس لتاريخ بلاد الشام، منشورات الجامعة الأردنية 1990م.

الخوارزمي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف (ت387هـ - 997م)، **مفاتيح العلوم**، ط1، تحقيق نهى النجار، دار الفكر اللبناني، بيروت 1993م.

الدباغ، لطفي؛ العلي، حازم. **معركة عمورية**، مركز البحوث، بغداد 1986م.

الدجيلي، خولة شاكر. **بيت المال نشأته وتطوره في العصر العباسي الأول**، وزارة الأوقاف، بغداد 1976م.

داراكة، صالح. **طرق الحج الشامي**، منشورات الجامعة الأردنية 1992م.

الدميري، الشيخ كمال الدين. (ت808هـ). **تاريخ الخلفاء**، عناية محمد الفاضلي، مؤسسة المعارف للمطبوعات، بيروت 2001م.

الدميري، كمال الدين محمد بن عيسى بن علي. (ت808هـ/1405م). **حياة الحيوان الكبرى**، دار إحياء التراث العربي، بيروت (د.ت).

الدوري، عبدالعزيز. **العصر العباسي الأول**، دار الطليعة، بيروت، 1988م.

الدوري، عبدالعزيز. **النظم الإسلامية**، ط1، مطبعة نجيب، بغداد 1950م.

الدوري، عبدالعزيز. **تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري**، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1995م.

الدوري، عبدالعزيز. **دراسات في العصور العباسية المتأخرة**، مكتبة الطليعة، بيروت 1988م.

الدوري، عبدالعزيز. **مقدمة في التاريخ الاقتصادي العرب**، ط1، دار الطليعة، بيروت، 1969م.

الديار بكري، حسين بن محمد الحسن. (ت966هـ/1559م). **تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس**، مؤسسة شعبان للنشر، بيروت (د.ت).
الديوه جي، سعيد. **تاريخ الموصل**، منشورات المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1982م.
الذنيبات، عوض. **إسهامات علماء الكوفة في الحركة الفكرية في بغداد**، وزارة الثقافة، عمان.
الذهبي الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان. (ت748هـ). **دول الإسلام**، تحقيق عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت 1991م.
الذهبي، الإمام شمس الدين محمد بن أحمد. (ت748هـ/1347م). **العبر في خبر من غبر**، ط1، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985م.
الذهبي، الإمام شمس الدين. (ت748هـ/1347م). **تذكرة الحفاظ**، دار الكتب العلمية، بيروت 1954م.
الذهبي، الحافظ شمس الدين. (ت746هـ/1345م). **كتاب دول الإسلام**، ط1، دار المعارف النظامية، حيدر آباد.
الرفاعي، أحمد فريد. **عصر المأمون**، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة 1972م.
الرفاعي، أنور. **تاريخ الفن عند العرب والمسلمين**، دار الفكر، دمشق 1977م.
الروضان، عبد عون. **تاريخ العرب**، الأهلية للنشر، عمان، 2004م.
الريس، محمد ضياء الدين. **الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية**، ط1، دار التراث، القاهرة، 1985م.
زامباور، **معجم الأسر الحاكمة**، ترجمة سيده إسماعيل كاشف، دار الرائد العربي، بيروت، (د.ت).
الزجاجي، أبو القاسم عبدالرحمن، **مجالس العلماء**، ط2، تحقيق عبدالسلام هارون، الكويت 1984.
الزحيلي، محمد. **تاريخ القضاء في الإسلام**، دار الفكر، بيروت، 1995م.
الزركلي، خير الدين. **الإعلام**، ط2، دار العلم للملايين، بيروت 1984م.

الزهراني، ضيف الله يحيى. **النفقات وإدارتها في الدولة العباسية**، مكتبة الطالب الجامعي، مكة 1986م.

زيدان، جرجي. **تاريخ التمدن الإسلامي**، دار الهلال، بيروت (د.ت).

الزيلعي، أحمد عمر. **مكة وعلاقاتها الخارجية**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الرياض، 1978م.

سالم، السيد عبدالعزيز. **العصر العباسي الأول**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية 1977م.

السامرائي، حسام الدين. **المؤسسات الإدارية في الدولة العباسية خلال الفترة 247-334هـ/861-945م**، دار الفكر العربي، بيروت 1971م.

السامرائي، حسام الدين. **مجالات الضرائب على الأرض والتاريخ الزراعي**، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، مؤسسة آل البيت، عمان 1990م.

السامرائي، خليل إبراهيم. **الإدارة المالية في الإسلام**، منشورات مؤسسة آل البيت، عمان 1989م.

السامرائي، خليل إبراهيم. **تاريخ الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي**، جامعة الموصل 1988م.

السامرائي، خليل. **تطور ملكية الأرض في العصور العباسية**، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإنسانية، مؤسسة آل البيت، عمان 1986م.

السبكي، تاج الدين أبي نصر عبدالوهاب بن علي بن عبدالوهاب بن علي بن عبدالكافي. (ت727-771هـ/1326-1369م). **طبقات الشافعية الكبرى**، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي، دار إحياء الكتب العلمية، القاهرة (د.ت).

سرور، محمد جمال الدين. **الدولة العربية الإسلامية**، دار الفكر العربي، القاهرة، 2001م.

سليمان، حسين محمد. **الدولة الإسلامية في العصر العباسي**، دار عالم الكتاب، الرياض، 1984م.

سليمان، علي جاسم. موسوعة **أعلام الخلفاء**، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، 2003م.

السيوطي، الإمام الحافظ جلال الدين. (ت911هـ/1505م). **التبري من معرة المعري وتحفة الظرفاء بأسماء الخلفاء**، تحقيق: محمود محمد نصار، دار الجيل، بيروت، 1989م.

السيوطي، الإمام الحافظ جلال الدين. (ت911هـ/1505م). **كتاب التبري من معرة المعري وتحفة الظرفاء بأسماء الخلفاء**، تحقيق محمود محمد نصار، دار الجيل، بيروت 1989م.

السيوطي، الحافظ جلال الدين. (ت911هـ/1505م). **تاريخ الخلفاء**، ط1، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، مطبعة السعادة، مصر 1952م.

السيوطي، جلال الدين. (ت911هـ/1505م). **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة 1976م.

السيوطي، جلال الدين. (ت911هـ/1505م). **طبقات الحفاظ**، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة وهبه، القاهرة، 1994م.

الشابستي، أبو الحسن علي بن محمد. (ت388هـ/998م) **الديارات**، ط1، دار الرائد العربي، ط1، بيروت (د.ت).

الشافعي، الإمام محمد بن إدريس. (ت204هـ/819م). **كتاب الأم**، تصحيح محمد النجار، مكتبة الأزهر، 1961م.

شاكر، محمود. **الدولة العباسية**، المكتب الإسلامي، القاهرة، 1991م.

شباور، عصام محمد. **القضاء في الإسلام**، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1983م.

الشريف الإدريسي، أبو عبدالله محمد بن محمد بن عبد الله بن أدريس الحموي (ت ق6هـ). **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، ط2، دار عالم الكتاب، بيروت 1989م.

شريف، حسن. **فلسطين من عصر ما قبل التاريخ حتى انتفاضة الأقـصى،** الهيئـة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 2003م.

الشكعة، مصطفى. **الإمام أحمد بن حنبل،** دار الكتب اللبناني، بيروت، 1984م.

شلبي، أبو زيد ، **تاريخ الحضارة العربية الإسلامية والفكر الإسلامي**، مكتبة وهبة، القاهرة 1964م.

شلبي، أحمد. **التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية**، مكتبة النهـضة المـصرية، القاهرة 1970م.

شلبي، أحمد. **موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية**، ط1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1985م.

الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم. (ت548هـ/1153م) **الملل والنحـل**، دار صادر، بيروت (د.ت).

الشواورة، فتحي يوسف. **سياسة الخليفة المهدي الداخلية،** رسالة ماجـستير غيـر منشورة، جامعة مؤتة 1999م.

الشوحة، خلدون. **موقف بلاد الشام من الخلافة العباسية**، رسالة ماجـستير غيـر منشورة، جامعة اليرموك 1992م.

الشيخلي، صباح. **الأصناف في العصر العباسي نشأتها وتطورها**، بغداد (د.ت).

الصابي، أبو الحسن الهلال بن الحسن، **الوزراء أو تحفة الأمراء**، تحقيق عبدالستار فراج، بيروت، 1958م.

الصابي، أبو الحسين هلال بن المحسن (ت448هـ/1056م)، **رسوم دار الخلافـة**، ط1، تحقيق ميائيل عواد، مطبعة العاني، بغداد 1964م.

صالح الأشقر، عمورية بقيادة المعتصم، دار الشرق العربي، بيروت، (د.ت).

صبحي، أحمد محمود. **في علم الكلام،** مؤسـسة الثقافـة الجامعيـة، الإسـكندرية، 1982م.

صفوت، أحمد زكي. **جمهرة رسائل العرب في العـصور العربيـة**، ط1، المكتبـة العلمية، بيروت (د.ت).

صقر، نادية حسني. **السلم في العلاقات العباسية البيزنطية في العصر العباسي الأول**، دار الندوة الجديدة، بيروت 1985م.
الضلاعين، مروان عاطف. **التجارة في بغداد في العصر العباسي الأول (145-247هـ/ 762-861م)**، رسالة دكتوراة غير منشورة، الجامعة الأردنية 2006م.
الضمور، طالب حامد. **التربية والتعليم في العراق في العصر العباسي الأول**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة مؤتة 1996م.
الضمور، هناء أحمد محمود. **الحياة العلمية والثقافية في سامراء**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة مؤتة 2001م.
ضناوي، سعدي. **موسوعة هارون الرشيد**، دار صادر، بيروت 2001م.
الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت310هـ/922م)، **تاريخ الرسل والملوك**، ط4، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 2005
الطراونة، طه. **حركة التجارة في بلاد الشام والبلاد الإسلامية في العصر العباسي**، المؤتمر الولي الخامس لتاريخ بلاد الشام في العصر العباسي، الجامعة الأردنية 1990م.
الطرطوشي، أبو بكر محمد بن الوليد (ت520هـ/226م)، **سراج الملوك**، ط1، تحقيق فتحي أبو بكر، ط1، الدار المصرية اللبنانية للكتاب، القاهرة، 1994م.
طقوش، محمد سهيل. **تاريخ الدولة العباسية**، دار النفائس، بيروت، 1996م.
عاشور سعيد، عبدالفتاح. **دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية**، دار ذات السلاسل، الكويت 1986م.
عاشور، سعيد عبدالفتاح. **أوروبا العصور الوسطي التاريخ السياسي**، ط10، مكتبة الأنجلو مصريه، القاهرة 1986م.
عاقل، نبيه. **فلسطين من الفتح الإسلامي إلى أواسط القرن الرابع الهجري**، الموسوعة الفلسطينية، بيروت 1990م.
العبادي، أحمد مختار. **تاريخ الدولة العباسية**، ط1، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية 2005م.

عباس، إحسان. **تاريخ بلاد الشام**، في العصر العباسي، الجامعة الأردنيـة، عمـان 1992م.

عبدالباقي، أحمد. **سامرا عاصمة الدولة العربية في عهد العباسيين**، دار الـشؤون الثقافية، بغداد 1989م.

عبدالجبار، القاضي (ت415هـ/1024م). **شرح الأصول الخمـسة**، ط1، تحقيـق عبدالكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة 1956م.

عبدالفتاح، صفاء حافظ. **نظام الحكم في الدولة العباسية**، ط، دار الفكـر، القـاهرة 1985م.

عبدالله، علي. **نوابغ العلماء العرب والمسلمين في الرياضيات**، دار جـون وايلـي 1980م.

عبدالملك المكي، حسين بن عبدالملك الشافعي العاصـمي. (ت1111هـ ـ). **سـمط النجوم العوالي في أنباء الأوائـل والتـوالي**، ط1، تحقيـق عـادل أحمـد عبدالموجود، دار الكتب العلمية، بيروت 1998م.

عبدالهادي، صلاح. **البصرة فـي العـصر العباسـي الأول**، موسـوعة البـصرة الحضارية، جامعة البصرة 1989م.

عثامنة، خليل. **فلسطين في خمـسة قـرون، (634-1099هـ ـ/123-1687م)**، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت 2000م.

عثمان، فتحي. **الحدود الإسلامية البيزنطيـة**، ط1، دار الكاتب العربـي، القـاهرة، (د.ت).

العريني، السيد الباز. **الدولة البيزنطية 323-1081م**، ط1، دار النهضة العربيـة، بيروت 1982م.

العزام، خالد. **موسوعة التاريخ الإسلامي**، العصر العباسـي، دار أسـامة للنـشر، عمان، 2003م.

العسقلاني، الإمام الحافظ أحمد بـن حجـر. (ت773-852هـ ـ/1371-1448م). **أطراف مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق زهير الناصر، دار ابـن كثيـر، دمشق 1993م.

العسكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله. **كتاب الأوائل**، ط1، تحقيـق محمـد السيد الوكيل، المدينة المنورة، (د.ت).

العش، محمد أبو الفرج. **تاريخ عصر الخلافة العباسية**، ط1، دار الفكـر، دمـشق، 1982م.

عطوان، حسين. **الزندقة والشعوبية في العصر العباسي الأول**، دار الجيل، بيـروت 1986م.

علم الدين، مصطفى. **الزمن العباسي**، دار النهضة العربية، ط1، بيروت 1993م.

علي، أحمد إسماعيل. **تاريخ بلاد الشام في العصر العباسي**، دار دمـشق للنـشر، دمشق 1983م.

علي، سيد أمير. **مختصر تاريخ العرب**، ترجمة عفيف بعلبكي، دار العلم للملايـين، بيروت، 1981م.

العلي، صالح أحمد. **الخراج في العراق في العهود الإسلامية الأولى**، ط1، المجمـع العلمي العراقي، بغداد 1990م.

العلي، صالح أحمد. **سامراء دراسة فـي النـشأة والبنيـة والسكانية**، شـركة المطبوعات للنشر، بيروت (د.ت).

العلي، صالح أحمد. **قضاة بغداد في العصر العباسي الأول**، مجلة المجمـع العلمـي العراقي، بغداد 1969م.

العلي، صالح أحمد. **معالم بغداد الإدارية والعمرانية**، دار الشؤون الثقافيـة، بغـداد 1988م.

علي، محمد كرد. **الإدارة الإسلامية في عز العرب**، القاهرة 1934م.

عمارة، محمد. **المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية**، ط1، المؤسسة العربية للنـشر، بيروت 1972م.

العمد، إحسان وآخرون، **تاريخ الدولة العباسية**، جامعة القدس 1995م.

العمرجي، أحمد شوقي إبراهيم. **المعتزلة في بغداد وأثرهم فـي الحيـاة الفكريـة والسياسية في خلافة المأمون حتى وفاة المتوكل على الله من سـنة 198-247هـ/813هـ-861م**، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2000م.

العمري، ابن فضل الله. (ت749هـ/1348م). **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، تحقيق، محمد سالم الصوفي، مطبعة المدني، القاهرة 1990م.

العوا، عادل. **المعتزلة والفكر الحر**، دار الأهالي للطباعة، دمشق 1987م.

الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد. (ت832هـ). **شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام**، بيروت، دار الكتب العلمية (د.ت).

فوزي، فاروق عمر. **التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين**، دار اقـرأ، بيـروت 1985م.

فوزي، فاروق عمر. **الخلافة العباسية عصر القوة والازدهار**، دار الشروق، عمان، 1998م.

فوزي، فاروق عمر. **العباسيون الأوائل**، دار مجدلاوي للنشر، عمان 2003.

فوزي، فاروق عمر. ألقاب **الخلفاء العباسيين ودلالاتها الدينية والسياسية**، مجلـة كلية الآداب جامعة بغداد، دار المعارف 1970

فوزي، فاروق عمر. الوزارة، **مجلة حضارة العراق**، بغداد، 1984. ص ص:

فوزي، فاروق، عمر. **محاضرات في تاريخ الخلافة العباسية في عـصر الفوضـى العسكرية**، ط1، مطبعة دار السلام، بغداد، 1973م.

قدامة بن جعفر، أبو الفرج البغدادي (ت329هـ/940م)، **الخراج وصناعة الكتابة**، شرح وتعليق محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد، بغداد 1986م.

القرة غولي، جهادية. **العقلية العربية في التنظيمات الإدارية والعسكرية في العراق والشام خلال العصر العباسي الأول**، دار الشؤون الثقافية، بغداد 1986م.

القرعان، ختام محمود. **الفكر التربوي عند الإمام أحمد بن حنبل**، رسالة ماجـستير غير منشورة، جامعة اليرموك 1992م.

القرماني، أحمد بن يوسف. (ت1019هـ/1610م). **أخبار الدول وآثار الأول فـي التاريخ**، ط1، تحقيق أحمد حطيط وفهمي سعيد، دار عالم الكتـاب، بيـروت 1992م.

القزويني، زكريا بن محمد بن محمود. **آثار البلاد وأخبار العباد**، بيروت، د.ت.

القضاعي، القاضي محمد بن سلامة بن جعفر أبو عبدالله. (ت454هـ/1062م)، **تاريخ القضاعي كتاب عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف**، تحقيق جميل المصري، ط1، مكة المكرمة 1995م.

القلقشندي. أبو العباس أحمد بن علي. (ت820هـ-1417م). **قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان**، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب 1982م.

القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي. (ت820هـ-1417م). **مآثر الإنافة في معالم الخلافة**، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار عالم الكتاب، بيروت، 1980م.

القلقشندي، أبو العباس أحمد. (ت821هـ/1418م). **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1980م.

القلقشندي، أبو العباس أحمد. (ت821هـ/1418م)، **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، دار الكتب المصرية، القاهرة 1987م.

كابتي، غيداء خزنة. **الخراج منذ الفتح العربي حتى أواسط الفتح الإسلامي حتى أواسط القرن الثالث الهجري**، الممارسات النظرية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1994م.

الكبيسي، حمدان عبدالمجيد. **أسواق بغداد حتى بداية العصر البويهي**، ط1، بغداد (د.ت).

الكبيسي، حمدان. **مقال الصناعة**، مجلة حضارة العراق، بغداد 1986م.

الكروي، إبراهيم. **نظام الوزارة في العصر العباسي الأول**، الإسكندرية 1989م.

الكساسبة، انتصار. **صراع البيت العباسي على السلطة في العصر العباسي الأول**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة مؤتة 2007م.

الكساسبة، حسين فلاح. **السلطة القضائية في العصر العباسي**، ط1، مركز زايد للتراث، الإمارات، ط1، 2001م.

الكساسبة، حسين فلاح. **المؤسسات الإدارية في مركز الخلافة العباسية**، منشورات جامعة مؤتة، المطبعة الوطنية، 1992م.

الكلبي، زهير. **موسوعة تاريخ المسلمين**، دار الفكر، بيروت 1994م.

الكندي، محمد بن يوسف. (ت353هـ/964م). **كتاب الولاة والقضاة**، ط1، تحقيق محمد إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م.

الكندي، محمد بن يوسف. (ت353هـ/964م). **ولاة مصر**، ط1، تحقيق حسين نصار، دار صادر، بيروت (د.ت).

كنعان، محمد بن أحمد. **تاريخ الدولة العباسية وما رافقها من ممالك مؤسسة المعارف**، بيروت 1998م.

كوك، ريجارد. **بغداد مدينة السلام**، ط1، ترجمة فؤاد جميل، منشورات جامعة بغداد 1962م.

كيغي، وولتر. **بيزنطة والفتوحات الإسلامية**، ترجمة نقولا زيادة، الأهلية للنشر، عمان، 2002م.

لسترانج، كي. **بلدان الخلافة الشرقية**، ط1، ترجمة فرنيس وكوركيس عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت 1985م.

اللميلم، عبدالعزيز. **نفوذ الأتراك في الخلافة العباسية**، جامعة الإمام، الرياض، ص983.

ليسز، يعقوب. **خطط بغداد في العهود العباسية**، ترجمة صالح العلي، المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1984م.

مؤلف مجهول. **العيون والحدائق في أخبار الحقائق**، تحقيق دي خويه، مكتبة المثنى، بغداد (د.ت).

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد. (ت450هـ)، **نصيحة الملوك**، تحقيق محمد جاسم الحديثي، دار الشؤون الثقافية، بغداد 1986م.

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد. (ت450هـ/1058م). **أدب الدنيا والدين**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1979م.

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد. (ت450هـ/1058م)، **الأحكام السلطانية والولايات الدينية**، دار الكتب العلمية، بيروت 1978م.

المجالي، بيان ممدوح. **عصر المأمون 198-218هـ/813-833م**، رسالة دكتوراة غير منشورة، الجامعة الأردنية 2002م.

محل، طلب صبار. **رسوم دار الخلافة**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة صلاح الدين 1989م.

محمود، حسن أحمد. **العالم الإسلامي في العصر العباسي**، دار الفكر العربي، القاهرة 1995م.

المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسن. (ت346هـ/956م) **التنبيه والإشراف**، ط1، مكتبة هلال، بيروت 1981م.

المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي. (ت346هـ/957م)، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ط2، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت (د.ت).

مسكويه، أبو علي أحمد بن يعقوب. (ت421هـ/1030م). **تجارب الأمم وتعاقب الهمم**، تحقيق سيد كسروي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م.

مصطفى، شاكر. **جنوب بلاد الشام في العصر العباسي**، 132-358هـ/749-968م، منشورات الجامعة الأردنية، عمان 1992م.

مصطفى، شاكر. **دولة بني العباس**، الكويت 1983م.

مصطفى، شاكر. **موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها**، دار العلم للملايين، بيروت 1993م.

مطران، خليل. **مرآة الأيام في ملخص التاريخ العام**، دار مأمون عبود، بيروت، (د.ت).

المعاضيدي، عبدالقادر. سلمان **(أمراء وولاة العراق وسلطاتهم)**، موسوعة حضارة العراق، بغداد 1984م.

معروف، ناجي والدوري، عبدالعزيز. **موجز تاريخ الحضارة العربية**، دار المعارف، بغداد، 1948م.

معروف، ناجي. **أصالة الحضارة العربية الإسلامية**، دار الثقافة، بيروت، 1975م.

المقدسي، المطهر بن طاهر. **البدء والتاريخ المنسوب لأبي زيد البلخي**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة (د.ت).

مقديش، محمود. **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار**، تحقيق علي الزوادي، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1988م.

المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي. (ت845هـ/1450م). **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، بيروت (د.ت).

ملكاوي، خلود يحيى. **الدراهم العباسية المضروبة في سر من رأى**، رسالة ماجستير غير منشورة، مؤتمر تاريخ بلاد الشام، الجامعة الأردنية 1990م.

ملكاوي، خلود يحيى. **الدراهم العباسية المضروبة ما بين (231هـ-234هـ).** رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، 1994م.

المناصير، محمد عبدالحفيظ. **الجيش في العصر العباسي الأول**، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة النيلين 1998م.

الموادري، أبو الحسن، **نصيحة الملوك**، ط1، تحقيق فؤاد عبدالمنعم أحمد، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية 1988م.

الميداني، محمود عصام. **الأطلس التاريخي**، مراجعة عبدالرحمن حميدة، دار دمشق، 1995م.

ناجي، عبدالجبار وآخرون. **الدولة العربية في العصر العباسي**، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 2003.

النجار، عبدالوهاب. **الخلفاء الراشدون**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت).

نوري، دريد عبدالقادر. **الأجور والرواتب في العصر العباسي الأول**، مجلة المؤرخ العربي، بغداد 1987م.

نوري، موفق سالم. **العلاقات العباسية البيزنطية**، بغداد، 1991م.

النويري، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب. (ت733هـ/1332م). **نهاية الأرب في فنون الأدب**، ط1، تحقيق محمد جابر عبدالعال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1984م.

هارون، أندريه كلو. **الرشيد ولعبة الأمم**، ط1، ترجمة صادق الموسوي، المؤسسة العربية للنشر، بيروت 2005م.

هاري، هازارد، **أطلس التاريخ الإسلامي**، ترجمة وتحقيق، ابراهيم خورشيد,مكتبة النهضة المصرية،القاهرة (د.ت).

الهاشمي، عادل. (الموسيقى والغناء)، **مجلة حضارة العراق**، عدد9، مطبعة بغداد، بغداد 1985. ص ص 64-73.

الهاشمي، عبدالمنعم. **الخلافة العباسية**، دار ابن حزم، بيروت 2003م.

الهجرسي، محمود. **محمد بن عبدالملك الزيات**، المؤسسة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1965م.

الوشمي، صالح بن سليمان. **ولاية اليمامة دراسة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية حتى نهاية القرن الثالث الهجري**، مكتبة الملك عبد العزيز، الرياض 1412هـ.

وكيع، محمد بن خلف بن حيان. (ت306هـ/918م). **أخبار القضاة**، عالم الكتاب، بيروت (د.ت).

اليافعي، عفيف الدين عبدالله بن أسعد. (ت768هـ/1366م). **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان**، ط1، تحقيق عبدالله الجبوري، مؤسسة الرسالة، بيروت.

ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبدالله الرومي البغدادي. **معجم البلدان**، ط1، دار صادر، بيروت.

ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).

اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح. (ت284هـ/798م). **كتاب البلدان**، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت 1988م.

اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح. (ت284هـ/897م). **تاريخ اليعقوبي**، ط1، دار صادر، بيروت (د.ت).

اليوزبكي، توفيق سلطان. **الوزارة نشأتها وتطورها في الدولة العباسية**، جامعة الموصل، 1976م.

ب. المراجع الأجنبية:

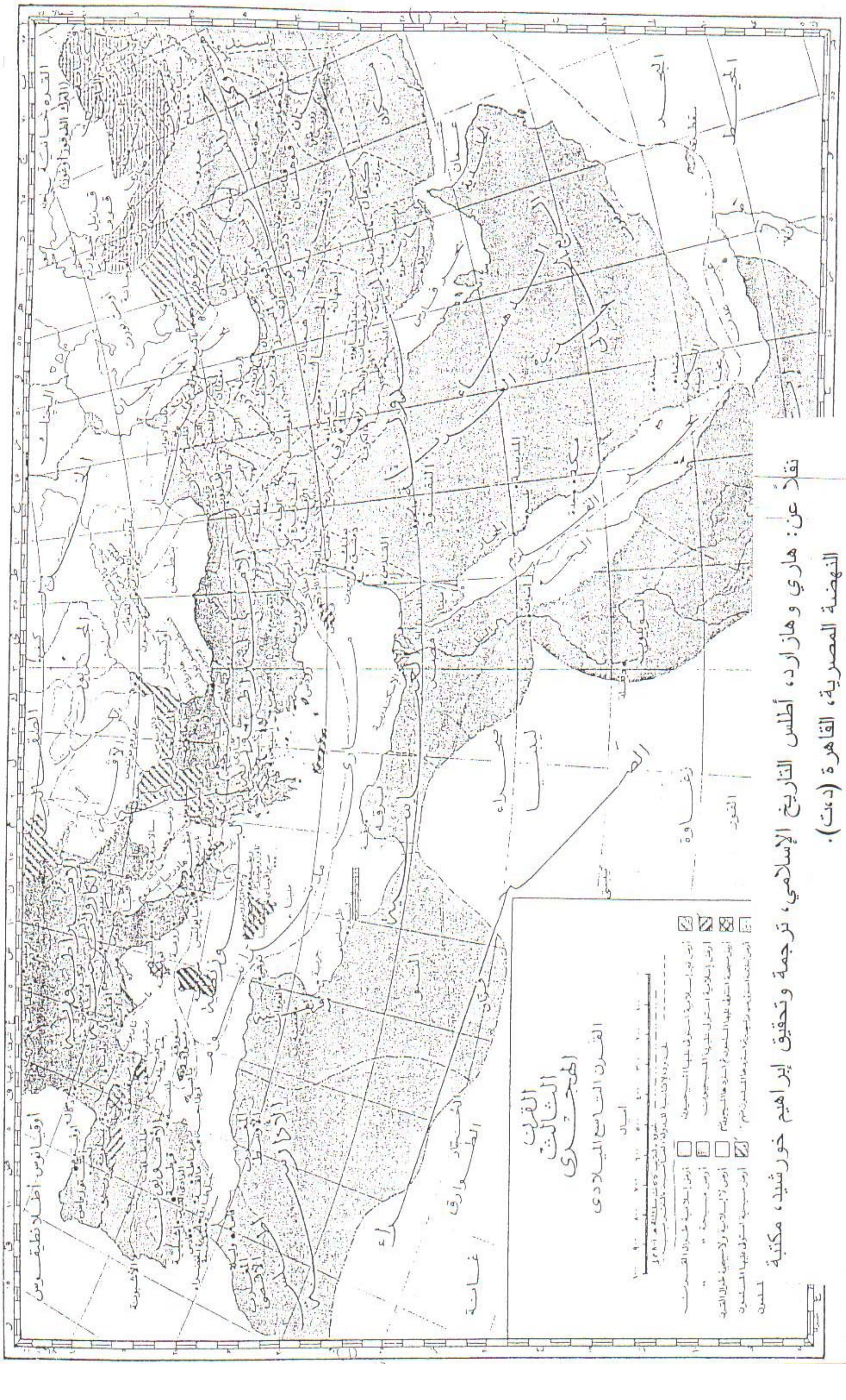
Akbarshah Najeebabady, **The History of Islam**, Darussalm, Riyadh, 2001.
Albert Hourani, **A history of the Arab, British Library**, London, 1991.
Brockelman, Carl. **History of the Islamic peoples**, London, 1984.
EI^2, Barid
EI^2, Kada'
EI^2, Mihna
EI^2, Samara'
Fawsi, Farowq Omar. (2001). **Studies on the history of sects in medival Islam**, Al Albayt University, Jordan.
Fawzi, Farouk Omar. **Aspect from Abbasid history**, Amman, 2003.
Finaly. **History of Byzantine Empire**, London, 1981.
Hitti, Philip. K., **History of the Arabs**, tenth Edition, 1982, London
Huston, Smith. **The Councise Encyclopedia of Islam**, London, 2000.
Sandres, J. **A history of Medieval Islam**, London, 1982
Ostrogorsky, K. **History of the Byzantine state**, Oxford press, London, 1982
Kasassbeh, Hussein F. Th**e office of qadi in the early Abbasid caliphate (132-247/750-861)**, Amman, 1994.
Marshall, O. S Hodgson**. The venture of Islam**, Chicago press, 1982.
Masudul Hasan, **History of Islam**, London, 1994.
Patton, W. M. **Ahmad ibn Hanbal and the Mihna**, Leiden, 1897.
Tarawneh, Taha. **The province of Damascus during the second Mamluk period**, Mu'tah University, 1994 .
The Cambridge Encyclopidia of the middle east, London, 1992

الملحق (أ)

ملحق الخرائط

خارطة (1)

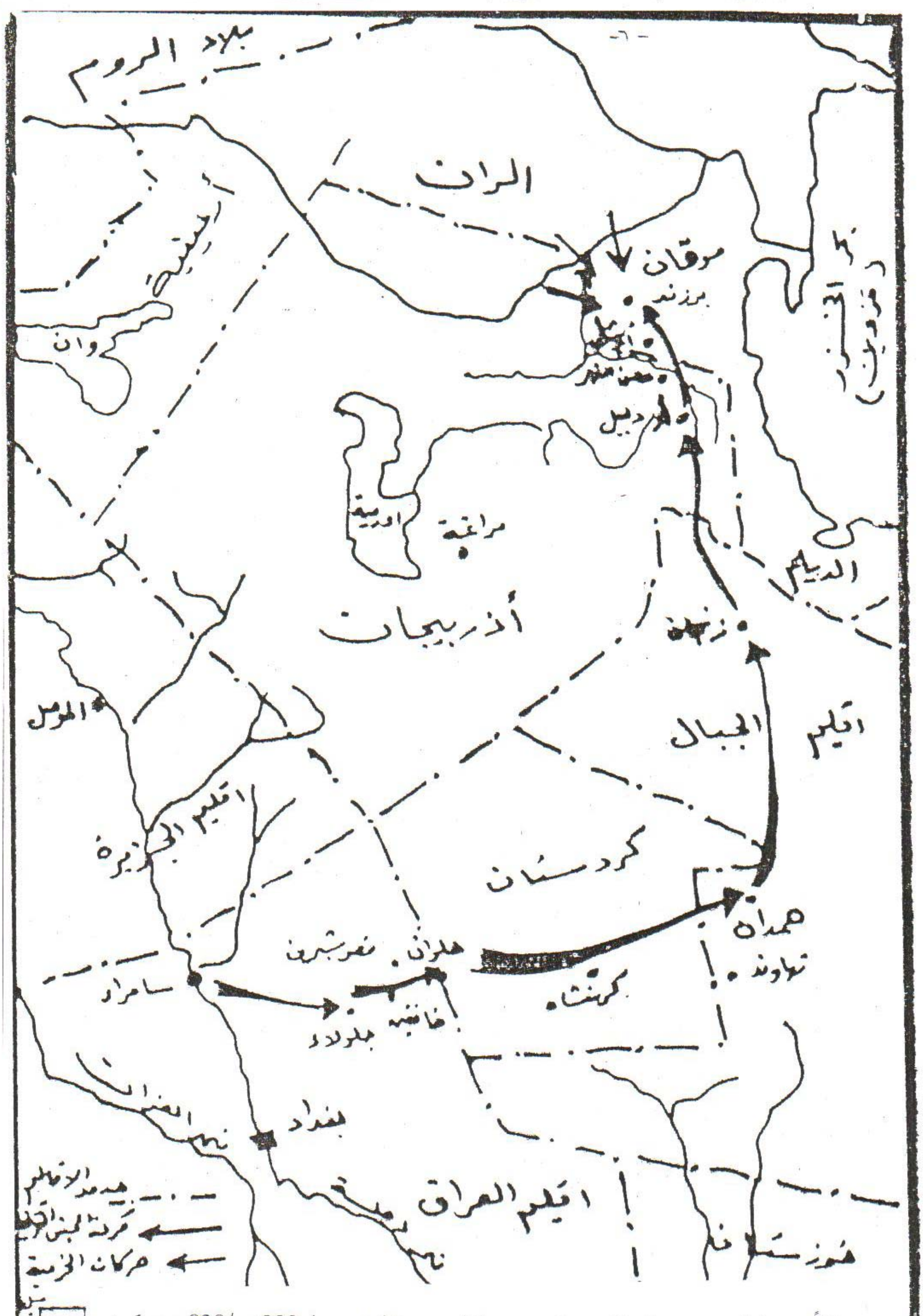
الدولة العباسية في ق 3هـ



نقلا عن: هاري وهازارد، أطلس التاريخ الإسلامي، ترجمة وتحقيق إبراهيم خورشيد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة (د.ت).

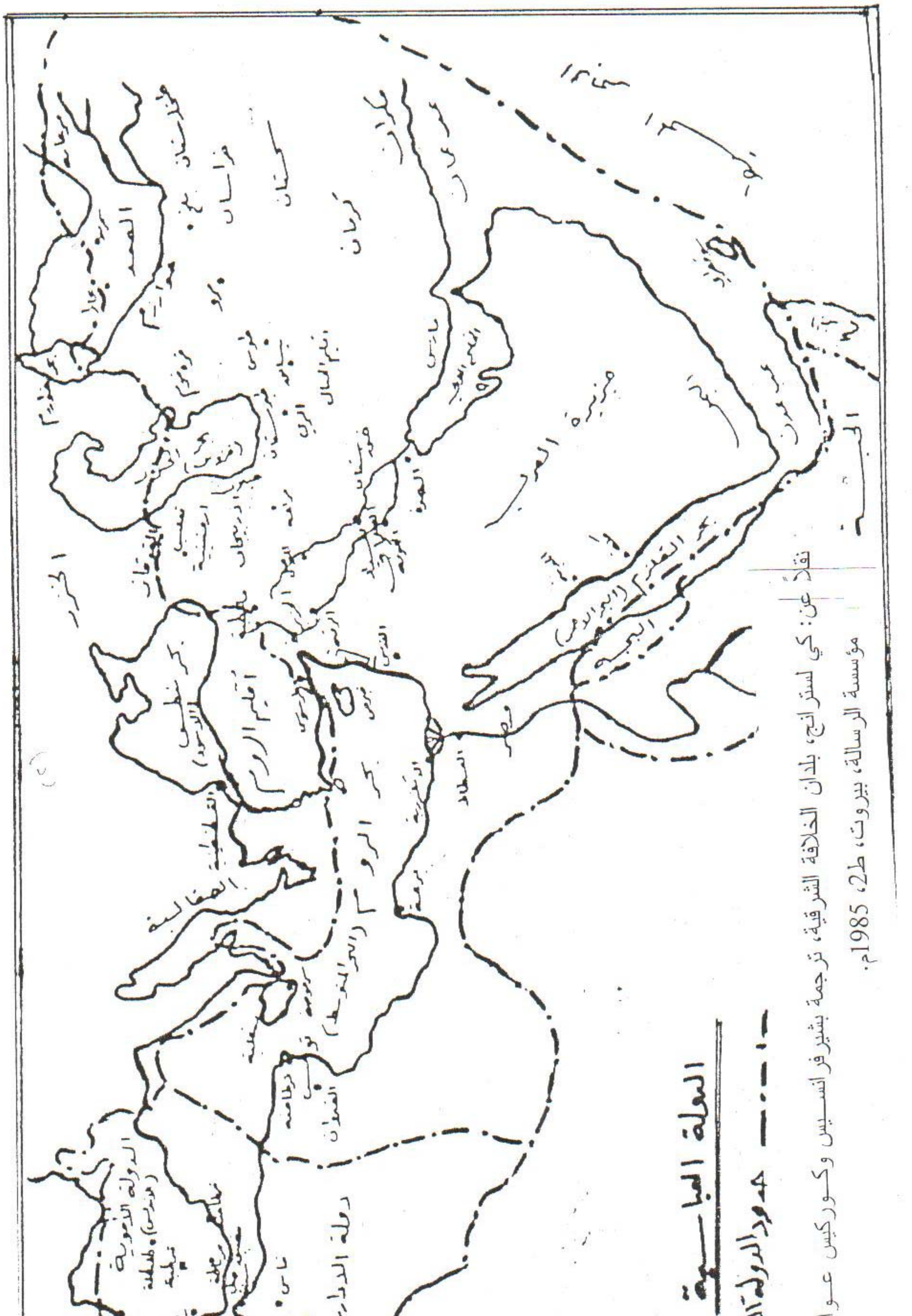
خارطة (2)

موقع حركة بابك الخرمي



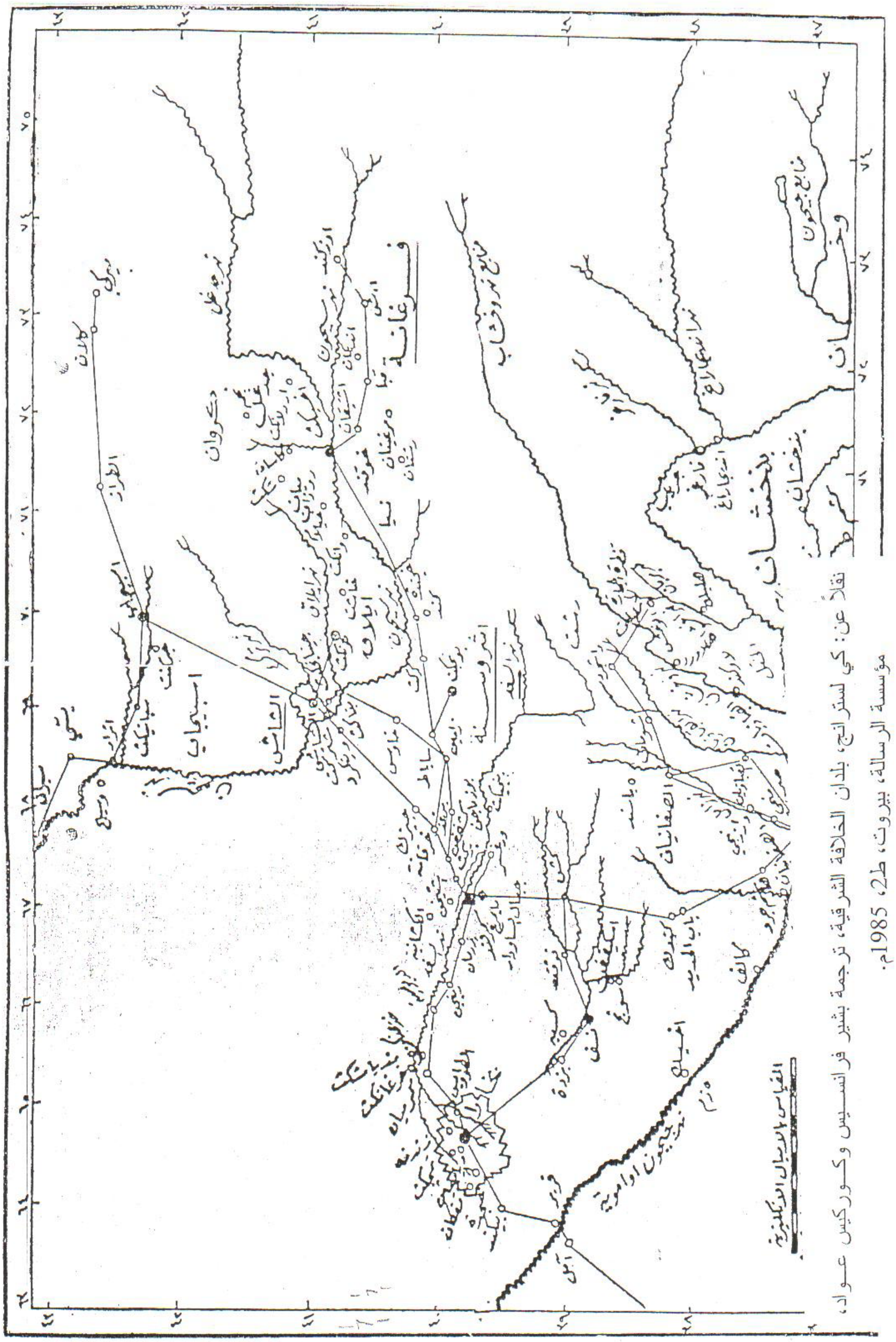
نقلاً عن: لطفي حمدي الدباغ، وحازم حسن العلي، معركة عمورية 223هـ/838م، مركز البحوث والمعلومات، بغداد (د.ت).

خارطة (3)
الدولة العباسية/ الأقاليم الشرقية



خارطة (4)

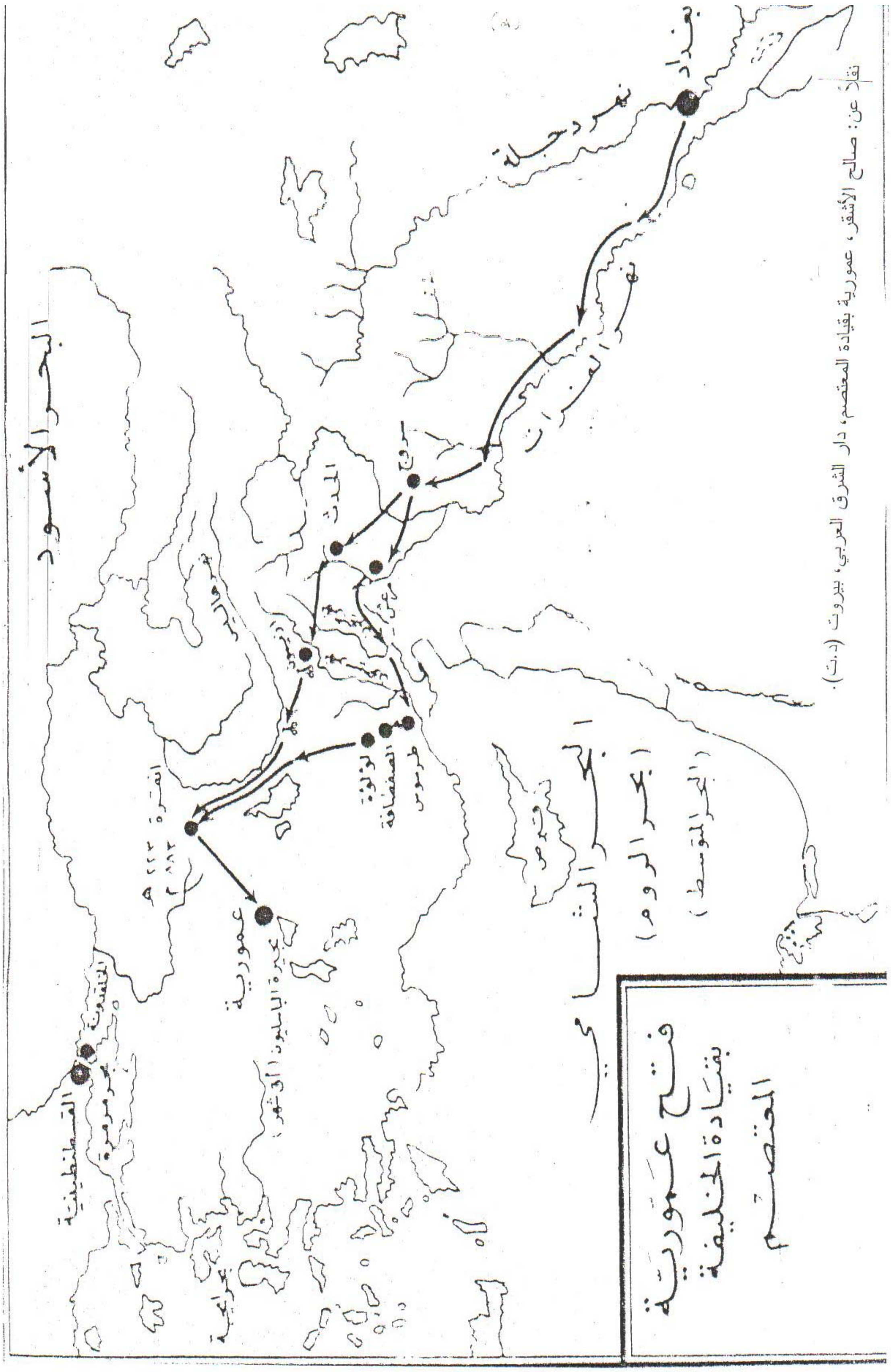
موطن الترك الأصلي



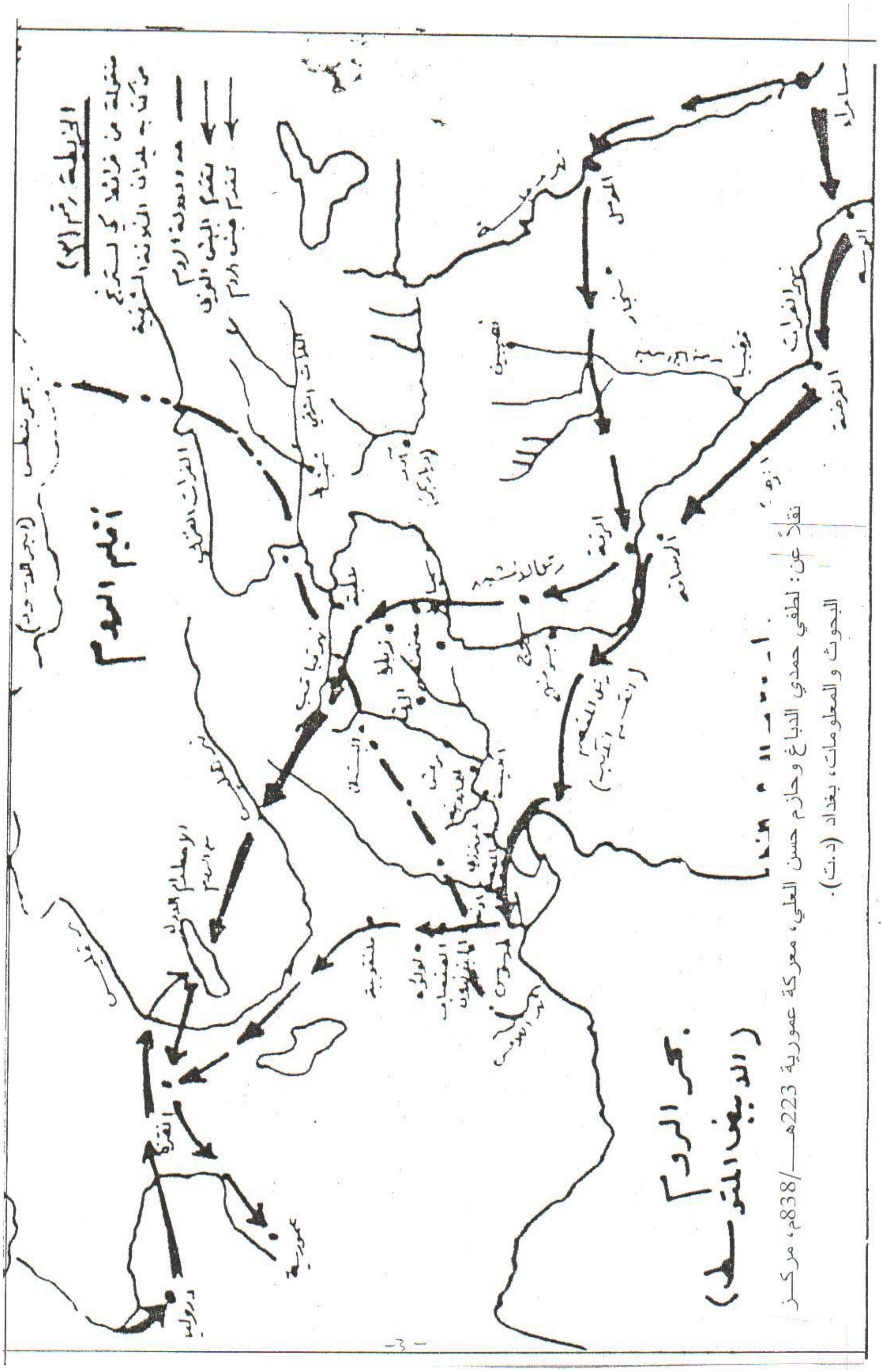
نقلاً عن: كي لسترانج، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرانسيس وكوركيس عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1985م.

خارطة (5)

مسير الجيش العباسي لفتح عمورية

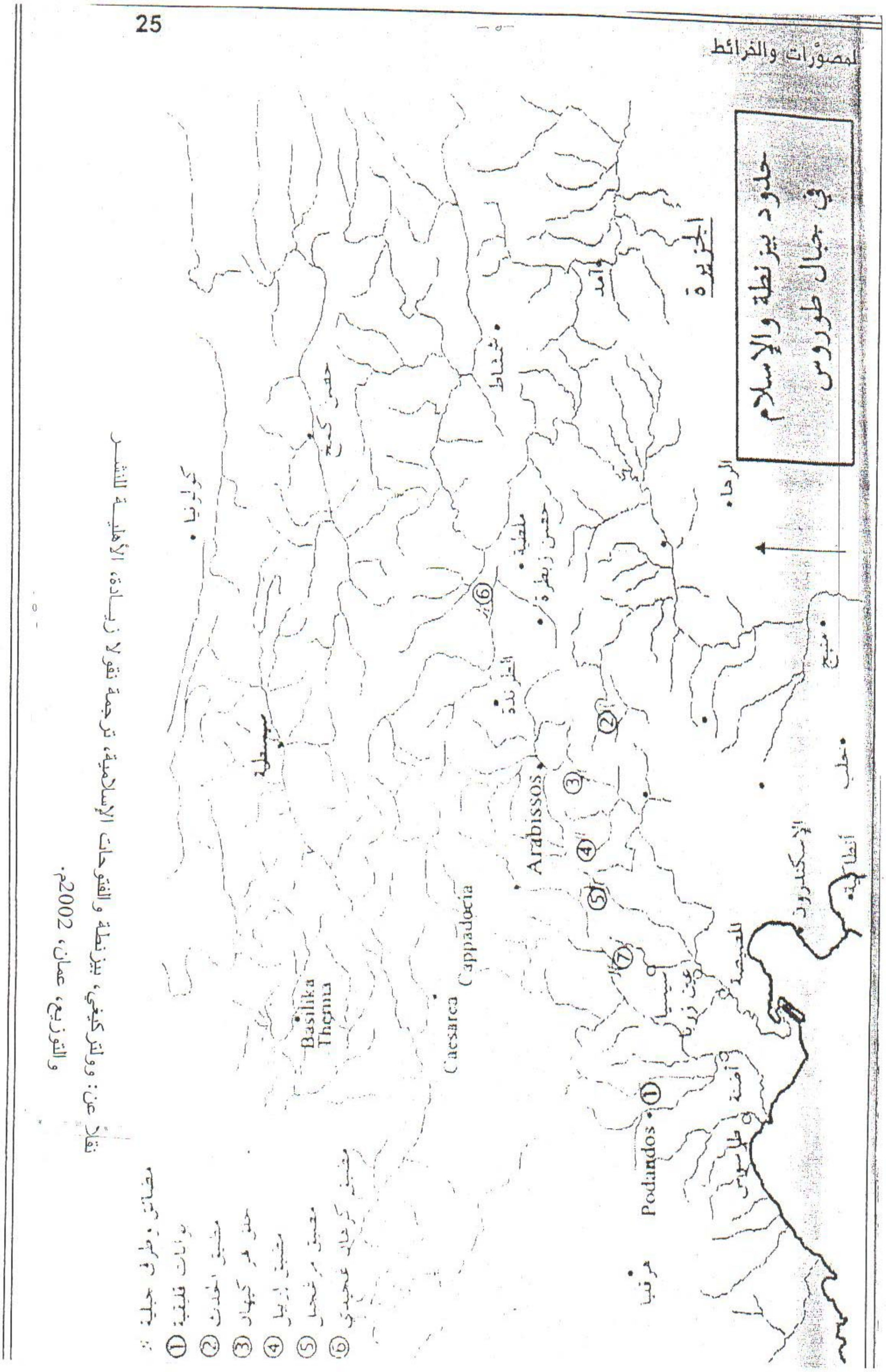


خارطة (6)
التقاء الجيش العباسي والبيزنطي في عمورية



خارطة (7)

مواقع الحصون العباسية والبيزنطية



السيرة الذاتيـــة

- **الاسم**: فتحي يوسف خلف الشواورة.
- **الكلية**: العلوم الاجتماعية.
- **التخصص**: التاريخ.
- السنة: 2008م.
- **العنوان البريدي**: الكرك – عي.
- **العنوان الألكتروني**: Shawawreh99@yahoo.com
- **الهاتف الأرضي**: 03-2365229
- **الهاتف الخلوي**: 0777522658